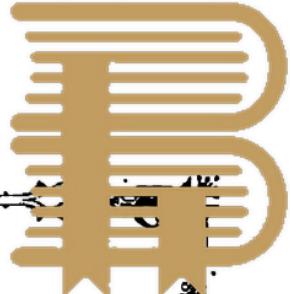


# هَجْزُ الْبَلَانَةِ

بِرَاسِ السِّيَاسَةِ وَمِنْ قَلْبِ الرَّحْمَةِ





shiabooks.net  
mktba.net رابط سهل



## «نهج البلاغة»

نيراس السياسة و منهل التربية

مجموعة بحوث ومقالات  
لعدد من العلماء والمفكرين

**مؤسسة بیج البلاغة**  
**طهران - ایران**

• اسم الكتاب :	بیج البلاغة نیراس الیاسه و مهبل التربية
• المؤلف :	عده من العلماء والفقیرین
• الطباعة :	مطبعة سلمان الفارسی - قم
• تاريخ الطبع :	ذوالحجۃ ۱۴۰۶ھ
• عدد النسخ :	۳۰۰۰

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

## محتويات الكتاب

- |     |  |
|-----|--|
| ٩   | المقدمة  |
| ١٧  | بيان الإمام الحسيني  |
| ٢١  | أعمال المؤتمر الثالث (لبيب يحيى بنون)                                    |
| ١٠٧ | نوح البلاغة بعد ألف عام (عند علی ابرهی)                                  |
| ١٢٥ | الضمان الاجتماعي كما يصقره الإمام علی «ع» (الشيخ النسخيري)               |
| ١٣٩ | نقض شبهة الإضافات في نوح البلاغة (السيد عبدالوهاب الخطيب)                |
| ١٤٩ | عواطير متردحة من مطالعة نوح البلاغة (الشيخ توري)                         |
| ١٥٩ | تساوي القوى والضعف في نوح الإمام علی «ع» بالحق (الشيخ يحيى بنون)         |
| ١٧٩ | المرأة في الإسلام ومن خلال نوح البلاغة (لبيب يحيى بنون)                  |
| ٢٢٣ | من وحي نوح البلاغة (سين سعدي)  |
| ٢٤١ | الزهد في نوح البلاغة (ميس سليمان حبيب)                                   |
| ٢٥٩ | الفقر، أسبابه وعلاجه (لبيب يحيى بنون)                                    |
| ٣٢٣ | الدرس السادس المستنبط من الرسالة الإلالية في نوح البلاغة (الرجبي الماشي) |
| ٣٤٧ | اللصر، مكافحته وعلاجه (محمد خير الحلواني)                                |
| ٣٦٧ | مكانة الطبقة العاملة ودورها في وقاية المجتمع (محمد بابا إسماعيلي)        |

«نحبة لأمير المؤمنين في ذكرى مولده»

ماناً أقول مرتلاً باحيدر  
من بحر علمك نستمد ونثار  
وكثير فضلك لا يهدى وعصر  
طه الأمين بما يحب وبغير  
قولاً جلباً عن نداك يعبر  
دون الحقيقة عاجز ومفتر  
يجمع المسنون من سباب وبعذر  
شمعري، فعجزي عن سناك مبرر  
ككياً أثبك . فإلي لا أقدر  
وإذا عذرت فإن حلمك أكبر  
عني تسر على هنالك وبعمر

بِمِ الزَّمَانِ مُزْجَ وَمُعْطَرٌ  
شَفَاعًا بِحَبْكٍ فِي الْحَيَاةِ وَكَبْرَا  
لَكَ بِإِيمَانِكَ وَكَلَ أَرْضَ مُنْتَهِ  
وَبِسُكُونِكُمْ شَرْفُ الْبَقْنِ مُفْتَرٌ  
لَزِمُوا هَذَا بِأَكْيَدِ تَنْفِطَرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منك المقادير في الزمان نعذر  
أطلقت فيه على البرية ثغيرة

أيات فھلک من بیان اکبر  
منک البلاغة والبيان وكثیراً  
شأنی إنساد ألبك محی  
بساید البلغاً یامن خصه  
کم شاعر قبل أسامیک لم یجد  
تسابقون الـ علاکا وکلهم  
ملکت فھائک المقول ورعا  
عفواً أمبر المؤذنین إذا کبا  
لوریٹ اشد ما حبیث فصانداً  
لماذا عترت فان وحدی سابق  
مسی اعتراضاً أن کل خلبة

وأفيت في ذكره عفل الخوا  
عروفه معرفة البصیر فهملا  
يسموا بالبك فكل هن صبحة  
لکباهم انزال السعد وترجمة  
لعل الحبة والسودة والروا

اسیدی سبل النجاة عزیزة  
أیفوزی الدارین من میستن

باب علم الماشمي محمد  
جئنا شارك خاشمن بولد

لَا طَلَمْتُ فَكِتْتُ أَوْلَى مُؤْنَسٍ  
وَوَقَتْتُ لِلْإِسْلَامِ حَمْنَا وَاقِيًّا  
بِهِ هُرِبَ مَا شَهِدْتُ وَمَا حَالَتْ وَمَا  
مَذَلَّ الْفَقَارَ وَحْدَهُ وَمَهَاوَهُ  
بِاسْبَدِي عَذْرًا فِيَنِي هَامَ  
لَا شَعْرٌ يَنْصَفُ إِنْ ذَكَرْتُكَ مَادِحًا  
لَكَهَا هَبَةُ الْفَقْرِ سَكَبَهَا

بِأَخْوَةِ بَحْرِ الْبَلَاغَةِ ضَئِمَّهُ  
مِنْكُمُ الْبَكْمُ جَنْتُ أَهْلَ مَهْجَنِ  
حَسِيْ إِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ نَشَرُفُوا

سَمِعَ النَّدَاءُ شَبَابَهُ الْمَسْفَعُرُ  
فِيهِ الشَّهَامَةُ وَالرَّجُولَةُ تَزَعَّرُ  
لَاقَتْ بِسَفَلِكَ فِي الْمَارَكَ (غَبَرْ)  
لَوْلَا يَدَاكَ . وَأَنْ زَنْدَكَ مُشَهَّرٌ  
بِحَلْبَلِ قَدْرَكَ عَاجِزٌ مُشَقَّرٌ  
مِنْكَ الْخَصَالُ . وَلَا الْمَلَاحِمُ ظَفَرَ  
مِنْ جَانِي... وَلَا بَلَامُ الْمُنْرِ

\* \* \*  
لِلْمَكْرُومَاتِ فَرَشَدَ وَبَشَّرَ  
مَهْرًا لَهِي وَالْعَيْنَةُ تَمَهَّرَ  
بِلْفَانِكُمْ أَلَيْ أَعْنَأْ وَأَذْكُرَ  
عِبْدَ الرَّحِيمِ الْعَصْنِي

«تحية للإمام الخميني»

رَكِنُ الْإِمَامَةِ أَئِيْ شَعْرَيْنَشَدُ  
تَسْأَلُقُ الصُّورِ الْحَسَانِ بِخَاطِرِي  
وَأَنَا الَّذِي دَهَّ الْفَصْبِدُ وَخُبِيَّ  
فِي كُلِّ لَحْنٍ مِنْ نَشِيدِي عَازِلٌ  
يَا ابْنَ الَّذِينَ تَوَاکَبْتُ شَهِداً فَمُ  
وَهْنَاكَ - فَاطِمَةُ - تَرِي أَبْنَاءَهَا  
نُورُ النِّسَرَةِ فِي جَبَيْنِكَ شَمَلَةُ  
وَافِيتَ أَرْضَكَ هَائِمًا وَمَهْتَنَةً  
وَأَنَا عَلَيْكَ مِنَ الْبَلَاغَةِ أَهْمَدُ  
فَبِهِنْ دُونَكَ فِي الْجَمَالِ فَتَنَاهَدُ  
الْحُبُّ الْوَحِيمُ وَقَلْبُهُ التَّرَقَدُ  
وَبِكُلِّ رُوْبِشِ مِنْ صَدَائِي مَهْرَلًا  
وَدَمُ الْحَسِنِ هُمْ يَهْدُ وَبِرْفَدُ  
بَدْمِ يَطْلُلُ وَآخِرَ بَسْرَصَدُ  
حَسَرَتْ ظَلَامُ الْأَمْسِ فَانْبَلَغَ الدُّ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَالْحَبَّةُ تَشَهَّدُ  
عبد الرحيم الحصني



المقدمة



## نبع البلاغة، هذا السفر الخالد

إن كتاب نهج البلاغة هو ينبع متذفق جياش، يزداد تدفقاً كلما نقبت فيه كما ظهر مدى اتصاله ببحار المعارف الالهية أيضاً. فالكتاب ليس رائداً لجيل أو قرن فحسب وإنما هو رائد لكل الأجيال وكلّ القرون. ويعد تدفق نبع البلاغة وخلوده إلى شخصية من أوجده، فهو ظلٌّ رقيقٌ لشخصية الإمام علي (ع) المشرقة. وليس مضيّ الزمان هو الذي أضفى على السفر بهاءً وعظمة وإنما هي شخصية الإمام الجليلة التي أضفت على تلك الكلمات روحًا وروعةً وخلودًا.

أجل، إن نهج البلاغة هو مجلعي للحب ومنار للمعرفة، ودليل للسياسة، وبراس للسياسة، ومنشور للحكم، وميزان للعدالة ومثار للحماس، ومعدن للكياسة، ومنهل للتربية، ومحراب للعبادة، ومثال للفصاحة والبلاغة.

والغريب في أمر الكتاب أن المشاهد فيه تتغير بصورة تُثريك أن الحق قد غالب كلّ الظنون الباطلة، ويعبر الشيخ محمد عبد العلامة المصري الشهير في مقدمته لنهر البلاغة عن هذه الحقيقة بالقول:

«... فتصفت بعض صفحاته وتأتلت جملًا من عباراته من مواضع مختلافات ومواضيعات متفرقات، فكان يخيل إلي في كلّ مقام أن حروباً شديدة وغارات

شتت، وأن للبلاغة دولة وللفصاحة صولة، وأن للأوهام عرامة، وللريب دعارة، وأن جحافل الخطابة وكثائب الذراية في عقود النظام وصفوف الانتظام تنافع بالصفيف الأبلج والقويم الأملج، وتمتلع المهج براضع الحجاج، فتفل من دعاية الوساوس وتصيب مقاتل الغوانس، والباطل منكسر ومرج الشك في خمود وهرج الريب في ركود، وأن مدبر تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوايها الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحشر بنتفيري المشاهد وتحوّل المعاهد، فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية في حل من العبارات الزاهية، تطوف على النفوس الزاكية، وتتدنو من القلوب الصافية، توحى إليها رشادها وتعق منها مرادها، وتغفر بها عن مداحض المزاں إلى جواد الفضل والكمال... وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدياً فصل عن الموكب الإلهي واتصل بالزروع الإنساني، فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملوك الأعلى، ونما به إلى مشهد الفوز الأجلـي...».

أجل، لقد اهتدى علي (ع) إلى الحقائق الثابتة وفلسفة الخلق بصورة تبعد كلامه الشفاف يخلد الحياة وهو أيضاً خالد خلود الدهر. فلاغر، إذ هو من كلام من تربى في أحضان النبي (ص) وارتوى من معين الوحي ونما وترعرع في بيت القرآن... وهو من كلام من لمس كلام الله بكلّ كيانه، فتجسد فيه الإيمان وأصبح هو ذاته مجلّى للحق وباب مدينة علم النبي (ص) إذن، فلا عجب أن يصدر منه كلام على مستوى نبع البلاغة... وهذا موضوع لاتخوضه هنا.

فالمجاهدون والعلماء ومربّطو الملحة، الخالدة، قد سلكوا هذا المسلك حرّيصين وممضحين بكلّ ما عندهم من نفس، فجعلوا تلك الموسوعات والمصادر الكبيرة في متناول من ينشد الحق، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

وبقصد الخلود الذي يتمتع به نبع البلاغة، فالكتاب جوهرة لا يعلوها غبار البلى، يزداد لمعاناً وشراقةً يوماً بعد يوم ونرى العالم يتعرّف عليه أكثر وأحسن، لأنّه من كلام إمام لمس الآلام كلّها وشعر بما يعيشه الإنسان، وجرب الأعاصير والفنن وخرج منها خالصاً مرفوع الرأس، وذلك بفضل مالديه من معرفة ونور إلهي كلاماً. إنّ نهج البلاغة يحتوي على كلام الإمام الذي صبغ في عبارات قصيرة جزلة رائعة

تصور لك الكمال الانساني تصويراً دقيقاً، وتميز خط الفلاح من المثالك الوعرة والمهاوي والمهالك، ولذلك ليس نهج البلاغة كتاب بلاغة فحسب بل هو في نفس الوقت نهج جهاد ونهج حياة ونهج فلاح.

ولكن من المؤسف أنه مضى ألف عام على جواهرة مشرقة مثل نهج البلاغة وذخيرة زاخرة مثل هذا السفر الكريم ولكن الأمة الإسلامية لم تستفد منه حق الاستفادة، ومع أن العلماء تمتوا به وعانوا الكثير في سبيل سبر أغواره، نرى عامة الناس في المجتمع الإسلامي وثقافتهم محرومة من برkatات هذا التبراس حتى النصف الأخير من هذا القرن، حيث أنس العالم الإسلامي منذ ذلك الوقت باسم هذا الكتاب وتأسسي بتعاليمه أصحاب الحركات الفكرية والثورية. على أي حال نأمل أن يكون نهج البلاغة نهج فلاح ونهج نجاح لlama الإسلامية جماعاً.

### مؤسسة نهج البلاغة

فهل يمكن أن ننظر إلى مثل هذا السفر نظرة سطحية ونكتفي بقراءة ترجمة منه أو عبارة، أو خطبة، أو فصل، أو كتاب؟ إن الذي يمكنه أن يستند إلى نهج البلاغة ويستفيد منه هو من يستطيع أن يغوص في أعماق بحره ويدرسه دراسة شاملة، وإن لم يكن شخصياً من أهل التحقيق، وليس لديه مقدرة علمية فيجب أن لا يحكم على ما فيه إلا بالاستعانة بتفاصيل أهل التحقيق وشروحهم، شأنه في ذلك شأن كل المصادر والبنيان الإسلاميين، حيث يمكن الاستنباط منها بعد دراسة دقيقة وشاملة لجميع جوانبها.

إن نهج البلاغة الذي هو من أعلى المصادر الإسلامية شأنها في الثقافة الإسلامية يشبه القرآن الكريم إلى حد، فيجب أن تتوفر عند الباحث تلك المقدرة العلمية حتى يستطيع دراسة كل أبعاده وزواياه وسبل أغوار كلام الإمام، ومن ثم يستنير به في فلسنته الالهية والإيديولوجية الإسلامية ويهتدى إلى صراط للحياة السعيدة... وهذه مهمة تفوق طاقة إنسان واحد، فيجب أن يكرس رهط من العلماء جهودهم في سبيل هذا التنشور.

لقد تالم المفكّر الإسلامي الكبير، العلامة الشهيد مرتضى مطهري عندما وجد أن نهج البلاغة ظانّاً مجاهلاً ومهجوراً على رفوف المكتبات، ولم يتجاوز المعاهد العلمية إلى أوساط العامة، وكان يرى تأسيس مؤسسة يجتمع فيها جماعة من العلماء حتى يعملوا

للتعریف بنج البلاغة في أوساط الناس كما هو حقه... ومن المؤسف أنه أست في النظام البائد، مؤسسات للكتب الأسطورية مثل الشاهنامه وبنقات باهظة كانت تفرض على الشعب المخروم في الوقت الذي ليس آنهم لم يؤمنوا مؤسسة أو جماعة يختص القرآن العظيم ونج البلاغة فحسب، بل اعتبروا البحث والتحقيق عن القرآن ونج البلاغة جرعة نكراً عاقبوا عليها أشد عقاب.

وأخيراً وفي عام (١٣٥٥ هـ. ش) وبإرشاد من الأستاذ الشهيد مرتضى مطهرى تأسست مؤسسة نج البلاغة، واجتمع فيها إخوة خلصون وبدأوا العمل لتحقيق الأهداف التالية:

- ١ - تصنیف المعارف العلمية السامية التي يحتوي عليها نج البلاغة.
- ٢ - إعداد البطاقات عن الماضي المستخرج من نج البلاغة.
- ٣ - إعداد تفسير موضوعي عن المعرف الواردة في نج البلاغة.
- ٤ - إعداد دروس في الحقول المختلفة من نج البلاغة من أجل استفادة كل الفئات في المجتمع.
- ٥ - تأسيس مؤسسة للمراسلة ونشر دروس عن نج البلاغة، وسائل المعرفة الإسلامية من أجل التعريف بالإسلام من نافذة نج البلاغة والمصادر الإسلامية الأخرى.
- ٦ - طبع نص من نج البلاغة، طبعة عquette على أحسن النهاج المتبع في تحقيق النصوص.
- ٧ - إعداد ترجمة فارسية من نج البلاغة ترجمة دقيقة تحلى بقدر المستطاع من كل حيب ونقص.
- ٨ - ترجمة نج البلاغة إلى اللغات العالمية الحية.
- ٩ - نشر الترجمات القديمة الموجودة من نج البلاغة.
- ١٠ - تحقيق ونشر مشروع نج البلاغة التي ظلت غير مطبوعة حتى الآن.
- ١١ - تأسيس مكتبة خاصة يجمع فيها كل ما كتب حول نج البلاغة وشرحه وترجماته الموجودة في مكتبات إيران والعالم.
- ١٢ - إعداد الأفلام والميكروفيلمات عن منظومات نج البلاغة وشرحه وترجماته، الموجودة في مكتبات إيران والعالم.

١٣- الاتصال بالجامع الالامية والعلمية في ايران لتعريف نجاح البلاغة أحسن فاحسن.

١٤ - الاتصال بالجامع الاسلامي والعلمية والفكرية في العالم لنفس الغرض.  
لقد تأسست المؤسسة كما أشرنا إليه بأقل إمكانيات، حيث بدأ الآخوان الزملاء العمل فيها بإعداد البطاقات التي بلغ عددها أكثر من ٥٠٠٠ بطاقة حول ١٢٠ عنواناً من التناوبين الأصلية والفرعية. وأثناء تصاعد الثورة، إنخرط فيها الآخوان العاملون في المؤسسة كلُّ في خندق، حتى انتصرت الثورة الاسلامية في ايران بعون الله تعالى وبقيادة الامام الخميني وجهود الأمة المسلمة في هذا البلد، حيث دفن الطاغوت في مزابل التاريخ ولذلك كانت المؤسسة عاطلة طوال عامين ولم تنجز أي شيء. وكان الشوريوسون الحقيقيون يرون أنَّ الثورة الثقافية الاسلامية هي من أهم الأمور بعد الثورة يجب أن تعالجها وتحقيقها، وجعل الشباب بعد الثورة، الشباب الذي تمكَّن من الاستشهاد وهرب من بيادم الثقافة الاستعمارية، كان متطرطاً للوصول إلى معنى الثقافة الاسلامية الصافي، حيث كانت أدنى غفلة تكفي حتى يتغير المدى الفرصة لتحقيق أهداف.

ولذلك وفي عام (١٣٥٨هـ). استأنفت المؤسسة نشاطاتها وهذه المرة بكل إرادة وعزم مساهمة منها في الشورة الثقافية، سايدة بذلك بعض الفراغ الموجود في الدراسات الإسلامية.

المهرجان الألاني لنهج البلاغة

كانت السنة الأولى لتأليف نجع البلاغة قد حلّت وكانت أغلب فرصة تسع  
لبحث المجتمع أولئك المفكرون والباحثون الذين قضوا سنين طوالاً في دراسة هذا الكتاب  
والبحث عن مضمونه السامي، ويتقدّموا نتائج جهودهم لعشاق نجع البلاغة. وعلى  
هذا قررت المؤسسة إقامة مهرجان بمناسبة مرور ألف عام على تأليف نجع البلاغة.  
والجدير بالذكر أن المؤسسات والمهرجانات الثقافية التي أقيمت في النظام البائد،  
كانت على أساس التقاليد الطاغوتية التي لم تتمكن في الواقع إلا ستاراً للجرائم  
والخيانات.

إن كسر القوالب الطاغوتية هو من المهمات الفضفورة للثورة الثقافية الإسلامية،

فأزمعت المؤسسة أن تقيم المهرجان بطابع إسلامي وبأقل كلفة. إننا وجهنا الدعوة إلى العشرات من العلماء الملتزمين والمعتنيين بالدراسات الإسلامية، ووصلت إلينا منهم حوالي ٢٠٠٠ صفحة من المواضيع المختلفة حول نهج البلاغة، طبعت منها في المؤسسة حوالي عشرين رسالة بين فارسية وعربية وإنكليزية، كما وزعنا عشرين مقالاً بالطباعة الماديه، حتى نشرها فيما بعد في مجلدين كذلكى هذه المناسبة العزيزة.

مع انعقاد المهرجان الألني لتأليف كتاب (نهج البلاغة) وافتتاحه بالبيان الشارعي الهام الموجه من قبل القائد الأعلى للثورة الإسلامية الإيرانية...، سماحة الإمام الأكبر الخميني دام ظله ... وكان البيان في الواقع يحمل تأييده الكامل ومساندته المتواصلة المؤسسة (نهج البلاغة) والحدث بها للعمل في إطار هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه... استقبلت الجماهير الحاضرة المحتشدة في قاعة الاحتفال، على اختلاف اتجاهاتها البيان بكل حفاوة وتقدير... وفي الوقت نفسه أخذت المؤسسة على نفسها اعادة اقامة هذا المهرجان في كل عام، عند ذكرى ميلاد الإمام علي عليه السلام... وذلك بوضع دراسات وبحوث تتناول كافة جوانب الكتاب الفكرية الحيوية المتنوعة.

وعلى هذا يحول الله وقوته اقامت المؤسسة ثلاثة مهرجانات عامة مكللة بالتفوق والنجاح، وهي ما زالت على عزمهَا في استمرار اقامة المهرجانات في كل عام ان شاء الله تعالى.

\* \* \*

أن الكتاب الذي بين يديك يضم مختارةً من البحوث والدراسات العلمية والقضايا الفكرية التي أقيمت خلال هذه المهرجانات الثلاثة باللغة العربية، نقدمها إلى إبناء لغة الفضاد... لغة القرآن الكريم... لغة نهج البلاغة... لتكون فائدتها عامة والاستفادة بها شاملة للجميع.

وختاماً نسأل الولي سبحانه... أن يكلل أعمالنا بالنجاح والفوز... ويوفقنا إلى ما فيه خير البلاد والحضارة... وأآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين... .

**مؤسسة نهج البلاغة**

ایران طهران

نص النداء الذي وجّهه الإمام الخميني قائد الثورة  
الإسلامية ومؤسس الجمهورية الإسلامية إلى مؤتمر  
الفبة نجح البلاغة.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن أي شيء يريد مؤتمر الفبة نجح البلاغة أن يتحدث... وأي شخص هذا  
الذي يريد أن يعرف المؤتمر؟!  
أيهدف علماء العالم الكبار أن يعرفوا مولانا أمير المؤمنين إلى الآخرين، أم يعرفوا  
نجح البلاغة؟!

بأية موثنة وبأي رصيد يريد أن نلقي هذا الوادي؟  
أن يريد أن نتحدث عن شخصية علي بن أبي طالب وعن حقيقته المجهولة، من خلال  
رؤيتنا المهجورة المهجورة؟!  
ترى، هل إن علينا -عليه السلام- كأن من عظاء الدنيا ليحق للعظاء أن يتحدثوا  
عنه، أم ملكوتياً ليحق للملكوتين أن يفهموا منزلته؟!  
بأي رصيد يريد أهل العرفان أن يعرفوه غير رصيد مرتبهم العرفانية، وبأية موثنة  
يريد الفلسفه أن يفهموه سوى ما لديهم من علوم محدودة؟!  
كم استطاعوا حتى الآن أن يفهموه كي يحيطوا اللثام عن شخصية أمام  
المهجرين؟!

ما فهمه العلماء والفضلاء والعرفاء وال فلاسفة عن هذا المظهر النام الإلهي ، بكل  
مالديهم من فضائل وعلوم سامية ، أنها فهموه من خلال حجاب وجودهم ومرآة نفوسهم

المحدودة، وعلى غير ذلك.

من الأولى -إذن- أن لاتلح هذا الوادي، وإن نقول: إن علياً كان عبدالله، وهذا أعظم شاخص يمكن أن نذكره عنه، وكان ربِّ النبي الأعظم، وهذه من أكبر مفاخره.

من الذي يستطيع أن يدعى أنه عبدالله وأنه متحرر من كل عبودية أخرى غير الأنبياء العظام والأولياء الكرام؟! وعلى هؤلاء العبد المتحرر من كل عبودية غير عبودية الله، وهو الذي اخترق حُجب النور والظلمة ووصل إلى معدن العظمة، وحاز بذلك قصب السبق.

أي شخص يستطيع أن يدعى أنه تربى في حجر الرسول الأعظم وتحت رعايته وفي ظل تربية الوحي والموحي إليه، منه صباح و حتى آخر عمر صاحب الرسالة سوى علي بن أبي طالب؟! فهو الذي تصل في أعماق نفسه وروحه الوحي وتربية صاحب الوحي.

انه لذلك عبد الله حقاً وربِّ ذلك العبد الأكبر الله.

أما كتاب «نهج البلاغة»، المبتق عن روحه لتعليمنا وتربيتنا، خن الرافقون في حضيصن الذات والفارقون في حجاب الذاتية والأثنانية، فهو بسلم للشفاء ولعلاج الأمراض الفردية والاجتماعية.

أنه جموعة لها أبعاد تسع أبعاد الإنسان والمجتمع الإنساني الكبير وتمتد هذه الأبعاد امتداد تاريخ البشرية، وعلى امتداد المجتمعات والدول والشعوب، وعلى امتداد كل الممارسات الفكرية والفلسفية والتحقيقية الرامية إلى التعمق في هذا الكتاب.

فيما إليها الفلسفة والحكماء... تعالوا للتحقيق في جبل الخطبة الأولى من هذا الكتاب الإلهي، وسخروا أفكاركم العميقه واستعينوا بأصحاب المعرفة لتفسير هذه الجملة القصيرة من قوله: «مع كل شيء لا يقارنة وغير كل شيء لا يعزى عليه» وحاولوا أن يكون فهمكم لها فهماً واقعياً يرضي ضمائركم ودون أن تسلكوا طرقاً ملتوية عاجلة لارضاة أنفسكم بغيرها، كي تتضح أمامكم أبعاد رؤية ربِّيَّة ربِّيَّة الوحي، وكيفي تترفوا بقصوركم وقصور غيركم.

هذه العبارة ونظرائها وردت في كلمات أهل بيته تبين وتفسر كلام الله في سورة الحديد للمفكرين في آخر الزمان، حيث يقول: «وهو معكم أينما كنتم». من المؤقل أن تستطعوا، أنتم أليها العلماء والمفكرون الرساليون المجتمعون في المؤتمر

المؤلف لافته نهج البلاغة أن تبيّنا، فذر ما تيسر، الأبعاد العرفانية والفلسفية والأخلاقية والتربيّة والاجتماعية والمسكّرية. والثقافية وغيرها من أبعاد هذا الكتاب، وأن تعرّفوه على المجتمعات البشرية، وتعرضوه عليها، فهو ممتعٌ لزبونة الإنسان والعقل المنيع صلوات الله وسلامه على الرسول الأعظم، مرتبٍ مثل هذه الشخصيات الإلهية، وهاديه إلى كمالها الإنساني الثالث.

وسلاماً وتحية لمولانا أمير المؤمنين، الإنسان المنودج والقرآن الناطق.

سيبق اسمه باقياً مابق الدهر. فهو قدوة الإنسانية ومظهر اسم الله الأعظم.

وسلاماً لكم أيها العلماء... يامن تفتحون الطريق، بجهودكم القيمة، لتحقيق الأهداف السامية لهذا الكتاب المقدس.

والسلام على عباد الله الصالحين.

٢٧ اورديشت ١٤، ١٣٦٠ رجب ١٤٠١

رجح الله الموسوي الحسيني



## أعمال المؤتمر الثالث

للمهرجان الألفي لنجع البلاغة

قزرها: الأستاذ لبيب وجيه بيضون



بعد اشتراكه في المهرجان الأنفي لنجع البلاغة قبل عامين، وجهت لي الدعوة من مؤسسة (بنجاد نجع البلاغة) في طهران، لحضور المؤتمر الثالث لنجع البلاغة. وقد أجبت دعوة هذه المؤسسة وشاركت في احتفالها.

#### بنجاد نجع البلاغة:

هي مؤسسة عاصرة قام بتأسيسها منذ سبع سنوات الاستاذ الشهيد مرتضى مطهری، وذلك حين شعر رحمه الله بال الحاجة الملحة الى هذه المؤسسة للعناية بكل ما يتعلق بنجع البلاغة، باعتباره منبع إلهام الأمة والثورة.

ولمّا اندلع فجر الشورى الاسلامية المباركة كانت هذه المؤسسة موضوع عنابة المسؤولين ودعمهم المادي والمعنوي، حتى بدأت تؤتي قطوفها يائمة باذن الله. وبعد وفاة الشهيد مطهری تولى قيادة هذه المؤسسة عدة من الأفاضل الذين كتبوا على أنفسهم مهمة ترويج الدين والشريعة وعلوم أهل البيت(ع).

### بعض انجازات البناء:

- ١- وقد أذاب هؤلاء الأفاضل تحت اشراف العلامة مطهري على وضع تصنیف مبتکر لعلوم نجح البلاغة، قسموا مواد النجح الى ستة عشر باباً رئيسياً كمابلي:
- ١- معرفة الله
- ٢- النبوة
- ٣- القرآن والاسلام
- ٤- الامامة
- ٥- المعد
- ٦- الانسان
- ٧- المسائل المعنوية (الأخلاق)
- ٨- العلم والمعرفة
- ٩- علوم الطبيعة
- ١٠- علم الحياة
- ١١- المسائل الاجتماعية
- ١٢- المسائل الاقتصادية
- ١٣- الدنيا والآخرة
- ١٤- الجهاد
- ١٥- الحقوق المقابلة
- ١٦- الحق والباطل

ويتفرع كل باب من هذه الأبواب الى عدد من الفصول، ومجموع الفصول هو ١٦ فصلاً، ويندرج تحت كل فصل الفقرات المتعلقة به، وقد بلغ مجموع هذه الفقرات خمسة آلاف فقرة.

ولبيان هذا التصنیف رُسمت سنت عشرة لوحة توافق الأبواب السابقة. وعلى كل لوحة كتب الفصول المتفرعة عنه، وبجانب كل فصل عدد الفقرات المتعلقة به، ويمثل هذا العدد بخط يتناسب طوله مع عدد الفقرات.

وبناء على هذا التصنیف وضع (ارشيف) النجح المؤلف من خمسة آلاف بطاقة

كتبت على كل بطاقة فقرة.

وقد اعتمد البنياد لأنجاز هذا الإرشيف على كتاب نهج البلاغة.

٢- وقد أسس البنياد مكتبة حديثة ضمت كل الكتب المتعلقة بنهج البلاغة إضافة إلى الكتب الإسلامية الأساسية. وهي مكتبة تتسع باستمرار لتفطير حاجات الباحثين في علوم النبج ومعارفه.

٣- وسعيًّا وراء دراسة علوم النبج وتقديمها لجمهور المسلمين ليستفيدوا من معارفها، أقامت المؤسسة المهرجان الأنفي الأول والثاني والثالث. وقد جعلت كل المواضيع التي قدمت للمهرجان الأنفي الأول، وترجمت بعضها إلى العربية، وهي تعمل الآن على طباعة المواضيع اللاحقة.

٤- وقد عكف الدكتور جواد مصطفوي صاحب كتاب (الكافش عن ألفاظ نهج البلاغة في شروحه)، على وضع نسخة محققة من نهج البلاغة، انطلاقاً من النسخ المخطوطة للنحو الموجودة في إيران وعددها ستة: نسختان منها في مكتبة مرعشي في قم، ونسخة في مدرسة نواب في مشهد، ونسخة في مدرسة مطهرى في طهران، ونسخة في مكتبة نصيري، وقد طبعها الشيخ حسن السعيد ويرجع تاريخها إلى ٤٩٤ هـ وهي أقدم نسخة معتمدة من النبج.

وسوف يطبع البنياد هذه النسخة المحققة فور انتهاء وضعها.

هذا وإن بنياد نهج البلاغة يعمل جاهداً على تحقيق أغراضه واستكمال أهدافه، ليمعطى نهج البلاغة بعض ما يستحقه من الاهتمام والتقدیر، ويبطّل اللثام عن كنزه النفيسة التي أهلها السابقون، مع أن فيها الدواء الشافي لكل عللنا السابقة وأمراضنا الحاضرة.

إن نهج البلاغة هو نهج الحياة، نهج السعادة، نهج الدين، نهج الأخلاق، نهج العزة. إنه المنبل العصافى لفهم مبادئ الإسلام، والطريق المستقيم لعرفة حقائق الإيمان.

### ندوة في الفندق مع الدكتور جواد مصطفوي:

ولما رجعنا إلى فندق آزادى، فوجئت بوصول أخي العزيز الدكتور السيد جواد مصطفوي من مشهد، وجلسنا بحضور الدكتور رفيع تنجاذب وطرف الأحاديث.

(تجريش). ويعتبر هذا الفندق من أكبر فنادق طهران، وهو يتألف من ٢٢ طابقاً. وفي الطابق الأول يتم الطعام والجلوس. ويوجد في الفندق مكتبة و محل لبيع الزهور و محل لبيع الصناعات اليدوية، وقد أعطى كل شخص غرفة بسرير عرض وتلفزيون. ويوجد على جدار كل غرفة كتابة بالزجاجي مع تزيينات ملونة وهي شطرة من بيت شعر للشاعر سعدي الشيرازي وهي:

كس نديم كه گم شد از ره راست

وتعني: مارأيت أحداً يضل اذا سار في الطريق المستقيم.

وجاء مساء حجة الاسلام دين پرورد رئیس بنیاد نجع البلاغة للسلام علينا.

يوم الاثنين:

انقطع المطر الذي نزل ليلاً، وانقضع السحاب شيئاً.

زيارة بنیاد نجع البلاغة في مقره الجديد:

ذهبنا صباحاً لزيارة بنیاد نجع البلاغة في مقره الجديد وسط العاصمه.

وهناك تعرّفنا على بعض الأخوة العاملين في المؤسسة.

زيارة المكتبة:

وقد أفردت غرفة كبيرة للمكتبة، وهناك اطلعت، على بعض الكتب المتعلقة بنجع البلاغة، منها:

١- غرر الحكم ودرر الكلم من كلام أمير المؤمنين علي(ع) الذي جمعه الشيخ عبد الواحد الأمدي، وفيه أحد عشر ألف كلمة. وهو يزيد على حجم نجع البلاغة.

٢- بحث الصباغة في شرح نجع البلاغة تأليف العلامة الشيخ محمد تقى التسترى ويقع في ١٣ مجلداً.

٣- نهج السعادة في مستدرك نجع البلاغة تأليف الشيخ عمد باقر الحمو迪 - طبع النجف، ويقع في سبعة مجلدات.

٤- نجع البلاغة منظوم، من شعر محمد علي الانصارى، ويقع في عشرة مجلدات.

قال الدكتور مصطفوي انتا في ايران ملك عدداً كبيراً من نسخ نهج البلاغة، ولكن المعتمد منها ست نسخ، اثنتان في مكتبة مرعشي في قم، ونسخة في مدرسة نواب في مشهد، ونسخة في مدرسة مطهري في طهران، ونسخة في مكتبة نصيري طبعها الشيخ حسن السعيد، ويرجع تاريخها الى سنة ٤٩٤ هـ وهي أقدم النسخ.

ثم قال: وانتي الآن عاكف على تحقيق النسخ المطبوعة على أصولها المخطوطة، وانتي أجد كثيراً من الأخطاء، حتى أجد في كل صفحة غلطة أو أكثر. وقد ضبطت مثلاً ٣٨ غلطة في عهد مالك الأشتر لوحده.

ثم قال حجة الاسلام مصطفوي: من الملاحظات التي عثرت عليها:

١- قول الامام(ع): وأنا من رسول الله كالصنون من الصنو، ذكرها ابن أبي الحديد: كالضوء من الضوء.

٢- قول الامام(ع): والإمامنة نظاماً للأمة، يوردها ابن أبي الحديد: والأمانة نظاماً للأمة، ولكنه يشرح الأمانة بأنها الإمامة.

٣- قول الامام(ع) عندما مرت امرأة فأعجبت القوم: وإنما هي امرأة كامرأة. وقد ذكرها بعضهم: وإنما هي امرأة كامرأته. والأول أصح.



# برنامج المؤتمر الثالث للمهرجان

## الألفي لنهج البلاغة

اليوم الاول  
الاربعاء في ١٣ رجب ١٤٠٣ هـ  
المصادف ليلاد الامام علي عليه السلام

البرامج الافتتاحي:

تلاؤة آيات من القرآن الكريم  
كلمة حجۃ الاسلام الشيخ مهدوی کنی  
كلمة حجۃ الاسلام مشکبینی  
نشید عناسبة مولد الامام علي (ع)

• • •

كلمة حجۃ الاسلام دین پرور  
نشید باللغة العربية عن مولد الاسلام  
قصيدة للشاعر السوري الأستاذ عبد الرحيم الحصني  
كلمة للأستاذ لبيب بيضون حول بنیاد نهج البلاغة وأعماله

• • •

محاضرة لآية الله خزعلی، تحت عنوان: (الخطابة بمنظار نهج البلاغة).

اليوم الثاني  
الخميس في ١٤٠٣ هـ ١٤٠٣ رب

**أعمال المؤتمر:**

تلاوة آيات من القرآن الكريم

• • •

ندوة حول:

(مكافحة الفقر بمنظار نهج البلاغة) اشتراك فيها:

الدكتور محمد خير الحلواني (من سوريا)

الاستاذ عبدالرحيم الحصني (من سوريا)

الاستاذ لبيب بيضون (من سوريا)

حجۃ الاسلام السيد جمال الدين دین پرور

• • •

محاضرة للدكتور الراجي التهامي الماشمي تحت عنوانه:

(اللغة في نهج البلاغة)

محاضرة للأستاذ جوادی آملي تحت عنوانه:

(على الفلسفة الإلهية)

اليوم الثالث  
الجمعة في ١٥٠٣ رب ١٤٠٣ هـ

**أعمال المؤتمر:**

تلاوة آيات من القرآن الكريم

نشيد

كلمة الاستاذ رزبجو: أسباب التلاحم بين الحكومة والشعب في نهج البلاغة  
ندوة حول (المرأة في نهج البلاغة) اشترك فيها

- ١- الاستاذ لبيب بيضون
- ٢- الدكتور جواد مصطفوي
- ٣- الاستاذ عميد زنجاني

محاضرة للأستاذ جلال الدين فارسي بعنوان:  
(الامام علي (ع) والقرآن)

اليوم الرابع  
السبت في ١٦ رجب ١٤٠٣ هـ

أعمال المؤتمر:

تلاؤة آيات من القرآن الكريم  
نشيد

كلمة للدكتور سيد جواد مصطفوي: الانحاد في نهج البلاغة  
كلمة الشيخ محمد سليمان اليحفوني: التساوي بين القوي والضعيف في الحق في  
نهج البلاغة

كلمة حجة الاسلام زين العابدين قرباني: عوامل التعاون بين الشعب والحكومة  
من منظار نهج البلاغة

كلمة الاستاذ پرورش وزير التربية والتعليم بعنوان: الوجه الأعلى.

اليوم الخامس  
الأحد في ١٧ رجب ١٤٠٣ هـ

### أعمال المؤتمر:

تلاوة آيات من القرآن الكريم  
نشيد لرجال الشرطة

• • •

كلمة حجۃ الاسلام فراءٰتی: التقوی فی نیج البلاعۃ  
ندوة حول (الحرب والصلح) اشترک فیها:  
الاستاذ الشیخ محمد مهدي الاصفی  
حجۃ الاسلام السيد محمد باقر الحکیم  
محاضرة للاستاذ فلسفی بعنوان:  
(كلمة حق يراد بها الباطل)

• • •

كلمة الحاخام

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المؤتمر في يومه الأول:

خصصت حسينية الارشاد الفخمة لاقامة المؤتمر هذا العام، حيث يبدأ الاحتفال الساعة الرابعة بعد الظهر ويستمر ثلاث ساعات أو أكثر دخلنا الحسينية وقد زينت بأكاليل الورود، احتفالاً بولادة أمير المؤمنين الامام علي(ع) في ١٣ رجب. وقد رصع محراب الحسينية بالقيشاني الذي كتب عليه الآيات والأحاديث والأشعار وسلطت عليه الأضواء. وعلى جانبيه آلة التصوير التلفزيوني. وفي أعلى المحراب كتب على هيئة هلل لا إله إلا الله.

وتحت المحراب كتب الآية: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير). وقد خصصت للنساء سقية خاصة. وتتنفس الحسينية خمسة آلاف شخص. وقد تضمن البرنامج الافتتاحي هذا اليوم:

(١) القرآن الكريم: تلاه شاب عمره نحو ست عشرة سنة، وصوته وأداؤه حسن، وقد ذكر أنه كان الأول في مسابقة قراءة القرآن الكريم، وان الامام الحسيني حفظه الله قد قدم له جائزة سنوية.

وقد اتبع هذا العام نظام الترجمة الآتية من اللغة الفارسية الى العربية، مما سهل لي تدوين المواضيع المختلفة، وكنت أتضاعق من وضع السماعات على أذني ثلاث ساعات متواصلة.

- (٢) كلمة حجة الاسلام الشيخ مهدوي كني: وما جاء فيها: لقد كان خلق النبي (ص) القرآن، ونحن يجب ان يكون خلقنا نهج البلاغة. وفي نهاية كلامه تمنى ان يكون هذا المهرجان منشأ للأخوة والوحدة والصفاء بين المسلمين.
- (٣) كلمة آية الله مشكيني: وقد تلقيت بالنيابة عنه، وجاء فيها:  
يا على، لقد ولدت في بيت الله، في الكعبة، وطهرت الكعبة من رجس المشركين، ثم استشهدت أيضًا في بيت الله، في الحراب.  
أنت الذي قلت: ينحدر عني السبيل، ولا يرقى إلى الطين وحقاً مهما حاول الانسان الوصول اليك والى علومك فإنه لا يصل من شدة علوك. لا أمدحك بأنك خليفة، فالخلافة ليست شيئاً في جنبك. ان عظمتك لها جوانب لا تختصي، ومن أبرزها أن ذرية الامامة منك وأنثرها الامام المهدى الذي يتضرع العالم ظهوره.  
ليتلهم المسلمون من شخصيتك معاني الصبر والتضحية.  
ان الملايين من المسلمين تتوجه اليك مستلهمة من هديك ما يخرجهم من مصاعبهم ومعضلاتهم.
- (٤) نشيد: ثم اصطفت ثلاثة من طلاب الابتدائي وأنشدت أبياتاً عن الامام علي(ع)  
وعن نهجه. وكان كل مقطع ينتهي بكلمة (يا على) في نغم عذب شجي.
- (٥) كلمة حجة الاسلام السيد جمال الدين دين بروز  
بدأ الكلمة بحمد الله والصلوة على رسوله، ضمن مقطع من نهج البلاغة. ثم شكر المشتركين في المؤتمر، وهذا الحضور بولد أمير المؤمنين علي(ع)... ثم قال:  
ان مفاهيم نهج البلاغة تستطيع ان تبني الانسان الكامل الصالح.  
لقد حاول البعض التشكيك بنهج البلاغة حتى يبعدوا نهج البلاغة وصاحبه عن ساحة الوجود وميدان المجتمع.  
كما يفهم أفراد المجتمع ما هو نهج البلاغة يجب أن يتوجه كل فرد الى نهج البلاغة، ليعود نهج البلاغة الى المجتمع. ومن هنا كان لزاماً ان توجد مؤسسات وموسسات لنهج البلاغة. وأنمنى أن يبيق هذا العمل على أساس علمي وفني. وكنا نبحث عن جهة تنفس بهذه المهمة. كما تنتظر الأوامر من القيادة لكي تؤمننا بهذا العمل. وقد صدرت هذه الأوامر فعلاً من القائد الكبير وأوكل الامام الخميني مهمة نهج البلاغة الى هذه المؤسسة.  
نأمل من المشتركين في هذا المؤتمر أن يدركوا أبعاد نهج البلاغة الفكرية

والثقافية والاجتماعية والعسكرية، وان يعرضوا هذا الكتاب على المجتمعات الفكرية، لأنه موجه الى كل الناس، والى كل ذي عقل وفکر.  
إننا في موسعة نبع البلاغة نفكري في إعداد موسوعة علمية، تستطيع ان تعرف القارئ، بموضوعات نبع البلاغة، ونحن جادون في هذا العمل، رغم ما يحتاجه من جهود واسعة وأعمال شاقة.

وقد وضعنا تصنيفاً يقسم موضوعات نبع البلاغة الى ٣٠٠ موضوع، بحيث نعطي لكل عالم موضوعاً ليتحققه ويبحث فيه. وان نتائج التحقيقات والدراسات تعرض على هذا المؤتمر وأمثاله، ثم تطبع وتقدم للجمهور.  
وبالنسبة لهذا المؤتمر، فقد جرى الاهتمام بعدها بمجموعة موضوعات، ستتعقّل عليها من خلال الكلمات والمحاضرات والندوات التي ستقام.  
وان المسائل المطروحة للبحث ليست بعيدة عن حاجه المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر.

أشكر كل من ساعدنا في هذا المؤتمر، ولاسيما وزارة الخارجية ووزارة الارشاد الإسلامي.

(٦) نشيد عربى: ثم انتظم أحد عشر طالباً ابتدائياً، يوشّحون صدورهم بالعلم الاسلامي الايراني، وقد لبسوا على رؤوسهم قبعات عسكرية مبرقة، وبدأوا ينشدون:

ظهر الدين المؤيد      بظهور المادي أحد

(٧) قصيدة للشاعر السوري الاستاذ عبد الرحيم الحصني، وجاء فيها:

<p>ماذا أقول مردداً يا حيدر من بحر علمك نستمد ونزأر وكثير فضلك لا يمدة وبعصر طه الأمين بما يحيّب ويتوّتر قولاً جلياً عن نداك يعبر دون الحقّيّقة عاجز ومقصّر</p>	<p>آيات فضلوك من بياني أكبر منك البلاغة والبيان وكلنا فبأي قافية أفيك حبي باسيد البلغاء يامن خضه كم شاعر قبلي أمامك لم يجد يتتسابقون الى علاك وكلهم</p>
---	---

ذُنَ الْمُدِينِ مَتَى يَهَابُ وَيَعْذِرُ  
 شَعْرِي فَعْجَزِي عَنْ سَنَاكَ مُبَرِّ  
 كَيْا أَفْيَكَ، فَسَانِي لَا أَقْدِرُ  
 وَإِذَا حَكَّتْ فَانَ حَلْمَكَ أَكْبَرُ  
 مِنِي تُسْرِرُ عَلَى هَدَاكَ وَنَجْهَرُ  
 بِهِمَ الزَّمَانَ مَوْزَجٌ وَمَعْطَرٌ  
 مَشْفَفًا بِحَبْكَ فِي الْمَيَا وَكَبْرُوا  
 لَكَ يَا إِيمَامُ، وَكُلُّ أَرْضٍ مَنْبَرُ  
 وَلَنْكُوكُمْ شَرْفَ الْيَقِينِ مَقْدَرُ  
 لَزَمُوا هَدَاكَ بِأَكْبَدِ تَنْفَطَرِ  
 إِلَى لَدِيكَ وَغَنِنْ بِاسْمِكَ نَفْخَرِ  
 مِنْكَ الْكَارِمُ فِي الزَّمَانِ تَحْذَرُ  
 اطَّلَلتُ فِيهِ عَلَى الْبَرِّيَّةِ تَقْمَرُ  
 سَمْعَ النَّدَاءِ شَبَابَهُ التَّفَجَّرِ  
 فِيهِ الشَّهَامَةُ وَالرَّجُولَةُ تَزَخَّرُ  
 لَاقْتَ بِسَيِّفِكَ فِي الْمَعَارِكَ خَبِيرُ  
 لَوْلَا يَدَاكَ وَأَنْ زَنْدَكَ مَشْهُرُ  
 بِجَلْبِلِ قَدْرَكَ عَاجِزٌ مَتَعْذِرُ  
 لِلْمَكْرُومَاتِ فَرَشَدَ وَمَبَشِّرُ  
 مَهْرًا لَحِيٌّ وَالْمَهْبَةُ ثُمَّهُرُ

سَلَكَتْ مَهَابِتَكَ الْعَقُولُ وَرِبَّا  
 عَفْوًا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا كَبَّا  
 لَوْسَتْ أَنْشَدَ مَا حَيَّبَتْ قَصَانِدًا  
 فَإِذَا عَثَرْتُ فَانَ وُرْدِي دَافِقٌ  
 حَبِي اعْتَزاً أَنْ كُلُّ خَلْيَةٍ  
 وَافَيَتْ فِي ذَكْرِكَ عَفْلَ إِخْرَوَةٍ  
 عَرْفُوكَ مَعْرِفَةَ الْبَصِيرَ فَهَلَّوْا  
 وَسَعْرَا إِلَيْكَ فَكَلِّ هُنْ صَيْحَةٍ  
 بِجَمَاهِيمِ أَثَرَ السَّجُودِ مَتَرْجَمٌ  
 وَعَلَى الْمَهْبَةِ وَالْمَسْوَدَةِ وَالْوَفَا  
 بِسَيِّدِي سَبِيلَ النَّجَاهِ عَزِيزَةٍ  
 بِابَابِ عَلِمِ اهْشَامِي مُحَمَّدٌ  
 جَثَنَا نَشَارَكَ خَاشِعِينَ بِمَوْلَدِ  
 لِمَا خَلَصَتْ فَكَنْتَ أَوْلَ مُؤْمِنٌ  
 وَوَقَفْتَ لِلْإِسْلَامِ حَصْنَاً وَاقِيًّا  
 بِيَاهُولِ مَا شَهَدْتَ وَمَا حَالْتَ وَمَا  
 مَا ذَوَالِفَقَارِ وَحْدَهُ وَمَضَاؤَهُ  
 بِسَيِّدِي عَذْرًا فَانِي هَامِ  
 بِإِخْرَوَةِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ضَمَّهُمْ  
 مِنْكُمْ إِلَيْكُمْ جَثَتْ أَهْلَ مَهْجَيِ

(٨) كلمة الاستاذ لبيب بيضون عن أعمال بنادق نهج البلاغة وضرورته، وقيمة نهج البلاغة وصلته به. وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله

أهدى سلامي وأبعث تحياي وأذف أشواقي ...

إلى من ذلك عروش الطاغوت والكفر، على أنغام الفتح والنصر

إلى من طارد فلول الباطل والضلال ليبني صروح الإيمان والكمال

إلى باعث الأبعاد بالهمم الشداد، على طريق الحق والسداد

إلى أمين الأمة وإمام الكلمة

روح الحق وريحانه، ورحمته ورضوانه

(روح الله الخميني)

إلى رجال الحرب والجهاد، ودعاة العزة والحرية والرشاد، من أتباع علي والسبطين

والسجاد، وأبي ذر وعمار والمقداد.

إلى اللبوس الصامدات، والشريفات الفاضلات، حفيدات فاطمة الزهراء، وزينب

الكبرى، عقيلة الماشيات اللواتي شيدن حيد الخلال والخصال، في نفوس الشبان

والأطفال، حتى قدموا للحياة الرجال، ودفعوا إلى الوعى الابطال، فلقنوا دروس

الكرامة للاجيال، وأحيوا في القلوب جذوة الآمال.

إلى شهداء الصدق الذين لم ير الكون مثليهم بذلاً ولرأى الثقلان. آثروا الموت ليبق

الدين والاسلام راسخ البنيان، واستجابتوا لنداء الله، خالق البرايا والأكون. الرحمن

علم القرآن، خلق الانسان، علمه البيان. الذي خلق الارض، ورفع السماء، وضع

الميزان: بأن الجرم المعتمدي في جهنم يتقلب في النيران. والشهيد في مقعد صدق عند ربه

خالد في الجنان.

محيات من شعب سورية الى شعب ايران، تأكيداً للجهاد المشترك ضد العدوان... ومن جبل قاسيون الى جبل شميران، ذرورة الشم والاسلام، وقة الولاء والاعيان، في يوم مولد الامام، أمير المؤمنين علي عليه السلام.  
و بهذه المناسبة الكريمة ألقى عليكم بعض الاشعار من متحمة نظمتها في مدح أمير المؤمنين والأئمة الاطهار، وهي بعنوان (القصيدة المصباء). قلت:

فدونك الحق آن البيت فاحتسب  
جني قطوف المدى والعلم والأدب  
بكل زوج يبيح اللون مرتفع  
ما ئير الحق والأجداد والحسب  
وفي الصدور معين غير منتصب  
كبلاتعيش رهن الثك والريب  
ووجدت فيه منار الحق لم يغب  
رمز الحقيقة في الأزمان والحلق  
والرسالة نبع دائم الصيب  
من كل رجس فعازوا علي الرتب  
حصن حمين يق من اعظم الكرب  
إلا سفينتهم طافت ولم تنصب  
يجلون غامض ما قد غاب في الحجب  
وكل قوهم آي من الكتب  
والصفح عندهم فرض ولم يجب  
إن هزّها سب جاده بالرطب

\* \* \*

دع الجدال ولا تسأل عن السبب  
آل الرسول ومن في الناس غيرهم  
باكرة المصطفى في روضهم زخرت  
فاصبحوا في المعالي دوحة جمعت  
في وجههم آية التوحيد مشرقة  
لاترج غيرهم في كل معضلة  
إن غاب عنك بريق الحق في زمن  
تبديل الحق تبدلوا وما برحوا  
هم للنبوة فجر موئق أبداً  
صل الإله عليهم حين ظهرهم  
هم الأمان من البلوى وحبيهم  
هاج المحيط فكل السفن غارقة  
هم حجة الحكم أقضى المثلق قاطبة  
في كل حكم لهم أي ومعجزة  
أصل الندى والإبا والكل فرعهم  
تارعهم دوحة للحق باسته

صنو النبي وباب العلم والأدب  
ويشتمي لعله كل فتسب  
نقشت بصحتها الآيات في الكتب  
فلا وربك لا ينجو من العطب  
نجم يطاؤله في الأنجم الشهب  
هو الامام بلاشك ولاريب  
أن ينكروا فضله في كل منقلب  
به الأعادي على رغم من الكذب

معدن العلم والتقوى وحبهم  
من فيه قد أفاضت كل مكرمة  
قلها مدوية بالحق صارخة  
من لا يواли علياً في عقيدته  
هو العلي على كل وليس له  
هو الأمير وسايق الحوض منفردًا  
أعداؤه شهدوا بالحق اذ عجزوا  
وكيف يُنكر فضل لفقى شهدت

أن الروائع ما إن تخفها تطلب  
ختال مشرقة مشبوبة اللهب  
لنفسه نسباً في كل منصب  
كأساً قد ارتفعت من مجده الرب  
وغيره قطرة في العلم لم يُصب  
إمام كل الورى في كل مطلب

قد حاولوا كتمها دوماً وما علموا  
وكيف عكنهم طماً لشمس ضحى  
نهاية النهبي فالكل يطلب  
وكل نابفة من بعده ظهرت  
جماع العلم دانت في القياد له  
هو الفضل قطعاً لأمشيل له

### المهرجان الأولي لنجع البلاغة:

#### أيها المستمعون الأكارم

لقد أثاحت لي مؤسسة نهج البلاغة اللقاء بكم منذ ستين في المهرجان الأولي الأول لنهج البلاغة. وهناك تعرفت على هذه المؤسسة الكريمة، التي تعمل برئاسة أخي حجة الاسلام السيد جمال الدين دين برور، تلك المؤسسة التي يمتد تاريخ تأسيسها الى سبع سنوات خلت، حين شعر الاستاذ الشهيد مطهري رحمه الله بال الحاجة الملحة الى هذه المؤسسة، فأنشأها بتوجيهه ورعايته لشعوره بقيمة نهج البلاغة في حياة الأمة والثورة.  
ولما اندلع فجر الشورة الاسلامية المباركة، كانت هذه المؤسسة موضع عناية المسؤولين ودعمهم، حتى بدأت تؤتي قطوفها يانعة باذن الله.

#### بنياد نهج البلاغة:

البنياد كلمة فارسية اشتقت من الكلمة العربية (البيان) وتعني البناء والانشاء والتأسيس.

يقول النبي الرايم (ص): «المؤمن للسمون كالبيان يشد بعضه ببعض» وإن أعضاء مؤسسة نهج البلاغة هم كالبيان المرصوص يشد بعضه ببعض، خدمة ونشر كلمة الله من طريق ولی الله الامام علي (ع)، الذي كان كلامه بعد النبي (ص) فوق كلام الخلق ودون كلام الخالق.

وينضم الى أسرة بنياد نهج البلاغة هذا العام، ثلة مؤمنة من مفكري وعلماء الدول العربية والاسلامية، الذين جاؤوا الى مهرجان قلب الاسلام، ليقدموا ما تجود به

فراحتهم من علوم نهج البلاغة وفتونه، يريدون بذلك اظهار بعض جوانب هذا الخطيب الزخار، الذي أنعم الله به علينا عن المسلمين، بعد النعمة الكبرى التي جاء بها النبي (ص) من قرآن وحديث.

وكما كان الامام علي (ع) نفس رسول الله وصنه ونظيره، فإن كلام علي (ع) هو نفس كلام النبي (ص) وصنه ونظيره، لا يفتران مدى الدهر، كما أخبر العزيز الخين حتى يردا حوض الكوثر.

ان الملحوظ في تاريخ الاسلام، ان المسلمين لم يعطوا نهج البلاغة حقه من الرعاية والدراسة، والتفهم والدراسة، وهذا من قلة حظهم وسوء طالعهم. ولا عجب في ذلك، فتى كانوا قد أنصفو أهل البيت (ع) وعرفوا حقهم في حياتهم، حتى يعرفوا حق علومهم وكلماتهم؟ تلك الكلمات النصوح التي لو استرشد بها المسلمين وساروا على هديها والتزموا بمنصائحها، لماضوا عن الطريق، ولماستوجبا من ربهم عذاب الحريق، ولكنوا خير أمة أخرجت للناس، لأن التمسك بالنقلين وما القرآن والعترة، هو النجاة من الشرق والأمان من الضلال وأفلاك. ومارأيت أحداً التزم بصراطهما المستقيم، وسار على هديها القوم، فضاع عن جادة الصواب، وخسر نفسه يوم الحساب.

وكم قال الشاعر سعدى الشيرازى:

كس نديم كم شد ازو راست.

(مارأيت أحداً يضل في الطريق السوقي)

### قيمة نهج البلاغة

من هنا تأتي قيمة نهج البلاغة، فهو باب الاسلام الكبير الذي نستطيع منه أن نطل على حديقة الاسلام ونقطف زهرة ووروده. إنه نهج الحياة، نهج السعادة، نهج الدين، نهج الاخلاق، نهج العزة والكرامة. انه المنهل الصافي لفهم الاسلام، والطريق المستقيم لمعرفة الامان.

اما من الناحية الثورية، فقد كانت حياة علي (ع) كلها ثورة، ثورة ضد الكفار في حياة النبي (ص)، وثورة ضد المستكرين ومن أجل نصرة المستضعفين من بعده. لذا كان كتاب نهج البلاغة كتاب الثورة الصحيحة في جميع أبعادها، في تحقيقها وإيجادها، ثم في ترميختها والمحافظة على مكتسباتها وانجازاتها.

ان نهج البلاغة هو سبيل تحرير النفس ودفعها الى الاسلام الصحيح ليتحقق قوله وينشر نوره. وان الشورة الايرانية بعد أن قامت بواجبها الاول في تحرير الأرض والوطن من أرجاس المتدلين البغاء، عليها أن تصرف الى تحرير النفس وتربيتها على الحق وتزويدها بروح الاسلام، إذ بقية النفس تستطيع الجماد والكافح والانتصار على الأعداء، كما تستطيع نشر عبير الاسلام في أرجاء الارض.

### مسؤولية مؤسسة نهج البلاغة:

وتنظرها هنا أهمية مؤسسة نهج البلاغة والمسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقها، فإنَّ من أول أهدافها استقطاب علوم النسب ومعارفه وكل ما يحيط به بصلة، ودراسة تلك الأفكار ثم طبعها ونشرها وتقديمها الى الجمهور الاسلامي وغير الاسلامي في كافة أنحاء المعمورة، حتى يتطلع عليها القاصي والداني، فتكون للمؤمن زيادة في ايمانه، ولغير المسلمين دعوة له الى الامان والاسلام.

وان ماحققتها مؤسسة نهج البلاغة في السنوات الوجيزة من عمرها، لتعتبر مفخرة للتفكير والاسلام. فبعد أن طبعت كل الدراسات المتعلقة بالنسب، أقامت المهرجان الالفي لنسب نهج البلاغة عام ١٤٠١هـ حيث اشتركت فيه عشرات العلماء والمفكرين، وكان تظاهرة ثقافية اسلامية لم يشهد لها مثيل في البلاد الاسلامية عدا عن البلاد العربية. وقد طبع البيان كل المواضيع التي أقيمت في ذلك المهرجان. ثم وضع خطة مستقبلية لاستكمال البحوث الشاغرة التي لم يتناولها الأقدمون بالدراسة رغم قيمتها واهميتها، لبستان الكل الدراسات النهيجية، فتصبح الاستفادة كاملاً من النسب. وذلك اضافة الى تأسيس مكتبة عامة، كانت غرساً في الماضي، ثم أضحت دوحة يتفاً ضلالها الدارسون والباحثون كلما أرادوا.

### علاقتي بنسب نهج البلاغة

أرجع للحديث عن علاقتي بنسب نهج البلاغة، وما استطعت أن أقدمه في هذا المجال. لقد كان والدي وهو يودع الدنيا يقول: عار على المسلمين أن يصنف قرآتهم رجل أجنبي مثل جول لا بوم، وعارض على الشيعة أن لا يوجد فيهم من يصنف نسب نهج البلاغة. لقد تأثرت كثيراً من كلام والدي المرحوم، وقررت بعد وفاته أن أحقق رغبته، فعملت

من عام وفاته في ١٣٨٩هـ - وحق عام ١٣٩٨هـ، حتى ألفت كتاب (تصنيف نهج البلاغة) وهو كتاب يبوب مواد النهج حسب الموضوع، بحيث يسهل على القارئ التعرف على علوم النهج وموضوعاته، ويعطيه المادة الالازمة لكل موضوع. وقد طبعت هذا الكتاب في دمشق، وصدر في ١/رمضان المعلم سنة ١٣٩٨هـ، ووصلت بعض النسخ منه الى ايران.

وكان تأليف هذا الكتاب سبباً لدعوي الى المهرجان الالهي لنهج البلاغة، حيث قدمت موضوعاً علمياً حول نهج البلاغة، يتناسب مع اختصاصي، وهو (علوم الطبيعة في نهج البلاغة). وقد طبع البياد هذا الكتاب ثم ترجمة الى اللغة الفارسية.

أما هذا العام فقد اشتراك بمحاضرين هما:

الاول: المرأة في الاسلام ومن خلال نهج البلاغة - ٥٠ صفحة

الثاني: الفقر- أسبابه وعلاجه

وسوف يقف الاخوة المستمعون على مضمون هذين الموضوعين في الندوات القادمة  
إنشاء الله.

والى اللقاء في الأيام القادمة، والسلام عليكم ورحمة الله.

## ٩- محاضرة لأية الله خزعلي حول:

### (الخطابة منظار نهج البلاغة)

يتميز الانسان بنعمة البيان، وهو انواع:

١- بيان عادي كالكلام الذي يدور بين الناس.

٢- الكلام الذي يبين الحقوق والقوانين، وهذا يجب أن يكون دقيقاً واضحاً.

٣- بيان الخطابة: وهو يستهدف نقل الفكر الى المستمعين بشكل دقيق، ويجب ان يكون طرح هذا البيان وفق العواطف التي توثر في المستمع بشكل عميق، بحيث تدفعه الى العمل والتطبيق.

الخطيب هو الذي يستطيع ان يعطي مثل هذا التأثير.

لقد استخدم الخطباء والتكلمون نهج البلاغة لكل هذا التأثير. واعترفوا بعجزهم أمامه، وقالوا ليس هناك نظير لمثل هذا الكلام، إنه فوق كلام الناس. فلننظر قصة

كلام علي(ع) وتأثيره.

الباحث أحبب يقول الامام(ع): «قيمة كل امرئ ما يحسن» وقال في كتابه البيان والتبيين ج ١ ص ٤٧ مانصه:

فلولم نقف من هذا الكلام إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية وجزية معنية، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية.

وفي هذه الكلمة الثانية قال الشريف الرضي في النجح (الحكمة ٨١): وهي الكلمة التي لا تصاب لها قيمة، ولا توزن بها حكمة، ولا تقرن اليها كلمة. أما طه حسين فحين يصل إلى موقعة الجمل، يضع اصبعه على أولئك الذين لم يعقلوا الاسلام بشكل جيد، ووقفوا ضد علي(ع). انه يقف أمام مسألة طلحة والزبير واحتلما بهما مع الامام، ويتعجب من هذا الاختلاف. ويدرك قول الامام (ع) عن الحق:

«لام يكن معرفة الحق من أنفواه الرجال، انا اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف أهله.»

ثم يقول: اني لم أسع اعظم من هذا الكلام.

أما الشريف الرضي فقد كان أدبياً وبليغاً، وحين يصل إلى الخطبة ١٦ من نجح البلاغة، وفيها قول الامام(ع) عن الحق والباطل:

«حق وباطل، ولكل أهل، فلن أمر بالباطل لتقديماً فعل، وللن قل الحق فلرما ولعل، ولقلما أدر بشيء فأقبل.»

يقول: ان في هذا الكلام الأدنى من موقع الاحسان مالا تبلغه موقع الاستحسان. وان حظ التجاذب منه أكثر من حظ العجب به، وفيه زواله من الفساحة لا يقوم بها لسان ولا يططلع فجها إنسان، ولا يعرف ما أقول إلا من ضرب في هذه الصناعة بحق، وجرى فيها على عرق (وما يعقلها إلا العاملون).

ان هذا الكلام يحيط الشريف الرضي ويأخذ به، ويؤكد أن هذا البيان لا يمكن أن يأتي به غير الامام علي(ع).

وفي آخر الخطبة ٢١ من النجح، وفيها قوله(ع): «فإن النهاية أيامكم، وإن وراءكم الساعة تحذوكم. تخفوا تلحوظاً، فاما يتضرر بأولكم آخركم.»

يقول الشريف الرضي: ان هذا الكلام لو وزن، بعد كلام الله سبحانه، وبعد كلام رسول الله(ص)، بكل كلام مال به راجحاً، وبرز عليه سابقاً.

فاما قوله(ع): «خففوا للحقا» فأشعر كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر منه عصولاً، وما بعد غيرها من كلمة! وأنفع نطقتها من حكمة.

وقد أثر عن النبي(ص) قوله: إن من البيان لسحراً. وقصة ذلك أن عمرو بن الأهم التميمي كان مع الزبيرقان بن بدر وجماعة من دهاء العرب بحضورة النبي(ص). فقال(ص): أني سمعت بأن الزبيرقان أفصح العرب فاتقولون فيه؟ فقال عمرو: مطاع في أدنيه، شديد المعارضة، مانع لماوراء ظهره. فقال الزبيرقان: يا رسول الله، انه ليعلم مني أكثر من هذا، ولكنه حسدي. فقال عمرو: أما والله يا رسول الله إنه لزير الروءة (أي قليلها)، ضيق العقون (أي بخيل)، لئيم الحال، أحق الوالد. وما كلبت في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى، ولقد رضيت فقلت أحسن ما علمت، وسخطت فقلت أسوأ ما علمت.

قال رسول الله (ص): «إن من البيان لحراً، وإن من الشعر حكماً». ومن أكثر خطب الإمام (ع) تأثيراً الخطبة الغراء رقم ٨٢، ومطلعها: ألم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام، وشفف الأنوار.. آخرها: قبل الفتن والمحنة، والروع والذهول، وقبل قدم الفائز المتضرر وإخدة العزيز المقتدر. قال الشرييف الرضي بعد هذه الخطبة: وفي الخبر أنه لما خطب (ع) بهذه الخطبة، اقشرت لها الجلود، وبكت العيون، وبرحفت القلوب.

ومن ذلك الخطبة رقم ١٩٣، حين سأله هام عن صفات المتقين، فأجابه قائلاً:  
ياماً هام اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ (فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم عصانون). لكن هام الذي  
كان يعرف علوم علي(ع) لم يقنع بهذا الجواب وسألة ثانية. فلما ذكر له صفات المتقين  
بالتفصيل خرَّ صاعقاً. قال(ع): أما والله لقد كنت أخافها عليه. ثم قال: هكذا تصنع  
الوازع العالِي بالغاً بأهله.

هذا وإن كلام علي(ع) يمثل قمة البلاغة، وفي ذلك يقول ابن أبي الحديد: انظر إلى  
البلاغة كيف تنتظم فيها الكلمات ...

ومن ذلك قوله (ع) في وصف عثمان وصحبه: بين نشلهم ومعتله. فكانه يقول: إن هؤلاء قد أضاعوا القيم الإنسانية، وأصبغوا كالحيوانات، ليس مهمهم إلا اشباع شهواتهم.

ومن ذلك قوله(ع) في آخر الخطبة الشفചية: «وما أخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كيظة ظالم ولا سبب مظلوم». فأين علماء المسلمين اليوم من هذا، وبعض الدول

الاسلامية تتبع عشرات الملايين من براميل النفط، وهناك كثير من بيوت المسلمين ليس عندهم نفط ليقدوا السراح في الليل. هذا أبغض الظلم.

وقال(ع) في الخطبة رقم ٣١ عن عثمان: «استأثر فأساء الأترة». وإن عظمة ايران اليوم أتت من أن عالماً عظيماً لم يخف الطاغوتين، ولم يطلب لنفسه شيئاً، بل قام ليهلك الأعداء والكفار ليثبت أن الاسلام أكبر من كل طواغيت الارض.

وقال(ع) في ذم أهل البصرة بعد موقعة الجمل: «كنتم جند المرأة، وتابعوه البشيمه. رغافاجبهم، وعقر فهربتم».

ولننظر الى هذه الكلمات التي قال فيها الرضي بأنها لم تسمع من غير علي(ع). وقال ابن ابي الحميد فيها: انه يتصرف بها فينظمها كالقلادة والعقد، بياناً لبراعته وقوفة تأثيره فيها:

«ولكن إلتزبي، فانه ألين عريكة، فقل له: يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق، فاعداً معايداً!؟».

ومؤدي هذا الكلام أن الامام(ع) أراد أن يحل المشكلة مباشرة بينه وبين الزبير بدون تدخل الغير.

ثم لنتظر الى قول علي(ع) لأصحابه حين منعهم معاوية الماء: «قد استطعكم القتال، فأقرروا على مذلة، وتأخير حلقة، أو رقوا السيف من الدماء ترموا من الماء، فالموت في حياتكم مقتورين، والحياة في موتكم فاهرين». (الخطبة رقم ٥١).

فهو(ع) لم يقابل معاوية بالمثل حين ملك مشرعة الفرات، لأنه مقيد بمحاجة به الاسلام.

ان طريقنا هو طريق علي(ع).

واعلموا أيها الطغاة البغاء أنكم ستواجهون داثناً من يقولون: لا إله إلا الله، وسوف يلقونكم درساً لا تنسونه أبداً.

ان الامام(ع) في كلامه لكييل بن زياد يقسم الناس الى ثلاثة أصناف:

١- همج رعاع

٢- حلة للدين غير ملتزمين به.

٣- العلماء الربانيون الأنقياء.

والامام (ع) باعتباره عالماً ربانياً زهد بالحياة، ولكن زهده لم يدفعه الى الانعزال

عن الدنيا، بل انه مع زهذه مارس الحياة بكل مرافقها، مارسها كما أراد وليس كما تريده. وكان من مبتدئه ان يشارك الفقراء والماجذبين والمستضعفين، حتى يحس بأحساسهم ويستطيع مد يد العون اليهم، وفي ذلك يقول(ع) : «أأقتعن من نفسي أن يقال هذا أمير المؤمنين ولاأشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون لهم قدوة في جشوبة العيش..» لقد كان همه أن يشارك الناس في كل عندهم ومشاكلهم. ونحن عاملون على نهجه وسائرون على هديه.

اللهم ألمينا السير على هدى علي(ع) وأن نخلص كل المستضعفين في العالم، كما كان يصلح علي(ع).

• • •

## **المؤتمر في يومه الثاني:**

**١- القرآن الكريم**

٢- نشيد وقد أنشده سبعة طلاب من الحلقة الثانوية.

٣- ندوة حول (مكافحة الفقر بمنظار نسج البلاغة)

اشتركت فيها السادة:

الدكتور محمد خير الحلواني (من سوريا)

الاستاذ عبدالرحيم الحصني (من سوريا)

الاستاذ لبيب بيضون (من سوريا)

حجة الاسلام السيد جمال الدين دين برور

وسوف اقتصر على الكلمتين الاخرين.

٤- كلمة الاستاذ لبيب بيضون: وهي معالجة للسؤال التالي:

الى جانب دعوة الاسلام الى مكافحة الفقر، نجد ثمة دعوة الى الزهد والترفع عن متاع الدنيا. فكيف توفق بين الدعوتين؟

**بسم الله الرحمن الرحيم**

السلام على الوجوه الغر الميامين، من أتباع أمير المؤمنين، وقائد الغر المحبلين، تحت  
لواء الحمد الى جنات النعيم. حشرنا الله واياكم في زمرة محمد وآل محمد، صلوات الله  
عليهم اجمعين.

للجرأب على هذا السؤال حول مكافحة الفقر والدعوة إلى الرهد، لابد أن نلاحظ أن للفرد معانٍ مختلفة، وللغنى معانٍ مختلفة أيضاً. ولذلك نحن نقول: الفقر المدحور والفقير المذموم، ونقول الغنى المدحور والغنى المذموم.

فالشارع الحكيم لا يستذكر الفقر ويعاول مكافحته إلا عندما يكون هذا الفقر سبباً لقلة الدين والخروج عن مرضاة الله تعالى. لذلك كان الفقير المتعفف الصابر ممدحأ، ومفضلاً على غيره.

وكذلك فإن الشارع الأقدس لم يستذكر الغنى ويعاول مكافحته، إلا عندما يكون هذا الغنى لغير الله، أما إذا استخدمه صاحبه لطاعة الله كان مدحوباً.

وعليه فإن معيار التفضيل في الإسلام هو في مدى ارتباط الإنسان بالله، سواء كان في حالة اليسر أو في حالة العسر. وما الغنى والفقير إلا شكلان من أشكال الامتحان الالهي للإنسان، ليظهر مدي توجيهه إلى الله وأرتباطه به.

وعلى هذا التحوفانا لانرى أن معنى الرهد الذي دعا إليه النبي (ص) والأمام (ع) هو الخلو من متاع الدنيا ومادياتها، وإنما هو أن لا يرى الإنسان لتلك المتع أي قيمة في نظره إذا ما قورنت بطاعة الله تعالى، فيستخدمها لخدمة الله وارضائه. فإذا هو خرج من عبودية المادة إلى عبودية الله كان زاهداً حقيقة، ولو كان يملأ الدنيا بأسرها.

وعلى العكس من ذلك، إذا كان المرء فقيراً وكانت نفسه متعلقة بالدنيا، لم يكن فقره ليدل على أي معنى من معانى الرهد.

أما الغنى الحقيقي فهو ليس غنى المال، إنما هو اليقين بالله. فالمؤمن يستمد غناه الحقيقي من الله، ويتحقق ذلك الغنى كلما ازداد يقينه بالله.

وتبدو النهاية التي تسيطر على نفس الإنسان وفق اتجاهين: نوازع تدفعه نحو الله، ونوازع تدفعه نحو المادة والشهوات. وبقدر تحرر الإنسان من ربقة الشهوات وتوجهه إلى الله يصبح غنياً. لأنه عند ذلك يستغني عن كل شيء في الوجود ما خلا خالق الوجود. وعندما تصبح كل الأشياء في نظره حقيرة أيام الله تعالى.

يقول الإمام علي (ع): «إنَّ من حقِّ من عظم جلال الله سبحانه في نفسه، وجلَّ موضعه من قلبه، أن يصفر عنده كُلُّ مساواة. وإنَّ أحقرَّ من كان كذلك لمن عظمتْ نعمَّة الله عليه، ولطفَ إحسانَه إليه. فإنه لم تعممْ نعمة الله على أحدٍ إلَّا ازدادَ حقَّ الله عليه عظيماً» (الخطبة ٢١٤ بـ ٢١٤).

وفي هذا المعنى أروي لكم القصة التالية:

ان شخصاً سمع بزاهد، فأراد أن يزوره، ولما قدم عليه وجده يعيش في قصر فخم، ومن حوله الرياش والخدم. فقال له: عجبت من أمرك ، وقد سمعت أنك زاهد، وما أرى آثار ذلك عليك! . فقال الزاهد: ليس الزهد أن لا تملك المال، وإنما الزهد لا يملك المال. ولقد ألم الله علي بهذه الحيرات التي ترى، وأنا أعمل على إنفاقها في سبيل الله، وأسخرها لقضاء حوائج عباد الله، وأرى أن وجودها عندي وعدم وجودها سيان.

ويسمى الفقر الذي يصبح فيه الإنسان غير مفتر إلـى الله (فقر الصالحين) وهو أرق درجة يبلغها المؤمن في معارج الفضيلة والصلاح والسمو والفلاح، حيث يترفع عن مؤشرات الدنيا الفانية، زاهداً بظاهرها الزائلة.

لتستمع إلى الفيلسوف الإسلامي الكبير الدكتور محمد اقبال، الذي كتب بعض أشعاره على محارب هذه الخسينية، يصف لنا هذا النوع من الفقر، الذي هو الغني الحقيقي، فيقول:

ما هو الفقر الذي الأرفع  
وارتواء القلب من عين اليقين  
هامة الجوزاء من أعلى خطأه  
ليس غير الله في الكون إليه  
ليس سكر النفس في موت الرجاء  
فقرنا معناه تسخير الوجود  
يخجل الشمس ويزري بالقمر  
إنه زلزال تكبير الحسين  
قم وأسلع نسوة للعالمين  
أن هذا الفقر هو الذي دفع إلى الجماد أهل بدر وحنين، وهو الذي دفع إلى  
كرباء الشهادة مولانا الحسين، وهو الذي يدفعكم اليوم إلى تطهير الأرض الإسلامية  
من رجس الكافرين والمنافقين.

ولقد ضرب الامام علي(ع) أروع مثل على هذا النوع من الزهد، حين طلق الدنيا ثلاثة، حتى أصبحت في نظره لا تعدل عفطة عن، والعنفة مائشة العزة من أنفها اذا عطست. وقد حكى ذلك علي(ع) في آخر الخطبة الشقشيقية في معرض حديثه عن الخلافة فقال:

«أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناشر، وما أخذ الله على العلماء في أن لا يقاروا على كفحة ظالم ولا سبب مظلوم لأنقيت حبيلها على غاربها (يشبه الخلافة بالنافقة)، ولست آخراها بكأس أولها، ولأنقيت دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عن».

صدق ولي الله  
والسلام عليكم ورحمة الله

#### ٥ - كلمة حجۃ الاسلام السيد جمال الدين دین بروو:

كيف كافح الامام(ع) الفقر؟

لمكافحة الفقر رکز الامام علي(ع) على ثلاث نقاط هي :

١- التشديد على اتفاق المال، والوقوف بوجه سوء الاستفادة المالية.

٢- التوزيع العادل

٣- المحاسبة الدقيقة في الامور المالية

#### النقطة الاولى: التشديد على اتفاق المال

كان الامام علي(ع) يدقق في انتخاب الاشخاص المناسبين لتعيينهم كولاة. وبعد تعيينهم كان يدقق ويراقب عملهم دافعاً، حتى لا يتضيّع بيت المال هدراً. وكان ينظر باستمرار الى كيفية اتفاقهم لبيت المال.

قال (ع) في الرسالة ٤٠ من النهج لأحد ولاته:

«أما بعد، فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد اسخطت ربلكه وعصيت إماملكه وأخزيت أمانتك... إلى أن يقول: فارفع إلى حسابه واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس، والسلام».

والامام(ع) يدقق كثيراً على كل واٍ، مع أنه هو الذي ولاه، حتى يحفظ المال

وحق أصحاب المال.

### النقطة الثانية: التوزيع العادل

التوزيع حسب حاجات الأفراد في المجتمع.

ان الإمام(ع) في الخطبة ١٠٤ يؤكد على هذه المسألة فيقول:

«وانظر إلى ما يحصل في المجتمع عندك من مال الله، فاصرفة إلى من قبلك من ذوي العيال والجاعة، مصيباً به مواضع الفاقة والخلوات. وما أفضل عن ذلك فاحمله علينا لنقسمه فيما بيننا»

وفي الرسالة ٢٥ يقول لأحد جيشه المسؤول عن جمع الهدقات:

«ثم احمله علينا (أي منينا سريعاً) ما يحصل في المجتمع عندك، نصيحته حيث أمر الله به»  
ولاتظن أن هذا المال هو تمحّط تصرفك تصرفة حيث شئت، إنك مسؤوال فقط عن جمع المال، ثم ترسله إلى بيت المال، حتى توزعه على أهله بمعرفتنا، وفق المواريثات الشرعية.

### النقطة الثالثة: الحاسبة الدقيقة

اذكر جلا رائعة انتقيتها من النبیح، وهي تقع تحت عنوان: من أین لك هذا؟  
ومعناها أن الذين جعوا الثروات وتركت عندهم، هؤلاء يجب أن تدرس أوضاعهم بدقة، اذ كيف يجتمع عند شخص ملايين الليارات وغيره معدم؟ يجب أن ندرس المصادر التي جمع منها المال، حتى لا يكون جمه من طريق الحرام غير المشروع.  
رُفع إلى الإمام(ع) أن أحد ولاته قد أساء استعمال المال، فبعث إليه الإمام(ع)  
هذه الجملة القوية الشديدة من الرسالة ٤١: «واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصنونة لأراهم وأيتامهم، اختطاف الذئب الأذل (أي السريع) دامية المزى الكثيرة، فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله، غير متأثر من أخيه، كأنك لا بالغريك. حدرت إلى أهلتك تراثك من أليك وأملأه فسبحان الله! أما تومن بالمعد؟ أو ما تخاف نقاش الحساب؟!».

من هنا يتبيّن أن المجتمع الإسلامي يجب أن يقوم على مراقبة دقيقة لصرف المال.  
وقد أحدثت في إيران مراكز عدة لمراقبة صرف المال، ومن هذه المراكز (ديوان

المداللة الإدارية).

• • •

٦- نشيد عربى: ثم اصطفت تسعة طلاب على صدورهم أعلام الثورة، وأنشدوا:

يا شعوب زبجرى  
واطروا العدى

٧- كلمة الدكتور التهامي الراجي الماشمي من المغرب العربي بعنوان:

(اللغة واللسانيات في نسج البلاغة)

ان لنسج البلاغة قيمة كبيرة في قلوب المراكشيين، وهو يدرس في كليةأصول الدين في تطوان، وفي كلية الشريعة الإسلامية في أغادير، وفي كلية الشريعة في العاصمة الروحية فاس، وفي كلية العقيدة الإسلامية في مراكش الحمراء،  
اننا نستطيع أن نجد في نسج البلاغة كل ما يحتاجه النظريات اللسانية القديمة والحديثة. فنسج البلاغة رحب ومعانٍ كثيرة، ولذلك اقتصرت في هذا المؤتمر على دراسة فقرة وردت عن القرآن.

يقول عليه السلام في الخطبة ١٩٦:

«مَ أَنْزَلْ عَلَيْكَ الْكِتَابَ نُورًا لَتَنْظَمَ مِصَايِحَهُ، وَسِرَاجًا لَابْخُوْتَفَدَهُ، وَعَرَأً لَابْدِرَكَ قَمَرَهُ، وَمَهَاجَأً لَابْحَلْ نِسْجَهُ، وَشَاعَأً لَابْطَلْمَ ضَرَوَهُ، وَفَرَقَأً لَابْخَدَ بِرَهَانَهُ، وَبَيَانًا لَانْتَدَمَ أَرْكَانَهُ، وَشَفَاءً لَاخْتَسَى أَسْقَاهُ، وَعَرَأً لَانْتَهِمَ أَنْصَارَهُ، وَحَفَّا لَاخْتَذَلَ أَعْوَانَهُ»  
لنحلل هذا النص لسانياً.

بدأ(ع) الفقرة بـ (أنزل) الفعل الرئيسي، وهو يعطينا (الأنزال). وهو على مستوىين، إما أن يكون موجهاً إلى الآباء، أو إلى الآباء ومادونه.  
الفعل (أنزل) إلى الآباء، يستعمل كما استعمله الإمام بعده (علي). وفي القرآن أمثلة كثيرة منها:

(هوالذى أنزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات هن ألم الكتاب، وأخر من شبهاهات، فأما الذين في قلوبهم زبغ فينبغون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وإيهامه تأويلاً، وما يعلم تأويلاً للآلة، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلّ من عند ربنا، وما يدّرك إلاّ أولوا الآباب)، آن عمران:٧.

وأعطي الدكتور تهامي أمثلة متعددة عن هذا الفعل (أنزل على) في الحالة العادية (نزل) والمفعفة (نزل) والمزيد بالمهمة (أنزل) والمزيد بالمهمة مبني للمجهول (أنزل)

وفي حالة الاستفهام (أأنزل).  
ثم حاول حساب نسبة ورود فعل (نزل) في أجزاء النسج الثلاثة. ولم أعد أفهم  
منه مغزى الموضوع والغاية منه.

٨. كلمة الاستاذ جوادی آملی (وهو من تلاميذ المرحوم العلامة الطباطبائی)، وهي بعنوان:

(علي والفلسفة الالكترونية)

الفلسفة تعني معرفة الشيء الموجود وتمييزه عن العدم. معرفة العالم العقلي يقال لها فلسفة. نتساءل لماذا كان زمام هذا البحث قد أعطي إلى أمير من أمراء الكلام؟ لماذا نسبنا الفلسفة إلى علي(ع)؟ لأنَّ عالم المعقول، إذا فسرنا الفلسفة بهذا الشكل وهي صيرورة الإنسان عالماً عقلياً للعالم، فإنَّ علياً فيلسوف النبي.

استمع اليه وهو يتكلم عن الفلسفة الالهية فيقول:

«ما كنت لأعبد ربّاً لم أره».

وقوله: «لوكث في الغطاء ما زدت يقيناً».

انه يقول (ع) لوازيع عن عيني ستار الفقلة الذي يتميز به كل الناس لأنهم نلام،  
فلن ازداد يقيناً، لأنه لا يوجد أمام عيني أي غطاء.

وبشأن الوحي والنبوة والرسالة يقول (ع):

«أشم ريح الوحي وأرى نور النبوة».

من هنا نجد أن عباد(ع) حكيم في معرفة الله، وهو شاهد في ذلك وفليسوف في معرفة العاد، ومتأله في الوحي والنبوة، وشاهد (أي بلغ درجة الشهود في هذه المعرفة)، ولقد بين هذه الدرجة حين قال: «سلفي قبل أن تقدرني، فاني بطرق النساء أعلم من بطرق الأرض».

هذا الحكم الالهي الكبير بين بهذا الشكل الفلسفة الالهية. لنتظر في احدى خطب الامام(ع) في الالهيات، والتي قال عنها الشريف الرضي أنها تجمع من أصول العلم مالاتجتمعه خطبة أخرى. وهي تتميز بأنها مرتبطة بأعمق المسائل الفلسفية. يقول(ع) (الخطبة ١٨٤): «كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول». هذا يعني أن كل ما يمكن معرفته عن طريق العلم أو الشهود، فهو ليس بالله تعالى - كل ما هو

المعروف من نافذة العرفان فهو مصنوع وليس بصانع. فالصانع هو الذي صنع العقل، وأعطي الارواح الفكر. وإذا كان الله تعالى هو الذي صنع الفكر والشهود، فالشاهد لا يمكن أن يلهم به. إن الله تعالى ينبيء أن يعرف بيأياته، وهو يقول (وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ أَنفُسُكُمْ). وفي الشطر الثاني من كلامه(ع) يقول: «وَكُلُّ قَاتِلٍ فِي سَوَادِ مَعْلُولٍ» أي أن كل شيء يقوم بغیره فهو معلول، أي يحتاج إلى العلة.

هذه الكلمة تبطل كل ادعاءات الغربيين. فكل موجود ليس وجوده عين ذاته فهو معلول. وهو تعالى علة الكل، والكل معلول اليه.

هذا الأصل العام للعلية شرحه(ع) في خطبة أخرى رقم ١٨٢ حيث قال: «فالويل من أنكر المقدر، وجعل المدبر. زعموا أنهم كالبنات ما لهم زاد، ولا الاختلاف صورهم صانع. ولبسجروا إلى حجة فيها ادعوا، ولا تتحقق للأوصوا (أي حفظوا) بعدل يكون بناء من غير جان، أو جنائية من غير جان؟!». <sup>١</sup>

ان مفكري العلية والملحدون عامة ليست لهم حجة فيها ادعوا، هذا تفسير لهذا الأصل العام الذين يتمثل في العلة والمطلولة.

الامام السادس(ع) في الكافي يفصح عن هذا المبدأ فيقول: «أَبَى اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِأَسْبَابِهِ. وَجَعَلَ لِكُلِّ سَبْبٍ سَبِيلًا، وَكُلُّ شَرْحٍ عَلَمًا، وَكُلُّ عِلْمٍ بَابًا، مِنْ عِرْفَهُ عَرْفٌ، وَمِنْ جَهْلِهِ جَهْلٌ، وَمِنْ الْهَدَايَا هَدَايَا». <sup>٢</sup>

ان نظام الحياة من وجهة نظر هذا الحكم المتأله، أن الله علة، وكل شيء معلول. ننتقل الى مسألة اخرى، وهي: كيف خلق الله العالم؟ هل عمل الله هو تحريرك للمواد؟ هل العلية التي يتحدث عنها علي(ع) هي علة في حمور الديبالكتيك أم في حمور الفلسفة الالهية السامية؟ هل عمل الله بغيره الحركة وهو متحرك أيضاً، أم أن الحركة لا يمكن ان تنسب اليه؟ لاذاته تتحرك، ولا أوصافه تتحرك. وليس عمل الله متصف بالحركة.

يجيب الإمام(ع) عن هذه المسألة في الخطب عامه وفي الخطبة السابقة بشكل خاص فيقول بأن الله قادر لا بالحركة، أي أنه لا يتحرك هو، ولا يعمل بحركة فكرية ولا بدنية. لا يفكر مثل الانسان المفكـر الذي يـتـفـكـر بـحـرـكـة فـكـرـيـة ذاتـيـة. والله سبحانه لا يحتاج الى تحريرك الأعضاء «فاعـل لا باضطـرـاب آلةـ، مـقـترـلـاجـبـلـ فـكـرـةـ» فالله سبحانه لا تجري عليه الحركة والسكون. وهو سبحانه غير محكم بقانون

الحركة. فهو لا يتحرك ولن يحيط له حركة ولا سكون، فهذه الصفات من خصائص المادة، وهو خالقها. إنه ثابت، لاساكن ولا متحرك. يقول(ع): «ولا يجري عليه السكون والحركة. وكيف يجري عليه ما هو أجزاء، ويعدو فيه ما هو أجزاء، يحدث فيه ما هو أحده؟»<sup>٢</sup>

لما يكمن لقانون أن يتحكم في رب العالمين وهو خالق العالمين. إنها مدرسة علي(ع) الفكرية التي لاتمت إلى المدارس الفلسفية الأخرى. انه(ع) يثبت بنفس الطريقة والآيات كل الصفات الذاتية. يقول(ع): داخلي في الأشياء لا يحيط به، وخارج عنها لا يحيط به.

فهو سبحانه لا يكمن الوصول إلى كنهه، لأن الفكر والوصول إلى النتائج هو من الله تعالى: داخلي في الأشياء لا يحيط به. وكل فكر هو خارج عن الله ليفكر في الله: وخارج عنها لا يحيط به. لذا لا يمكن فهم كنه الله، ولكن يمكن أن نفهم أنه ليس كمثله شيء.<sup>٣</sup>

وإذا تجاوزنا هذا الحد، وجدنا قوله(ع) في الخطبة ٩٢:

«لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله حدس الفتن».

أي منها حاول الحكم أن يخلق بفقره، ومهمها حاول العالم أن يمحى بمجرور الشهود، لا يستطيع أن يجد شيئاً.

في أول خطبة له(ع) في النهج نقرأ أن الشيء المترون بالأزلية وبغير المحدود، فهو ليس بالله ولا من صفات الله يقول(ع):

«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحده، وكمال توحده الإخلاص له»<sup>٤</sup>

هذا الإخلاص يبيّنه بقوله: «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة». هذه القاعدة أخذتها الفارابي فيما بعد وبنى عليها قاعدة = فاقد الشيء لا يعطيه.

المرحوم العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان، يستنبط من هذه الفكرة قاعدة الفكر الذي «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه».

أية صفة يجب أن تسلب عن الله تعالى. تلك الصفة التي تقول إنني غير موصوف. أما الوصف الزائد الذي يشهد عليه الزائد والمزيد فيجب أن يسلب عن رب العالمين. «بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة».

ثم يقول(ع): «أَنْ وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ». أي قرنه بالغير. «وَمِنْ قَرْنَهُ فَقَدْ لَتَّاهُ»، ومن تناه فقد جزاءه، ومن جراه فقد جرمته، ومن أشار إليه فقد حدده، ومن حده فقد عدده». ﴿فَلَا يَعْلَمُ مَنْ أَنْشَأَهُ﴾

هذه الاستنتاجات تعبّر عن شيء واحد، وهو أنّه إذا وصف سبحانه بشيء زائد، فقد وصف بشيء موجود سوى الله. الوجود المحس ليس له ساحل ولا منتهي. الكمال المحس هو علم محسن. والحياة الصرفة كمالاتها غير محدودة. وصفاته بالكلالات هي أيضاً غير محدودة.

\* \* \*

هذه فلسفة علي(ع) من الناحية النظرية. أما فلسفته(ع) في القسم العملي فهي سامية المعنى بعيدة الغلو. فلسفة العملية قال عنها: ﴿لَئِنْ شَاءَ لَمْ يَكُنْ﴾  
 ان مقامه (ع) تجسّد في قوله لابن عباس: ما قيمة هذا النعل؟ قال ابن هبّاس: لا قيمة لها.  
﴿فَهَلَّ لَهُ أَحَبٌ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِنَاكُمْ إِلَّا أَنْ أَقِيمَ حَلَّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا﴾  
 ان مكانته (ع) تتجسد عندها سأله أحدهم... قال صاحبه: ألف مشقال ذهب أو ألف مشقال فضة. فقال(ع): كولاها عندي حجران، الذهب عند علي حجر وكذلك  
 الفضة. حجر أصفر وحجر أبيض... هذه مكانة علي(ع).  
﴿بَعْضُ تِلَامِذَةِ عَلِيٍّ حَازُوا مَكَانَةَ عَلِيٍّ﴾

قال علي(ع) في الحكمة ٧٧: «آه من قلة الزاد، وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد».

هذا هو الذي يبيّن مقام علي(ع). أي سفر بعيد على علي(ع). انه السفر الى الله تعالى. انه نفس سفر النبي(ص).  
 سلوا نوح البلاغة قبل أن تفقدوه. أي سفر هذا؟ الذي يقول عنه علي(ع) انه بعيد. انه سير الى الله.

ولكن الإمام(ع) يقول: «ان الراحل اليك قريب المسافة، وانك لا تخجّب عن خللك إلا أن تخجّب الآمال». اذن فالطريق الى الله قصير. وهل مقصوده(ع) من بعد الطريق هو السير الى الله.

ان الوصول الى الله ليس عسيراً ولا صعباً، لاسيما على علي(ع). لكن الصعب هو السير من الله الى الله. إنّ هذا ما يتحدث عنه الإمام(ع). وهذا ما يقصد به قوله.

ان إيصال رسالة العبود الى العباد. وهو وسيلة وليس هدفاً.

الإنسان العارف هو الذي يعرف ان الحق في الله تعالى.

ان علياً(ع) أراد أن يعرف الأسماء الالهية على حقيقتها. لذلك كان سفره بعيداً.

ان الذي قد ابتعد عن كل أهوائه ليس صعباً عليه أن يطوي مسيرته الى الله.

ان علياً(ع) هو الذي قال: «النبي الذي لم أعمدك خوفاً من نارك، ولاطمها في جنتك ولكن

وحدثك أهلاً للعبادة فعبدتك»، فهو(ع) ليس له عبوب سوى الله.

أنقل لكم كلمة لثقة الاسلام الكليني في الكافي يقول: لاعزم(ع) محاربة ...

فتلا خطبة تحدث فيها وناجي ربه، عباً بها جاهير الأمة.

في بداية الخطبة بعد الحمد قال: ان الله متفرد، لامن شيء كان، ولا من شيء خلق

ما كان... وهي خطبة طويلة. وبعد أن انتهى الكليني منها قال: وهذه الخطبة من

مشهورات خطبه(ع)، وهي كافية لمن طلب علم التوحيد، اذا تدبرها وفهم ما فيها.

يقول الكليني، فلواجتمعت ألسنة الجن والانس على أن يبيتوا التوحيد مثل مائة

به علي(ع)، بأبي وأمي، لما قدروا عليه.

يقول المفید تعليقاً على كلمة الامام(ع) السابقة: ان هذا الحكم بهذا الابتكار

الالهي قدرة أكبر شبهة من شبّات الملحدين. انهم يقولون: اما ان الله خلق العالم

من شيء فهو مادي، او خلقه من لا شيء، فلا يدخل عليه (من). اذن من أي شيء،

خلق الله؟ الاشيء ليس مادة.

يقول(ع): ان الله ليس من شيء ولا عمله من شيء، ان الله شيء، ليس من شيء، ولا يخلق من

شيء. يعلق الدمامي في شرح أصول الكافي على قوله(ع): من شيء، فيقول: ان (من شيء)

ليس نقيبة شيء، فإذا وجد أحد هما لا يوجد الآخر. ان علياً(ع) يقول: لم يخلق الله العالم

من شيء، ولا من شيء. فهما لا ينفيان. نقيبة كل شيء نفيه.

قال(ع): ان الله لم يخلق الأشياء من أشياء أخرى. «ولامن شيء خلق ما كان».

ان علياً(ع) يقول عن القرآن: ان الله تعالى نهى لهم في كتابه ولكن لا يصررون.

وان علياً(ع) قد يخجل للناس في كتابه، فأسألهوا نهج البلاغة قبل ان تفقدوه.

يجرب عليكم أن تفهموا ما قال علي(ع). لا تكتفوا بخطبه وحكمه ومسائله

الاجتماعية. انها لازمة وليس كافية. وهذه المواجهة موجودة في الكتب الأخرى.

اننا نريد إثبات وجود الله بدليل العقل، وكذلك الوحي والمداد. وهذه البراهين

كلها موجودة في نهج البلاغة.



**المؤتمر في يومه الثالث:**

١- القرآن الكريم: وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت ...

٢- نشيد

٣- كلمة الاستاذ رزيمو تحت عنوان:

(أسباب التلاحم بين الحكومة والشعب في نهج البلاغة)

من وجهة نظر الامام علي(ع) الذي هو عصارة معارف الاسلام، ان حاكمة الله المطلقة على كل الوجود جارية ونافذة. ومن ذلك نجد أن ارادته نافذة على المجتمع البشري. يقول سبحانه:

(إن الحكم إلا لله، أمر لا تبعدوا إلا إياه)

فالحاكمية تختص بالله وحده، سواء على مستوى الكون أو المجتمع و Heidiته. لذلك كان وضع النظام من الله هداية المجتمع، عن طريق الوحي النازل على الأنبياء. يقول سبحانه:

(وأنزلنا ممّهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالفضط) (الحديد- ٢٥)

لذلك كان الحكم في نهج البلاغة بعد الله هم الأنبياء.

يقول (ع) في الخطبة الأولى من النهج: «واصطلي سبحانه من ولده أنبياء أحد على

الوحى ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أهانتهم».

وبعد خاتم النبئين(ص)، فإن أئمة الهدى هم الذين يتحملون قيادة المجتمع. ومن بعد غياب قائمهم المهدى(ع) يقوم العلماء المستكثرون للشراطى باقرار الدين الصحيح والمحافظة على الاحكام الشرعية.

أما الارتباط بين الجماهير والحكومة، فهو ارتباط يشبهه الامام(ع) بأنه كالارتباط بين الراعي والرعية. وكلمة الراعي والرعية قد استفاد منها الطواغيت لينصبوا من أنفسهم ولاة أمر غير شرعيين. إن الارتباط الذي قصده الامام(ع) ليس كما أراده الطواغيت، بل هو ارتباط كما بين الأب وأبنائه في الاسرة الواحدة. لأن ارتباط الراعي بالرعية مختلف عن امتلاك الراعي لقلمه. ليس هذا هو المقصود من تشبيه الراعي والرعية. ومن هنا فان المجتمع المستبعد الذي يحكم فيه الحاكم بالدكتاتورية، فهو أشبه بمحكم الراعي في قطعى القنم. في هذه الحالة يصبح الأفراد مستعبدين من قبل الحاكم. أما في النظام الاسلامي فتلك العلاقة هي كالعلاقة بين الأب والابن، فجماهير الشعب هم عيال الله، الذين يتولى حاكميهم الامام.

قال (ع):

«لاتكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حرّاً»

ان هذه الحرية لا تتحقق إلا في ظل الحكم الاسلامي العادل، حيث يكون الناس سواسية كأسنان المشط. وهذا يؤدي الى ايجاد الثقة المبنية بين الرعية والراعي.

قال الامام علي(ع) في عهده لما لك الاشتز:

«لم تفقد من أمرهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما»

وقال(ع): «وأنسر قلبك الرحمة للرعاية والحبة فم واللطف بهم»

وقال(ع): «فلا تشخص هلك عنهم، ولا تصرخ خدك لهم، وت فقد أمرور من لا يصل اليهم»  
فانتظر الى هذه المعاملة الانسانية التي فيها الرحمة واللطف، وتلك هي علاقة الوالي بالرعاية.

وقال(ع): وصل بهم كصلة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحمة».

وقال(ع): واخفض للرعاية جناحكه وابسط لهم وجهك وأن لهم جانبك .

ما أرأف هذا الموقف المطوف الرحيم بالرعاية.

وكما ان العائلة السليمة يربط بين أفرادها الحب والتوأم، وهذا يؤديان الى نمو

الشخصيات، وكما أن حب الوالدين يوسع مدارك الأولاد ويفسح لهم المجال في المجتمع، كذلك ينبغي الراعي شخصية أفراد الرعية.

ان الراعي يوجد الفرص والامكانيات التي تسمح للفرد بالحركة.  
ثم ان الامام(ع) يؤكّد على العدالة الاجتماعية.

يقول(ع) في الخطبة ٢١٤: وأعظم ما فترهن سبحانه من تلك الحقوق، حق الوالي على الرعية  
وحق الرعية على الوالي. فريضة فرضها الله سبحانه لكلٍّ على كلٍّ.

فأهم الحقوق التي يؤكّد عليها الامام(ع): حق الراعي على الرعية، وحق الرعية  
على الراعي. وأوجّه الله سبحانه تشريعاً دقيقاً لهذه الحقوق.  
وهذا ما يؤدي إلى استقرار الفكر في المجتمع الإسلامي.

وإذا كانت هناك ثقة كاملة، وأدى كل واحد واجبه من الراعي والرعية،  
تتجزّر الطاقات.

وهذا ما نجده في نهج البلاغة ولاسيما في عهد الامام مالك الاشتراط  
لتكلّم في واجبات الجهاز الحاكم تجاه الناس:

أكـدـ(ع) عـلـى وجـوب وجود القـائـد أوـالـحاـكـمـ العـادـلـ المتـقـيـ الجـامـعـ للـشـرـائـطـ.  
وـمـنـ أـمـمـ وـاجـبـاتـ إـزـالـةـ الفـوارـقـ بـيـنـ الطـبـقـاتـ،ـ وـالـوقـوفـ ضـدـ الـانتـهـازـيـنـ  
وـالـنـافـقـيـنـ فـيـ جـهاـزـ الـقيـادـةـ.

أول سمة للحاكم: العدل. والعدالة تعجل النفس سليمة مستقرة. بينما الظلم  
لا يجعل نفس الظالم مستقرة، فما بالك بتفس المظلوم. ان طريق الجور ضيق ولا يسع  
حق الظالم نفسه.

العدالة ناموس النبي، فلا يجوز لانسان واع أن يقف ساكتاً أمام الظالم الذي يراها  
بعينيه. لا يجوز ان يسكن باسم المصلحة تجاه هذا الظلم.

انطلاقاً من هذا المبدأ نفهم سبب تأكيد الامام على ضرورة تنصيب الامام  
العادل، وعلى ضرورة ان يكون الوالي معزولاً عن تأثير المتفذين في المجتمع. بل أن  
يكون الوالي من الطبقة التي ليس لها سابقة في الظلم. وأن يكون بعيداً عن الكذب  
والبخل والرياء.

الصفة الثانية للحاكم هي: التقوى.

انظروا إلى هذه العبارات في عهده(ع) مالك الاشتراط:

«ان شرط زرائك من كان للأشرار بذلك وزير، ومن شركهم في الآثام، فلا يكون لك بطانة، فانهم

### أعوان الأئمة، واخوان الظلمة»

من هنا يتبيّن أن من أهم عوامل الثقة بين الحاكم والجماهير، وتمرير الجماهير للتعاون والتلاحم مع الجهاز الحاكم، هو وجودقيادة الصالحة، فهي أهل عامل لوجود التوازن والاستقرار في المجتمع.

ان المؤذج الكامل لهذا القائد الصالح، هو صاحب الذكرى الذي أقيمت هذه الذكرى لدراسة كتابه. لقد جمع خصال الحق وكان تلميذه المصطفى(ص).

انه رجل السيف والقلم، والنبر والحكم. لقد كان في قوته وعلمه شديداً الى درجة لم يستطع أخوه عقيل أن يطبقها. وقد بلغ(ع) في كل الكفاءات الإنسانية القمة السامية. حتى اجتمع في المناقضات، من قوة وخشوع، وهيبة وتواضع، وبساطة وعظمة. لقد اجتمعت فيه كل هذه الخصال في مظاهرها الايجابية... بهذه أصبح على إمام المتقين.

اما من الناحية السياسية، فان وجهه السياسي مختلف عن وجوه السياسيين الميكافيليين. لم يُنْسَحِّب بشيء من أية قيمة من قيمة الانسانية. يعزز الولاية غير الصالحين. يرفض طلب ابن عباس في ابقاء معاوية على الشام وعدم عزله. يردد الأموال المقتضبة غير الشرعية.

يقول (ع) فيما رده على المسلمين من قطاع عثمان: «والله لو وجدته قد ثرثر به النساء، ولملأ به الاماء، لرددته. فان في العدل سمة، ومن ضاق عليه العدل، فالجلور عليه اضيق».

من غير على(ع) يستطيع أن يقوم بذلك؟

كان(ع) يتجلو في الليل بحثاً عن الفقراء والمساكين ليساعدهم.

كان يعيش من كد يمينه وعرق جبينه، وما داخرا شيئاً من حطام الدنيا. يصرخ عن ذلك في كتابه الى عثمان بن حنيف الانصاري عامله على البصرة حيث يقول:

«ألا وان إمامكم قد اكتفى من دنياه بطريره، ومن ظلمه بقرصبه. ألا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعینوني بورع واجتهد، وعفة وسداد. فوالله ما كنت من دنياكم تبراً، ولا دخرت من غناها وفراً، ولا أعددت لباقي نوبي طرراً، ولا حررت من أرضها شبراً»

وفي آخر هذه الرسالة يقول(ع):

«ولكن هيبات أن يغلبني هراري، ويقودني جشعى الى غير الأطعمه، ولعمل بالجهاز أو الجماعة من لا طمع له في الفرقه، ولا عهد له بالشيء. أو أبيب مبطاناً وحولي بطور غرف وأكباد حرى، أو أكون كما قال الشاعر:

وحسبك داء أن تبكي بيضة وحرلك أكباد تخن الى الفد

«أأقعن من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشودة العيش! فاختلت لي شهيدي أكل الطيبات، كالبيضة المربوطة، مما علها، أو المرسلة شغلها تعمها، تكرش من أعلاها، وتلقي عايراد بها».

ولأنسى خطابه لابن عباس في شأن الخلقة وقدرها يخصف نعله بذمي قار  
قال(ع): والله لمني (أني النعل) أحب إلى من إمتنكم، إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلأ.  
هذه الشلة في الله، تبين عظمة تقواه(ع). ولقد بلغ من شدة عدله(ع) أن انقلب  
عليه المناقون، حتى أردوه في عربابه، ومع ذلك أشفق على ضاربه، وقال لهم: أطعموه  
باتقطعموني وأشربوا ما تشربوني، ولا نمتلوا بالرجل.  
لقد لازمت العظمة علياً حتى آخر لحظة من حياته.

\* \* \*

#### ٤ - ندوة حول (المرأة في نهج البلاغة)

اشترك فيها السادة:

الاستاذ لبيب بيضون  
الدكتور السيد جواد مصطفوي  
الاستاذ عميد زنجاني

#### ٥- كلمة الاستاذ لبيب بيضون، وهي معاجلة للسؤال التالي:

زعم بعض المتشككين أن الإمام علياً(ع) قد تحدّى على المرأة في بعض كلماته في نهج البلاغة، فما هي ردكم على ذلك؟  
الجواب: إن الحكم على أي قول ورد في القرآن أو في نهج البلاغة، لا يجوز إلا ضمن المبادئ الأساسية التي تبنيها الإسلام.

ونضرب مثلاً مبسطاً على ذلك وصف القرآن للشعراء، حيث يقول: (والشعراء يتبعهم الغاوون \* ألم تر أنهem في كل واد يحيون \* وأنهم يقولون ما لا يفعلن) فلو أنه وقف هنا في كلامه، فقبل كان يقصد بالشعراء كل الشعراء، أم أنه يقصد عموم الشعراء. ولو كان يقصد بالشعراء كل الشعراء لما أتبعها بقوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات). إذن

فالملومون غير داخل في كل الصفات المذكورة في الآيات، لأنه أصلاً منزه عن صفة المعاواة والفساد.

وكذلك الأمر بالنسبة لبعض أقوال الامام علي(ع) في المرأة، التي جاءت لتبين عموم صفات النساء، المرتبطة بتكونيتها العاطفي، السريع الانحراف إلى الشر، إذا لم يكن لها ضابط من الدين.

من ذلك قوله(ع):

«المرأة شر كلها، وشر ما فيها أنه لا بد منها»

وقوله: «وان النساء هن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها».

فهل يمكن أن يدخل الامام(ع) في وصفه هذا للنساء، المرأة المسلمة المؤمنة... معاذ الله.

اجتمعت باحدى الفتيات المؤمنات في بلدكم فقالت لي: لماذا تحامل الامام(ع) على المرأة في نهج البلاغة، ولم يمدحها بكلمة واحدة؟ بل قال: المرأة شر كلها، وشر ما فيها أنه لا بد منها!

فقلت لها:

١- أحسني ظنك بامامك يا آنسة، فالامام علي(ع) ليس عدواً لأحد، إنما هو صديق للحق وعدو للباطل. مصداقاً لقول النبي(ص): «علي مع الحق، والحق مع علي».

٢- إن غرض الامام(ع) من كلامه هذا إن صحت نسبة إليه، هو بيان الواقع لأكثر وأقل. فنحن نرى النساء في العالم بدون مناقشة الأسباب، هن من أعظم أدوات الشر ومصادر الفساد.

ونجد نفس الغرض في قوله(ع): «ان النساء نواقص العقول، نواقص الحظوظ، نواقص الامان...» فليبيس غرضه(ع) من هذا التشهير والتوهين من قيمة المرأة، بل هدفه بيان طبيعتها وحقيقةها.

وحين يشرح القول الآخرين يشرحه وفق ماورد في القرآن دون زيادة ولا نقصان. فهو في هذا أي تحامل على المرأة.

٣- أنت تعلمين أن كل رجل عادي حين يعطي رأيه بالمرأة فإنه يعطيه من خلال تجربته في حياته مع المرأة، أقصد مع زوجته. فإذا كانت زوجته سيدة ظن أن كل النساء سيدات، وإذا كانت زوجته صاحبة اعتقاد أن كل نساء العالم صالحات.

والامام علي(ع) لولم يكن معصوماً، فإن زوجته فاطمة الزهراء، كانت سيدة نساء العالمين، فكيف تكون نظرته إلى المرأة من خلالها؟

٤. إن النساء تُصنَّن من درجة واحدة في القيمة. ففيهن المؤمنة والكافرة، والنقية والفاسقة، شأنهن في ذلك شأن الرجال. وقد أوضح ذلك القرآن الكريم بشكل لا يقبل الشك ، حتى أنه ضرب مثلاً للذين آمنوا زوجة فرعون التي كان زوجها من أكبر الكافرين ، وكانت هي من أعظم المؤمنين ، واستحقت بذلك أن تكون في أعلى مراتب الجنان . يقول سبحانه:

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فَرْعَوْنَ إِذَا قَالَتْ: رَبِّيْنِ فِي هَذِهِ بَيْنَ أَنِّي فِي الْجَنَّةِ، وَنَجَّيْتِنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (آخر سورة التحريم)

فإذا كان الإمام علي(ع) يعلم هذا كله ، ثم هو بعد ذلك يقول في تهجمه: «المرأة شر كلها، وشر ما فيها أنه لابد منها» أو يقول: «النساء جحائل إبليس» فهو لا يقصد بالمرأة زوجته فاطمة ومثيلاتها من المؤمنات أمثال: خديجة ومرم وأسمى، وإنما يقصد بها المرأة الفاسقة الكافرة، التي هي كالشيطان، بل أسوأ من الشيطان، لأنها تتعلق في أعمالها بدافع من هواها ونزواتها، دون أن يكون لها أي ضابط أو زاجر.

إنما نفترض بالمرأة الإيرانية المؤمنة، التي تسعى في عملها على نهج مولاتنا زينب(ع)، والتي لم يخرجها تحريرها عن إيمانها، نفترض بها لأنها ركن أساسى من أركان البناء والثورة، وهي رغم ضعفها تقدم مثل الرجل أو أكثر منه، مصداقاً لقول إمام الامة وسليل الأئمة: «المرأة نصف المجتمع، ومربيه النصف الآخر» بياناً لفضيلها

يقول(ع): لا يقدر من علم كعب المرجع.

هذا المعيار الذي وصفه الإمام(ع) يشمل الرجل والمرأة.

العلم الذي يمثل قيمة عالية لا يرتبط بالرجل وإنما بالجنين معاً.

ان درس الحرية الذي أعطاه الإمام(ع) هو للجنين أيضاً، حيث قال: لأنك عبد غيرك ، وقد جعلتك الله حرأ.

إلا أن المرأة من حيث تحمل المسؤوليات ، يجب مراعاة طاقتها في تحمل تلك المسؤوليات ، والرفق بها وعدم تحميلاها أكثر مما تطيق. كما يفعل البعض في مجتمعنا اليوم حين ينادون بشعار: مساواة المرأة بالرجل.

بعصور الإمام(ع) هذا المعنى الجليل بأربع كلمات فيقول:

«فإن المرأة رعونة ولست بضررها».

ان للمرأة محدودية، ولا تستطيع أن تحمل مسؤولية تتجاوز قدرتها، اذ أن هذا جفاء بها وجور عليها. ان المجتمعات التي تترجم لسعادة المرأة يجب ان تأخذ هذه الناحية بعين الاعتبار

من ناحية أخرى لقدراعي الاسلام العاطف الرقيقة للمرأة، وسرعة انفصالها. فعندما يفتح جنود الاسلام بلاداً فيها نساء، كان الامام(ع) يوصي جنوده بالنساء خيراً، واذا رأوا النساء يستعننهم فلا يعتنوا عليهن، فيقول:

«ولاتبعنوا النساء بأذى، وان سمن أعراضكم وبين أمراءكم، فانهن صبغات القوى والأنفس والعقول».

المرأة عاطفية حقاً، وحين ترى أولادها قد ذبحوا تثور عاطفتها فتغفو بالاعتقال. فالامام(ع) يدعو جنوده أن لا يتفعلوا عند سماعها، بل يغضوا عن قولها. وفي وجهة نظرى، ان الادراك الانساني مشترك بين الرجل والمرأة، لكن قدرة الادراك في المرأة تنصرف الى الجانب العاطفى. وكما أن الرجل يستخدم عواطفه وقوة ادراكه في شهوته وغضبه، فإن المرأة تستخدم ادراكتها في عواطفها. وهذا يقلل من النسبة المئوية لتعقلها، فتكون قدرة تعقل الرجل أكبر. ونقول: ان المرأة تستخدم قسماً من ادراكتها لعواطفها.

وانهى موضوعي في الكلام عن حسن تعامل المرأة. ان الامام(ع) بالنسبة لشخصية المرأة، يعتبر المرأة بطلة اذا أحسنت تعاملها.

وبهذا يضع إطاراً جديداً للجهاد بالنسبة للمرأة فاضافة للجهاد الأكبر، هناك وقيمتها. والسلام عليكم.

## ٩- كلمة الدكتور جواد مصطفوي الخراساني، بعنوان: (نفس المرأة في نرج البلاحة)

أتكلم عن نفس المرأة الذي أشار اليه الامام(ع) بقوله:

«ان النساء نوافع الايمان، نوافع الحفظ، نوافع العقول»

فأقول: هناك عقلان:

١. المقل الذاتي: وهذا ينضج في البنت قبل العبي، ولذلك كلفت البنت

بالصلة قبل الصبي.

٢. العقل الكسي: وهو ما يكتسبه الإنسان من تفاعله مع الحياة والمجتمع. وهذا العقل تحرم المرأة من بعضه، نتيجة انصرافها في البيت إلى تربية الأولاد بعد ولادتهم. وليس من العدل أن تحرم المرأة من عاطفة الامومة، ونطلب منها أن تذهب إلى ساحة الحرب.

وعندما يقول الإمام (ع) بأنه يوجد في المرأة نقص، وهو في الناحية الفلاطية، فليس مراده منع المرأة أبداً، إغا غرضه بيان الواقع الذي نص عليه القرآن.

٧- كلمة الأستاذ عبد زنجاني، بعنوان:

**ما هي الأمور التي يعرضها الإمام في النجح لدفع الظلم عن المرأة**

في البداية أقول: إن الإمام (ع) حين يتكلم عن المرأة في نجح البلاغة فإنه لا يقصد به الرجل فقط، وإنما الرجل والمرأة.  
سوق أمثلة على ذلك :

يقول (ع):

فيمة كل امرئ ما يحسن  
كل امرئ لاق ما يغيره  
المرء محبوه غمت لسانه  
كن بالمرء جهلاً لا يدرك قدره.

القيم السلبية والابيالية يتساوى فيها الرجل والمرأة.  
الحقوق الإنسانية يتساوى فيها الرجل والمرأة.

جهاد آخر يطلقه المرأة، ويتمثل في تشكيل الحياة الاجتماعية الموطدة السعيدة. فالمرأة تستطيع أن تثبت الحياة والاستقرار في الأسرة، وأن تبني الأسرة وتحافظ عليها. وبذلك ينتفع الوجود الصالح.

إن حسن التبعل يمثل الجهد الثالث. وهو مفاد قوله (ع): «وجهاد المرأة حسن التبعل».

ومن أصول حمافظة الإسلام على المرأة، ضمان أنسابها، وقد اهتم الإمام (ع) بهذا الضمان، وأكده على هذا الأمان. يقول (ع) في الخطبة : ٢٧

«ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعايدة، فبتزوج حملها وقلبيها فلأنهداها».

ذلك أن معاودة غزا بخيله الأنبار وفعل ما فعل بالنساء المسلمات والمعايدات، فالأمام (ع) يدعو أصحابه إلى دفع مثل هذا الغزو؛ وعدم التعرض للنساء بأذى، فمن أبرز حقوق المرأة الأمان في الإسلام.

تلك كانت معاملة الإمام علي (ع) للمرأة.

#### ٨- كلمة الاستاذ جلال الدين الفارسي، تحت عنوان: (نزول القرآن في نسب البلاعنة)

ان المحدثين مستفقون على أن أصحاب رسول الله كانوا متفاوتين في إدراكهم وفهمهم لمعاني القرآن، وكما كان أصحابه غير متساوين في حضور نزول القرآن، فانهم كانوا متفاوتين في معرفة القرآن وأسباب نزوله.

يقول سبحانه: (نجعلنا لكم نذكرة، ونبينا أذن واعية) (الحقة ١٢)

نزلت هذه الآية في الإمام علي (ع)، وهو المقصود بالأذن الوعية. ينقل ذلك الطبرى وابن أبي حاتم وابن عساكر وغيرهم عن بريدة الأسلمي أن رسول الله (ص) قال لعلي (ع): ان الله امرني أن اذنك ولا أقصبك، وحق على الله أن تعي، فنزلت الآية.

أنقل هنا المعنى من الدر المنشور المجلد ٣ ص ٢٦١، أسباب النزول للسيوطى ص ١٦٤، بعد نزول الآية (وتبينها أذن واعية) قال (ص): سألت الله أن يجعل أذن على واعية.

يقول علي (ع): وبعد ذلك لم أعد أسمع من رسول الله شيئاً فائضاً.

الشلبى يروى هذا الحديث بشكل مسند لا مرسل.

والآية السابقة في صدد سرد تاريخ الانبياء والأقوام المنقرضة، فيقول سبحانه: من أجل فهم وحفظ التاريخ المليء بالعن، تاريخ الانبياء والشعوب، لابد من أن تكون للإنسان أذن واعية.

ينتزع من هذا أن علياً (ع) فهم واستوعب القرآن أكثر من غيره من الصحابة، ثم علمه للآخرين.

السيوطى والزركشى متفقان على أن مصدر علوم القرآن جاء من علي(ع).  
العلماء الآخرون كمجاحد قد تابعوا في ذلك وأخذوا عن علي(ع) وتعلموا على  
ابن عباس.

ونلاحظ اضافة الى أن علياً(ع) كان أفضل من حفظ وأدرك القرآن، وأنه كان  
متفوقاً في تفسير القرآن، فقد شمله قوله تعالى:  
«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» فلقد كان علي(ع) أحد اساتذة حفظ القرآن. وفي  
تفسير قوله تعالى «إِنْ عَلَيْنَا جُمْهُورٌ وَفِرَّانٌ» يقول ابن عباس: إن الله قد طوى القرآن في قلب  
علي(ع). وبعد وفاة النبي(ص) جمع القرآن خلال ستة أشهر.  
في حلية الأولياء يروى أنه حين توفي النبي(ص) قال علي(ع): «أقسمت أن لا أجيء  
رداً حتى أجمع القرآن».

المفسرون متفقون على هذه الحقيقة، وهي أن أول شخص عزم على جمع القرآن  
وحققها هو علي(ع) قبل أن يعزمه أحد على ذلك.  
في بجمع البيان للطبرسي قال ابوذر: جمع علي(ع) القرآن وقدمه للمهاجرين  
والأنصار وأراهم إيماناً، بناء على وصية الرسول(ص). وعندما فتح أحد الانصار،  
وجد فيه ما يفصح بعضهم.

اما كيف جمع علي(ع) القرآن فهذا بحث أساسى.  
لقد وضع (ع) قضية جمع القرآن في أول قائمة أعماله بعد وفاة النبي(ص)، وذلك  
لتتقديره أهمية ذلك الجمجم حتى يوصى الطريق أمام الذين يحاولون تعريف القرآن أو  
التلاعب به.

من محاولات التحريف، أن بعضهم حاول حذف الواو من الآية: «إِنْ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرَّهَبَانِ، لَيَأْكُلُونَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْيَاطِلِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ  
وَالْفَضْلَةَ وَلَا يَنْقُذُنَّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبُشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» (التوبه - ٢٤).  
انهم حاولوا حذف الواو ليوهوا الناس ان الذين يكتنون الذهب والفضة هم  
الرهبان فقط، وليس مطلق الناس. ولكن علياً(ع) شهر سيفه وقال: إما أن تصعموا  
الواو أو أقتلكم بسيفي هذا.

لقد جمع علي(ع) القرآن بدون زيادة ولا نقصان. قال ابو رافع: جلس علي(ع) بعد  
وفاة النبي(ص) في بيته حتى جمع القرآن. ولم يجتمعه حسب ترتيب النزول، وإنما جمعه  
كما هو الآن.

هناك دلائل من القرآن تدل على أن ترتيب القرآن ليس من اختيار البشر، وإنما من الله. إنه ترتيب هي لم تتمسه يد البشر أبداً النبي (ص).

ميزة قرآن علي (ع)، أنه بعد أن جمعه، أوضح فيه كل ما يتعلّق بنزوله وأسباب النزول. ثم أوضح معاني الآيات لتلذّذه بشكل دقيق، فحفظ القرآن من التحرير المعنوي أيضاً.

وكان (ع) يؤكد على ضرورة تعلم أسباب نزول الآيات، ليكون فهمها صحيحاً. وكذلك تسلسله حسب النزول.

في رواية ابن أبي داود والنسائي عن ابن عمر، قال تحدث أميراً المؤمنين عن القرآن فقال: أسألوني عن القرآن أقول لكم عن كل آية، أين نزلت وفي حق من نزلت. وما بيته (ع) الناسخ والمنسوخ.

نضرب مثلاً على ذلك: آية عدة الوفاة. بالنسبة لترتيب النزول، تنزل الآية المنسوخة، ثم تنزل الآية الناسخة. لكن هذا الترتيب لم يبرأ في سورة البقرة، فقد مررت فيها الآية الناسخة رقم ٢٣٤ قبل الآية المنسوخة وهي الآية رقم ٢٤٠. فاما الآية المنسوخة رقم ٢٤٠ فهي قوله تعالى:

«والذين يُتغفرون منكم وينذرون أزواجاً، وصبة لا زواجهم متاعاً إلى الحول غير الخراج، فإن خرجن فلا جناح عليهن في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم».

فقد كانت العادة عند العرب قبل الإسلام أن الرجل إذا مات لم يكن لأمراته من ميراثه شيء إلا النفقة حولاً كاملاً، على شريطة أن تعتد في بيت الميت، فإن خرجت قبل الحول سقطت نفقتها. ثم نسخت هذه الآية بالآية رقم ٣٢٤ التي جعلت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرين يوماً، وهي قوله تعالى:

«والذين يُتغفرون منكم وينذرون أزواجاً، يتبعن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً، فإذا بلغن أجلىن فلا جناح عليهن فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف، والله يعفو عن كل مخلوق».

وفي زمن تدوين القرآن كان يعرف كل واحد ما هو الناسخ وما هو المنسوخ. وهكذا نجد أن ترتيب السور والأيات توثيقي، أي حسبما أمر الله تعالى. وكما ورد عن ابن عباس، أن الوحي كان يخبر النبي (ص) ويأمره أن يضع الآية الفلانية بعد الآية الفلانية. وهذا ما كان في شأن آياتي عدة الوفاة السابقتين.

وكان من أسباب اهتمام الإمام (ع) بأسباب النزول أن يبين إسهام كل مسلم

في بناء الدين، ولا يغنم أحداً فضله، لاسيما في ساحة الجهاد ضد الاعداء.  
وفي حين حاول المؤرخون تزيف بعض الحقائق، فقد أعطى الامام علي(ع) لكل ذي حق حق.

لقد حاول بعض المؤرخين إنتزاع قيمة بعض الصحابة ورفع غيرهم، حسب أهوائهم السياسية. رفعوا المتنفذين ولم يوردوا الطعن الذي ورد في حقهم. بينما غمراوا الصمعاء ولم يذكروا جهادهم.  
ان علياً(ع) يضع الحق في نصابه، ويذكر بجihad كل إنسان بعمله دون تزيف او تشويه.

ان طلحة بن عبيدة الله دافع عن النبي(ص) حتى أثخن بالجرح فلماذا يحاولون غمر جهاده وتضليله.

ينتتج مما سبق أن علياً(ع) حافظ على الوجه الناصح للإسلام، وذكر كل من جاهد ودافع عن النبي(ص) بشكل دقيق واضح. أما غيره فقد أرادوا أن يرفقوه اللارين ويضعموا المجاهدين، ولو لاعلي ماعرفنا الحق.

\* \* \*



## **المؤتمر في يومه الرابع :**

- ١- القرآن الكريم: من سورة الدهر.  
٢- نشيد
- ٣- كلمة الاستاذ الدكتور جواد مصطفوي، بعنوان:  
**(الاتحاد في نسج البلاغة)**  
لدراسة الاتحاد في منظار نسج البلاغة نقسمه الى المطالب التالية:
  - ١- دور الرسالة الاسلامية في توحيد الناس بعد ان كانوا متفرقين.
  - ٢- لزوم تعين نائب للرسول بعد وفاته لادامة الوحدة بين المسلمين.
  - ٣- ان الله سبحانه لم يعط السعادة الكاملة للذين تفرقوا.

٤- ان الاتخاد مع الكراهة أفضل من التفرق مع الحبة.  
٥- لاعزة بلا اتخاذ.

٦- كيف عامل الامام(ع) الذين تفرقوا عن الجماعة.  
٧- عوامل الاتخاد والاتفاق وعوامل الاختلاف والتفرق.

### المطلب الاول:

دور الرسالة الاسلامية في توحيد الناس بعد ان كانوا متفرقين:  
لقد أوضح الامام(ع) في الأجزاء الثلاثة من نسب البلاحة دور النبي(ص) في  
توحيد الناس حين أسس أكبر عقيدة وطبق أعظم شريعة.  
يقول(ع) في الخطبة ٩٤: قد صرفت نعوه أفتدة الابرار، وثبتت اليه أزمة الاصار دفن الله  
به الصفائن، وأطافا به التوارث(أوالتوارث).  
وفي الخطبة ٢٣١ يقول(ع) عن النبي(ص):

فصدع يا أمربه، وبتلع رسالات ربها، فلم الله به الصدوع، ورثى به الفتن، وألف به الشمل بين  
ذوي الأرحام، بعد العداوة الواغرة في الصدور، والصفائن القادحة في القلوب.  
ففقد استطاع النبي (ص) أن يضدد الجروح التي كانت بين الناس.

### المطلب الثاني:

لزوم تعين نائب للرسول بعد وفاته لادامة الوحدة بين المسلمين.  
يقول (ع) في الخطبة ٢١٦: واعظم ماافتراض سبحانه من تلك الحقوق، حق الوالي على  
الرعية، وحق الرعية على الوالي، فربطة فرضها الله سبحانه لكلٍّ على كلٍّ. فجعلنا نظاماً لألفتهم،  
وعزاً لدبهم.

فيقول (ع) لا يمكن أن يترك الناس بدون حاكم. هناك حلوق بين الناس، وأكبر تلك الحقوق  
حقوق الوالي على الرعية، حتى ينسى أنه ايجاد الوحدة فيها بينهم.

### المطلب الثالث:

ان الله سبحانه لم يعط السعادة الكاملة للذين تفرقوا.  
يقول(ع) في الخطبة ١٧٦: «وان الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيراً، من محسن ولا من بغي»

لا يجوز على أي مسلم أن يختلف عن أخيه، سواء كان شيعياً أو سنياً.  
ولقد بين هذا المطلب (ع) بصيغة علمية، حيث قال في الخطبة ٢٣: ومن يغتصب به  
عن عشيرته، فاما تغتصب منه عشرين بد واحدة، وتغتصب منهم عنه أبد كثيرة.  
الشخص الموجود بين أقاربه وعدهم مائة، اذا ألق اليهم بد الحبة، فسوف تمتد اليه منهم مائة  
بد.

يمكن أن نطبق هذا المبدأ على السنة والشيعة. فالشيعي الذي ينعد عن السنة يفقد أيدياً كثيرة  
من المسلمين.

#### المطلب الرابع:

ان الاتحاد مع الكراهة أفضل من التفرق مع الحبة.  
لابد أن تقرب من أخيك المسلم ولو كنت تكرهه، فهذا أفضل من البعد عنه.  
ويقول (ع) في الخطبة ١٧٦:

«فإن جماعة فيها تكرهون من الحق، خير من فرقة فيها تحبون من الباطل».»  
ويقول (ع) في الخطبة ١٤٧:

«وإنه مسبأقي عليكم من بعدى زمان ليس فيه شيء أبغى من الحق، ولا أظفر من الباطل».»  
ان يقول (ع):

فاجتمع القوم على الفرق، وافترقوا على الجماعات، كأنهم أمة الكتاب، وليس الكتاب إمامهم.  
ان القرآن كلكم تستندون عليه، وكلكم تقبلونه. وقد قال سبحانه (واعتصموا بحبل  
الله جيئوا ولا تفرقوا) وتعلمون أن أمتكم أمة واحدة. فكيف تستندون الى هذا المستمسك  
جيئاً، وهو يدعوا الى الوحدة، وانت تفترقون.  
ليس في القرآن غير الاتحاد، ومع ذلك فرق الخوارج أبناء الامة الاسلامية.

#### المطلب الخامس:

##### لاغزة بلا اتحاد.

ان العامل الاساسي للغزة والسعادة هو الاتحاد الذي يلامس بين المؤمنين.  
كتب الامام (ع) في هذا المطلب أكثر من أربع صفحات.  
انظروا الى الأمم السابقة، كيف الذين تفرقوا من قبلكم بعد توحدهم، فإذا

كانت نتيجتهم؟

نصرت مثلاً على ذلك أبناء يعقوب(ع) كيف صار حالهم عندما تفرقوا بعد أن كانوا متفقين متحابين.

انظروا الى الاكاسرة والقياصرة كيف ذهبت روحهم حين تفرقوا.

انظروا كيف كنتم من قبل متفقين، ثم لاجاء النبي(ص) وتوحدتم، انتصرتم وأصبحتم أصحاب عزة وشدة، ان المتحدين ولو كانوا بدون دين فانهم يصلون الى العزة.

يقول (ع) في الخطبة ٣/١٩٢:

فما زلتكم في نقاوت حاليهم، فازموا كل أمر لزمت العزة به شأنهم، وزاحت الأعداء له عنهم، وشدت العافية به عليهم، وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حاليهم. من الاجتناب للفرقة، واللزوم للألفة، والتحاضن عليها، والتواصي بها. الى ان يقول(ع):

فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملا، (جمع ملأ) مجتمع، والأهواه مولفة، والقلوب معتدلة، والأيدي متراوفة، والسيوف متناصرة، والبصائر نافذة، والعزمات واحدة. ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين، وملوكاً على رقاب العالمين؟ فانظروا الى ما صاروا إليه في آخر أمرورهم، حين وقعت الفرق، وتشتتت الألفة، واختللت الكلمة والألفة، نعموا مختلفين، وتفرقوا متعازبين. قد حان يوم الله عنهم لباس كرامته، وسلمتهم خضارة نعمته. وبقي فصص أخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين، فاعتبروا حال ولد اسماعيل وبني اسرائيل عليهم السلام. فأشد اعدال الأحوال، وما أقرب اشتباهة الأمثال. الى ان يقول(ع) مخاطباً المصاة:

«ألا وإنكم قد نفصم أيديكم من حبل الطاعة، وتلعم حصن الله المهزوب عليكم بأحكام الجاهلية. فإن الله سبحانه قد امتن على جماعة هذه الأمة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة، التي ينتقلون في ظلها، ويأوون إلى كتفها، بنعمة لا يعرف أحد من الخلقين لها قيمة، لأنها أرجح من كل نعم، وأجل من كل خطر».

نعمه الانحاد ليس لها قيمة تعادلها وخطريها ووزنها.

المطلب السادس:

كيف عامل الإمام(ع) الذين تفرقوا عن الجماعة.

يقول (ع) في معرض حديثه عن الموارج والتحكيم:

«والزموا السواد الاعظم، فان يد الله على الجماعة، وإنكم والفرقة، فان الشاذ من الناس للشيطان، كأن الشاذ من الغم للغتب. ألا من دعا إلى هذا الشمار فاقتله، ولو كان تحت عمامتي هذه».

في شورتنا ترون أن الذين لم يأتوا إلى خطبة الجمعة، كيف أن الشيطان لعب في نفوسهم فانحرفوا عن الدين، وقاموا بالفتن والقتل.

### **المطلب السابع:**

عوامل الانحدار وعواملاً الاختلاف والتفرق.

ان بعض تعاليم الاسلام جاءت بصورة الوجوب وبعضاها بصورة الاستحباب.  
واما تعمقنا فيها نجد أنها جميعاً تدعوا الى الاتحاد..

ان صلاة الجمعة والجماعة من اكبر عواماً، الاتحاد.

التبسم في وجوه الآخرين هو من عوامل المحبة والاتحاد أيضاً.  
المشاورة والتوصية من عوامل الاتحاد.

هناك نحو ١٨٠٠ حديشاً حول أصول المعاشرة في الحياة الاجتماعية. وكلها تهدف إلى الوحدة والاتحاد بين عناصر المجتمع.

منها: حق الجيران، الرأفة بالأيتام، وحسن الخلق، واعطاء الهدية، وتشييع الجنازة، والدعاء للمؤمنين.

من هذه الوصايا أنك إذا أردت أن ت safar و كان صديقك مريضاً، فانتظر ثلاثة أيام حتى تطمئن عليه.

ومنها أن تنادي أصحابك بأحبت أسمائهم إليهم.

في مقابل هذه العوامل الطبيعية، هناك عوامل للتفرقة وما أكثرها. من أهمها الغيبة والنفيمة والاستعمال إلى الحديث الخاطئ بين اثنين.

في نهج البلاغة يذكر من عوامل الفرقة في خلافة عثمان، أنه استأثر بالحكم والاموال وزعمها على أهله، فكان ذلك من عوامل الحقد عليه. يقول(ع) : وأنما جامع لكم أمره: استأثر فاساء الأقراف.

ولما سأله الإمام (ع) : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأتمتم أحق به؟ وكان ي يريد بسؤاله إثارة الفتنة والتفرق. فأجابه الإمام (ع) لترك إثارة الفتنة

ولنتم ما نحن فيه من خطري يهدد الاسلام وهو قتال معاوية. يقول (ع) في الخطبة ١٦٢: «وهلم الخطب في ابن ابي سليمان، فلقد أضحكني النهر بعد إبكانه، ولا غرو والله، فالله خطباً يستفرغ العجب، ويُكثرا الأودا حاول الفرم إطفاء نور الله من مصباحه، وسل فؤاده من بنوته، وجد حوا بيني وبينهم شريراً وبئنا». وهذا يعني في زماننا أن لانتظر الآن، لماذا كان فلان شيئاً وفلان شيئاً، وإنما أن ننظر إلى ما هو أهم بكثير من ذلك ، وهو النظر الحاضر الذي يهدد عزتنا وديننا وأسلامتنا. فلنوحد جهودنا ضد هذه الحرب المفروضة، لأن هذا هو الذي سينصرنا بمشيئة الله.

ولقد استطعنا سابقاً الانتصار على الطاغوت باتحادنا، وباتحادنا نستطيع أن نبني صرح ديننا وعماد عزتنا.

اللهم آت شهداءنا المذلة الرفيعة في الجنة، مع شهداء بدر وأحد، وآت المعلولين والمغروسين صبر زين العابدين(ع).

والسلام عليكم ورحمة الله

#### ٤- كلمة الشيخ سليمان البهوفى، بعنوان: التساوي بين القوى والضعف في الحق في نسج البلاغة

الحمد لله الناشر في الخلق فضله، وبالاستفادة منهم بالجود به. نحمده في جميع أموره، ونستعينه على رعاية حقوقه. فقد ساوى سبحانه بينهم في الخلق كما تساوا في الميثاق. انطلق الإمام علي(ع) في التساوي بين الأقوياء والضعفاء في الحقوق، من حيث التساوي في الخلق والتفاضل في التقوى.

على هذا المنوال نسج الإمام(ع) عداته، وساوى بين الحقوق والواجبات.

وقد ركز هذا المبدأ على أربع نقاط:

١- عالج الأسباب الداعية للاعتدال، فشخصها.

٢- عالج التفوس ليحرك نواحي الحقوق فيها لتحافظ على الحقوق تلقائياً.

٣- رسم أسلوباً لإعادة الحقوق لأصحابها.

٤- دفع حياته الشريفة ثمناً للعدالة، تتحدث عنها الأجيال.

### النقطة الاولى: الاسباب الداعية للاعتدال:

القوى يضع عادة معاني الكمال التي تتناسب مع جبرونه، ولا يرضي بالكمال الذي يتحلى به الضييف.

أراد الإمام (ع) اقتلاع مثل هذه الرواسب من النفوس. فقال في الخطبة ١٩٢: «فاعتبروا بما كان من فعل إبليس، أذ أحبط عمله الطويل، وجده الجيد... عن كثراً ساعة واحدة فلن تبعد إبليس سلم هل الله مثل معصيته» إلى أن يقول (ع): «فاحذروا عباد الله عدو الله أن يدعicكم بدانه، وأن يستفزكم بندائه، وأن يجعلكم بخيله ورجله».

فوضع (ع) يده على الداء ووضع له الدواء.

### النقطة الثانية: المعاجلـة النفسية:

يقول (ع): «فأطغـوا ما كـنـ في قلوبـكـمـ من نـيـرانـ الـعـصـيـةـ، وأـحـقـادـ الـجـاهـلـيـةـ، فـاـنـاـ نـلـكـ المـحبـةـ تكونـ فيـ الـسـلـمـ، مـنـ خـطـرـاتـ الشـيـطـانـ وـغـوـرـاتهـ، وـزـغـانـهـ وـفـتـانـهـ».

فاطفاء نيران العصبية تقتل نوازع الشيطان.

ان التكبير يشير العداوة والبغضاء، بينما التواضع يرفع صاحبه ويشع الحبة. ان المتكبر يلـجـأـ الىـ التـكـبـرـ ليـسـ نـقـصـهـ.

لقد بلـغـ أـجـادـاـنـاـ الـعـلـىـ بـالـتـوـاضـعـ.

يقول (ع) في الخطبة ١٩٢: «أـلـاـ فـالـهـلـدـرـ الـخـلـدـرـ مـنـ طـاعـةـ سـادـاتـكـمـ وـكـرـانـكـمـ، الـلـذـينـ نـكـبـرـواـ عـنـ حـسـبـهـ، وـتـرـفـعـواـ فـوـقـ تـسـبـبـهـ، وـأـلـقـواـ الجـيـنةـ عـلـىـ رـبـهـ، وـجـاـحـدـواـ اللـهـ عـلـىـ مـاـصـنـعـهـ، مـكـابـرـةـ لـقـهـانـهـ، وـمـقـاـبـلـةـ لـأـلـاـهـ، فـاـنـهـ قـوـاعـدـ أـسـاسـ الـعـصـيـةـ، وـدـعـامـ أـرـكـانـ الـفـتـنـةـ، وـسـبـوـفـ اـعـزـاءـ الـجـاهـلـيـةـ» إلى أن يقول (ع): «فـاـعـتـرـواـ بـاـصـابـ الـأـمـمـ الـمـتـكـبـرـينـ مـنـ قـبـلـكـمـ، مـنـ بـأـسـ اللـهـ وـصـرـلـانـهـ، وـرـقـائـهـ وـقـثـلـهـ».

المستكبرون ينـازـعـونـ اللـهـ سـلـطـانـهـ، وـأـرـادـواـ سـتـنقـصـهـ وـخـلـلـهـ بـالـكـبـرـ، أـمـاـ الـمـتـواـضـعـونـ الـمـسـتـضـعـفـونـ فـكـانـواـ أـوـلـيـاءـ اللـهـ، وـهـكـذـاـ كـانـ أـنـبـيـاءـ اللـهـ. وـفـيـ ذـكـرـهـ يـقـولـ (ع): «فـلـوـرـخـصـ اللـهـ فـيـ الـكـبـرـ لـأـحـدـ مـنـ عـبـادـهـ، لـرـخـصـ فـيـ خـاصـةـ أـنـبـيـاءـهـ وـأـوـلـيـاءـهـ. وـلـكـهـ

سبحانه كثرة اليمم التكابر، ودضي لهم التواضع. فأصلحوا بالأرض حدودهم، وعفروا في التراب وجوههم. وخفضوا أجذحتهم للمؤمنين، وكانوا فرماً مستضعفين».

دخل موسى وأخوه هارون(ع) على فرعون، وعليهما مدارع الصوف وبيديهما العصي. فاشترطا عليه دوام الملك اذا هو آمن بالله. فألقى اليها أساور الذهب، ظناً منه أنهم سيرضخون له.

يقول(ع) في الخطبة ٢/١٩٢: «ولرأد الله سبحانه لأبياته حيث بعثهم أن يفتح لهم كنز الذهبان، ومعادن العقبان، ومغارس الجنان... لفعل. ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء، وأضحلت الأناء... ولكن الله سبحانه جعل رسنه أولى فوة في عزائم، وصفحة قباري الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنىًّا، وخصوصة تملأ الإبصار والاسماع أذى».

ولو كانت الانبياء أهل قوة لا ترام، وعزّة لا تضام، وملائكة نعمه أعناق الرجال، وتشد إليه عقد الرجال، لكن ذلك أمنوا على الخلق في الاعتبار، وأبعد لهم في الاستكبار، ولأنمنوا عن رهبة فاتحة لهم، أو رغبة مائة بهم، فكانت النبات مشركة والحسنات مقسمة». «ان العلاقات التي لا تنفص هي العلاقات المعنوية غير المادية الموجودة بين المستضعفين والمتواضعين».

ولقد لاق الإمام(ع) الأمرئين ليجعل أصحابه يسيرون الى الحق، وهم يعصونه ويفسدون رأيه، حتى خاطبهم في الخطبة ٢٧ قائلاً:

«يا أشباء الرجال وللرجال، حلمون الأطفال، وعقول ربوات الحجاج. لوددت أنني لم أركم ولما عرفكم، معرفة - والله - جرت ندماء، وأعقبت سدماء. فاتنكم الله، لقد ملأتم قلبي قبحاً، وشحتم صدري غبلاً، وجز عمنوني ثقب التهمام أنفاساً، وأفسدم عليّ رأيي بالعصبان والخذلان». «وخطابهم في الخطبة ٢٥ قائلاً:

«اللهم إني قد علتكم ولولي، وصنعتم وسموني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم في شرّاً مني. اللهم إني (أي أذب) قلوبهم كما يماث الملح في الماء. أما والله لوددت أن يبكم ألف فارس من بنى فراس بن غنم: هنالك لودعوت أناك منهم فوارس مثل أربعة الحريم»

٥ - كلمة حجية الاسلام زين العابدين فرباني، تحت عنوان:

### عوامل التعاون بين الشعب والحكومة من منظار نجح البلاغة

قال النبي (ص): لا تصلح الامامة لرجل إلا أن تكون فيه ثلات خصال:

- ورع بمحاجزه عن معاصي الله،

- وحلم يملك به غضبه.

- وحسن الولاية على من يليه، حق يكون لهم كالوالد الرحيم.

لقد تكلم البارحة في هذا الموضوع الاستاذ رزيعو، وقد أوكل إلى أن أكمل الموضوع اليوم. وأسأله في بيان الرابطة بين الحكومة والشعب.

في الحكومة المستبدة تكون الرابطة بينها وبين الشعب كرابطة المولى مع السيد المالك، العبد لا يملك أي اختيار لنفسه كالانسان الحر، ما كان بيده فهو ملولا.

ونلاحظ ان مثل هذه الحكومة اذا هيأت وسائل العيش والصحة للناس، فانها لا تقدم هذه الخدمات لمعزتهم، واما تقدمها لتبسيط منافعها الشخصية، ولنستطيع الحكومة أن تأخذ من الشعب كل طاقته، انها تربىهم كالأغذام من أجل الاستفادة منهم كاملاً، من حلبيهم وصوفهم ولحهم.

عبد العكس تماماً في الحكومة الاسلامية. فالرابطة عندها ليست كالملي بين المولى وسيدهم.

في المجتمع الغربي يقولون بالديمقراطية، أي أن الحكومة متبرقة من الشعب وأنها تؤمن كل حاجات الشعب، لأنها من الشعب وإلى الشعب. وعلى هذا الأساس أباحوا قانون التعلل الجنسي بدعي أن الشعب يريد ذلك، وأن هذا القانون هو من إرادة الشعب.

ان رابطة الحكومة الاسلامية مع الشعب ليست كما في الحكومات الديمقراطية، اننا نستطيع أن نستشف ملامع الحكومة الاسلامية من أوائل الامام علي (ع).

ذكر عليه السلام أن الارتباط في الحكم الاسلامي بين الحاكم والشعب كرابطة الأب مع عائلته. العائلة مجموعة صغيرة، وكل فرد فيها له مسؤولية ملقاة على عاته. مسؤولية الأب هي جنابة ورعاية الامارة، على أساس الحق والاعاطفة. الابوان هما

أبطئونان من أساطين الحبّة، ومثال حي للوفاء. ولكن هل الآباء في هذه المجموعة الصغيرة هما فقط بركان من الحبّة؟ هل يرضون بكل ما يفعله أطفالهم؟ هل يسمحون لكل ولد بأن يعمل ما يشاء؟ أم يراقبونه، وإذا أخطأ فانها يطبقون عليه الجزاء. هل يسمع الوالد شولده أن يأكل كل ما يشتهي؟ نعم أن الطعام شيء مفيدة له، ولكن زريادته تضره، فالآباء لا يسمحون له بها.

الحكومة الإسلامية هي كالوالدين. إنها تريد الخير لأبنائها من الشعب، وإذا وجدت شخصاً يتعاطى المخدرات فإنها تمنعه، حتى لا يفسد المجتمع. إنها تتصحّح أولاً، وإذا لم يتصحّر فإنها تنزل به العقوبة الإسلامية، وهي حد الجلد، وإذا أعاد ذلك فحده القتل.

ينقل العلامة الكليبي في الكافي ص ٤٠٧ عن الإمام الباقر(ع) يقول: «الإمامية وأدارة أمور المسلمين لا تليق بأحد، الا برجل يمتلك ثلات خصال». وقد ذكرناها في مستهل الحديث. وهي:

- ١- أن يكون متسلطاً على نفسه، وأن تكون له قدرة في امتلاكه نفسه.
  - ٢- أن يكون حليماً، وأن يتسلط على غضبه.
  - ٣- أن يملك حسن الولاية على رعيته، أي أن تكون له قدرة على حكم مجتمعه بالطريقة الإسلامية. وأن يكون حليماً ورحيناً مثلما يكون الأب.
- يقول الإمام علي(ع) في هذا المعنى في كتابه مالك الاشت لما ولاه مصر: «لم تفقد من أمرورهم ما يعتقد الوالدان من ولدهما».

ينتتج من هذا أن الرابطة الإسلامية بين الحكومة والشعب هي رابطة الأبوة كما بين الأب والأبناء.

والآن نتساءل ماهي العوامل التي تحمل الابناء في الاسرة يطيعون آباءهم؟ لأن تلك العوامل هي نفسها التي تحمل الشعب يطيع حكومته. هناك سبعة عوامل ذكرت في نهج البلاغة نذكر منها:

- ١- الولد في عبودية الأسرة يجب أن يعي بأن أبويه ليسا عدوه وإنما هما يعملان لصلحته. وهذا من تكليف الله لها، من أجل أن يكلا شخصية الولد ويفوتوا روحيته.

وكذلك الأمر بالنسبة للحاكم المسلم، فعل الشعب أن يحبه ويطيعه، لعلمه بأنه لم يأت إلى الحكم رغبة في الحكم وإنما ليخدم الشعب. وهذا معاير للحكام الغربيين.

نشاهد هذا المعنى في أقوال امير المؤمنين(ع) يقول في الخطبة ١٢٩:

«اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان هنا منافسا في سلطان، ولا قاتلا شئ من فضول أخطام، ولكن يترى المعلم من دينك، ونظير الإصلاح في بلادك ، فلأن المظلومون من عبادك ، وتقام المعللة من حدودك ».«.

فكأنه (ع) يقول: «اللهم إنك تعلم أنني قاتلت في بدر وأحد، لم أفعل ذلك لأصل الى الحكم. اني لأجاهد وأسعى لأصل الى المال والمال، واغاً أسعى من أجل أن أرجع الأحكام الاليم الى الصواب، وأنفذها في المجتمع الاسلامي، وأرجع الأحكام التي تعطلت. عندما يدرك المجتمع الاسلامي أن الحكام جاءوا لاصحاء العالم الدينية، كما يفعل الامام الخميني الذي بلغ ٨٤ عاماً، وأنه لم يأت رغبة في شيء من حطام الدنيا، فانه يسعى وراءه بشقة ويقين، ويطبعه إطاعة تامة.

## ٢- التقسيم الصحيح للمناصب في الحكم:

ان أكبر عامل يمكن أن يخرج المجتمع عن السير في النظام الصحيح، هو عدم تقسيم المناصب بالشكل الصحيح. ولكن في هذه الجمهورية تناول أن نقسم المناصب بشكل صحيح. اتنا لانفرق بين المسؤولين.

عندما نعامل في العائلة أحد الأولاد معاملة مختلفة عن غيره، فانه يعتقد ويعاول أن يقوم بأعمال غير طبيعية. فيجب على الحكام معاملة الجميع بالتساوي، والا يحصل في صفواف الشعب تذمر وتمرد.

وكذلك يجب أن يكون الحاكم مناسباً لعمله. الكفاءة والأمانة هما الأساس، كما قال الامام(ع). ويجب خاصية استبعاد المرتشين وأهل الوساطات. يقول(ع): «من استعمل عاماً من المسلمين، وهو يعلم بأن هناك من هو أعلم منه بكتاب الله وسته، فقد خان الله ورسوله وجيع المسلمين».«.

محمد الله أن حكامنا في جمهوريتنا منتخبون بحق، ومنهم المستضعفون الذين كانت لهم سابقة قدرة ومارسة للحق.

٣. ان الاندفاع نحو العمل لصفة هامة للمؤول، كما كان الامام الحسين(ع). يقول(ع) في هذا المعنى في الخطبة ١٧٣:

«أيها الناس، إني والله ما أتعشكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، لأنها لكم عن معصبة إلا وأنناهى قبلكم عنها» و يقول(ع) في الخطبة ٧٣:«

«من نصب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم ضيوفه، ولتكن تأدبه بسزنه قبل تأدبيه بلسانه. ومعلم نفسه ومؤديها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤديهم». فيجب على الحاكم أن يطابق قوله عمله، فإن يكون أول من يطبعه ما يدعوه إليه.

#### ٦- كلمة الاستاذ برونو وزير التربية والتعليم وهي بعنوان: الوجه الأعلى.

قال الإمام(ع) عندما ضربه عبد الرحمن بن ملجم: «فرت ورب الكعبة» هذه الجملة تصور نتيجة عمله(ع)، لأن أعماله جميعها كانت من أجل الله. وهو في هذا القسم أشار إلى المسار الصحيح للإنسان.

لقد بدأ حياته(ع) من الكعبة حيث ولد بين أستارها، وتحول هذه الحقيقة قال عبد الفتاح عبد المقصود شرعاً معناه: أن الكعبة قبلة المسلمين، والإمام(ع) ولد في هذا المكان الشريف. (يقول المؤلف) وانطلقت الكعبة في قلب علي(ع) حتى صار كعبة للمسلمين، لانه كان بعد النبي(ص) لهم الإمام، دون غيره من الأنام.

ان ما يقوله الإنسان لحظة احتضاره يعبر عن شخصيته وحقيقة ذاته، فإذا واجه أحدهم الموت في حالة اصطدام، فصرخ بأمأة، فهو إنسان عاطفي، وإذا قال في تلك اللحظة إن أمواли لأولادي، فهو إنسان مادي، لأن اهتمامه بالمادة.

ان كلمة الإمام السابقة (فرت ورب الكعبة) تعبير عن منهج حياته، وعصارة وجوده. إنها تصور نتاج عمله في دنياه. في القرآن شاهد عبارة: أهل الفوز، والفوز يتخذ معنيين، وكلما شاهد على فوز الإمام(ع).

المعنى الأول: العمل الحسن هو الفوز

المعنى الثاني: النتيجة الجيدة للعمل هي الفوز. في المعنى الأول، نجد قوله تعالى: (وَمَنْ بَطَّلَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَغَشَّ اللَّهُ وَيَقِنَهُ، فَإِنَّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَانِزُونَ).

فقوله(ع): «فرت»، أي أن جموع حياتي مرّت بغيري الله وخشتيه. فترت: تعني أتني أطاعت الله في كل دنياوي. انه حصيلة ماعملته. ويقول سبحانه: «الذين آمنوا وهاجروا وجاحدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله، وأولئك هم الفائزون (التوبية- ٢٠).

فكل من ملك جوهرة الاعان وجاحد في سبيل الله، فقد فان ولقد كانت الهجرة والجهاد من جملة عمل الامام(ع).

ويقول تعالى:

«افي جزتهم اليوم عاصروا أئمهم هم الفائزون» (المؤمنون - ١١).  
في هذه الآية معنى مختلف للفوز، فالفائزين فيها هم الذين استطاعوا أن يقفوا أمام عن特 العدو وحاربوه، فهم في مأمن من الفوز.  
ويقول جلّ من قائل:

«إن الله أشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون وبُقتلون، وعداً عليه حفا، في التراثة والأخيل والقرآن، ومن أوف بعهده من الله، فاستبشروا ببعكم الذي يابعكم به، وذلك هو الفوز العظيم» (التوبه - ١١).

فالذين لهم مثل هذه الصفات هم الفائزون، فالمؤمن هو الذي يبيع روحه ونفسه، والله هو الذي يشتري، ونتيجة هذه التجارة هي الجنة.

ان جملة هذه الصفات هي اطاعة الله ورسوله، وحفظ حدود الله، لذا يجب ان تكون حياتنا خص اطاعة الله ولرسوله، عند ذلك نفوز.  
في المعنى الثاني للفوز نجد القرآن يقرر أن ثمرة العمل هو الفوز.

يقول سبحانه:

(فَنَجَّرَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَانَّ  
وَيَقُولُ:

(قلْ أَتَيْ أَخَافِ إِنْ عَصَبْتُ رَبِّي عَذَابُ يَوْمِ عَظِيمٍ \* مِنْ يَصْرُفُ عَنْهِ بِرَحْمَةِ فَقْدِ رَبِّهِ، وَذَلِكُ هُوَ  
الْفَوْزُلِيْنِ) (الأنعام - ١٦).

فنتيجة عمل الانسان هي الفوز المبين.  
وقد كان عمل على(ع) هو الفوز، كما كانت نتيجة عمله هي فوز أيضا.  
والآن لننظر ما هي العبرة من بحثنا.

اننا نستطيع ان نلفظ: الماء - التفاح. ولكن هذا لا يشبّعنا، اذا سمعنا أن موتمرًا مؤلفًا من ١٢٢ عالماً وهم يبحثون عن الماء وجميع خصوصياته، وكيفية الحصول عليه.  
وطلعوا سنتين يبحثون في ذلك ، فهل يروي ذلك عطشاً؟!  
نحن نذكر فضائل الامام وعظمته، وكل واحد يذكر ذلك وفق معلوماته  
ومطالعاته، ولكن ذلك لا يروي بنا شيئاً، اننا يجب أن نواصل طريقه وتتغذى بآثاره

لنا، اننا يجب أن نتنفس بروح ماتركه لنا(ع).  
ان تلامذة علي(ع) كأبي ذر قد ساروا في هذا المطلب، ونحن يجب ان نسير في طريق الولاية، الذي هو طريق العمل والاقتداء.

ولقد وضع لنا الامام(ع) طريق الفوز في نهجه.  
مثلاً يقول(ع) في الخطبة رقم ٥:

«والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بشيء أمه»  
إننا نستطيع ان نسير على طريق علي(ع) فتفوز بما فاز به.  
نلاحظ ان الناس في الدنيا نوعان:

- الاول يستغنى من الحياة، وهي كما قال سبحانه: لعب ولهو وزينة، من كان غذاً من الدنيا فتنيجه الحرص والاخراف وضيق النظر والطمع والكراهة والغدر كل هذا هي نتيجة الرضاع من ثدي الدنيا.
- وال النوع الثاني يستغنى من ثدي الموت، كما صور لنا الامام نفسه وهو تحت ثدي الموت يتغنى منه.

ماذا يوجد في لبن هذا الثدي ياترى؟ توجد فيه حلاوة يذكرها القرآن.  
يقول تعالى: (فَلَمَّا مَرَأُوكُمْ مُّلْقِيَّمُونَ مِنْهُ فَانْهَا الْحُرْبُ وَالشَّهَادَةُ)  
(الجمعة-٩). ان حلاوة هذا الثدي هو لقاء الله.

فإذا كنتم صادقين فتقنعوا من ثدي الموت، فان أولياء الله يتغذون من هذا الغذاء.  
اننا نريد أن نرضع من ضرع الحياة المادية، وياخذنا الغرور. هذا الغرور تمدد  
جذوره في أعماقنا وعروقنا، بينما الذي يتغنى من ثدي الموت فانه ينظر لما بعد الموت،  
وتهبون عنده الحياة.

ان الذي يتغنى من ثدي الموت لا يسمع لنفسه بأن يتكلم على أخيه المسلم. فهذا عجز، وأكثر اخطأناها نتيجة العجز.

يدرك العلامة الطباطباي رحمه الله عن اسم الله الأعظم: اذا توجهم الى عجزكم فانكم تعرفون عظمة الله. عندما تمرضون تتوجهون الى الله فتعرفون الله. تعرفون أن الله قادر. عندما نرى ضعفنا نقول: ياعظيم. هذا هو اسم الله الأعظم.

ان الذي يتغنى من ثدي الموت يعيش في هدوء وسكينة، أما الذين يتغذون من ضرع الحياة فانهم يعيشون في الخوف والقلق.  
يقول الامام(ع): «من ارتقى الموت، ساعي في الخبرات».

ويقول(ع): «الموت معقود بنواصيكم».  
اننا شيعة على، وعلى يقول لنا:  
«ولكن أعينوني بوعي واجتهد، وعفة وسداد».

### يوم الأحد:

ذهبنا اليوم الى نياوران لزيارة بعض قصور الشاه البائد، وهناك زرنا:  
١- قصر أم الشاه، واللاحظ فيه أنها خصصت غرفة لوسائل اللعب بالشطرنج  
والقمار مع أنها كانت تظهر التدين، وتظهر امام الناس وهي تحمل المسحة. وفي  
هذا القصر الكثير من الهدايا الثمينة.

ورأيت في إحدى الغرف لوحة كتبت عليها كلمة للامام الخميني هذا نصها:  
(طرز زندگی اینها «خانواده پهلوی» مثل حيوانات است).

أي، ان الطراز الذي كان يعيش الشاه وأسرته هو طراز الحيوانات.  
وكما قال الإمام(ع): «همّا علّفها»

وعندما خرجت من هذا القصر قلت: كل هذا القصر وما فيه من مقصورات من  
أجل امرأة واحدة، هي أم الشاه، ولم يسعها في النهاية غير القبر، الذي وصفه  
الإمام(ع) حيث قال:

«واما حظ أحدكم من الأرض ذات الطول والعرض، فبد فده، متغراً على خده».

٢- القصر الأخضر: وكان هذا القصر لوالد الشاه، ثم أصبح له، وقدبني عام  
١٣٥٩هـ. ويسمى الآن المعرض الأخضر.

رأينا في هذا القصر غرفة الاستقبال وغرفة المكتب وصالون الاستقبال وهو من  
المرايا، وغرفة الطعام في القبو وقد اشتريت موجوداتها من أمريكا. وعلى الطاولة  
الخشب وضعت لوحة عليها كلمة للامام الخميني يقول فيها:

(الآن، تمام گرفتاری ما از امریکا است).  
أي الآن كل مشاكلنا من أمريكا.

وعندما خرجنا من القصر رأينا شعار ايران (الله) منسوج من الزهور على احدى  
٣ قصر ابنة الشاه شاهناز، وقد جعلت منظمة المحافظة على البيئة هذا القصر  
متحفاً للحيوانات المصابة، بعد أن يصطادوا الحيوان يضمونه في قالب للتحنيط، ثم

يخلعون عنه جلده، ويصنعون له قالباً و يعشونه بالقطن. وتظل القرون فيه أصلية، أما  
الميون فاصطناعية.

الحيوانات الموجودة في هذا المصحف مختصة بآسيا وأفريقيا والهند. ورأينا في  
الطابق الثالث عظمة مدفونة في الصخور لرجل قيل منذ سبعة ملايين سنة.  
ولما غادرنا منطقة القصور قال أحد المرافقين:  
رفعت للشاه علامات، فلما علا، مات.

**المؤتمر في يومه الخامس:**

تضمن برنامج اليوم الفقرات التالية:

١- القرآن الكريم

٢- نشيد، وقد أنشده رجال الشرطة وهم يرتدون اللباس الكحلي.

٣- كلمة حجۃ الاسلام فراءتی، وهي بعنوان:

(التفوی في نبیج البلاغة)

أتحدث عن شخص لا أعرفه، وليس عندي شيء منه، أتحدث عن التفوی  
وعلي(ع).

أنا لأملك بضاعة التفوی، ومع ذلك أريد أن أتحدث عن التفوی!.

ولن أجد أصدق تعبيراً عن التفوی مما ذكره الامام في نهجه عن التفوی،  
وقد اقطعت من كلامه(ع) مقطعاً.

كان للامام(ع) صاحب يدعى هتمام، وكان عابداً، فسألته: من هم المتقویون؟  
فتتجنب الامام(ع) عن الجواب. ولكن همام ألح عليه بتعدد صفات المتقين. فأجابه  
الامام الى طلبه.

لتنظر في هذه الصفات لنرى ما نحن من التفوی!.

قال الامام(ع):

(هم أهل الفضائل): الفضيلة في الاسلام تقوم على التفوی والصلاح فقط. لذلك  
نقول في الصلاة: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

(منظمه الصواب): يؤكد في هذا على أهمية الصدق والصواب في الكلام.

(ولبسهم الاقتصاد): يلبسون اللين تارة والخشن أخرى.

وهي صفة النبي (ص)، وقد قال: أليس مالاً شتير، وكان (ص): يركب البراق تارة والحمار تارة أخرى.

(ومشيهم التواضع): مشي المسلم يكون بتواضع، والله سبحانه يقول: ولا تصرخون للناس، ولا تمش في الأرض مرحًا، ويقول: الذين يمشون على الأرض هؤلاء، لماذا يصرع الإنسان خده للناس، ويهي على الأرض بخيلاً؟

(غضروا بأبعادهم عازم الله عليهم) نظرهم مرتبط بما أمر الله به.

يقول النبي (ص): كل عين بما كبه يوم القيمة إلا ثلاثة أعين: عين فضحت عن حرام الله، وعن سهرت في طاعة الله، وعن بكت في جوف الليل من خشبة الله» لهذا خلقت عن المسلم.

(وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم)، يقول سبحانه: الذين هم عن المغوغة معرضون. وقال (ع): «الفكر في غير الحكمة هو سوء». القرآن يذكر الذين يتعلمون ما لا ينفعهم، ومنهم من يتعلم ما يضرهم ولا ينفعهم. المتقون يتذمرون العلم الذي ينفع.

الإمام الكاظم (ع) يقول:

ووجدت علم الناس في أربع: أن تعرف ربك. أن تعرف ماضيك ...

وقال الإمام الرضا (ع): إذا لم يعرف الإنسان علم التشريع، فإن توحيد الله قليل. لأن الإنسان عندما يطلع على العلوم الإنسانية الصحيحة فإن إيمانه بالتوجه يزداد.

من العلم النافع أن تعلم ما يخرجك من دينك.

ما هي عوامل الاتساع؟.

سمعنا البارحة في التلفزيون، المقابلة التي أجريت مع قطبين من أقطاب الشيوعية في إيران، وكيف أنها اخروا لأنفسها لم يتعلما العلم الصحيح المفيد.

العلم المفيد يقوم على أساس معرفة الله، ومعرفة الهدف الذي أراده منا، ومعرفة ما يخرجنا عن ديننا.

هذه هي الأسس التي ينبغي أن يتركز عليها العلم.

نرجع لتساءل: من هم المتقون، وما هي علماتهم.

(عظم الخلق في أنفسهم، فصغر مادونه في أنفسهم).

لعلك ركبت طائرة، عند ذلك ترى أنك كلما ترتفع نحو السماء، فانك ترى كل

شيء يتضاعف.

من هذا المنطلق قال الامام التقى الحسيني: امريكا لا تستطيع ان تفعل شيئاً، طالما أن الله قد عظم في عينيه، فصغر كل مادونه في نفسه. ان كلمة الحسيني هذه، ليست جلة سياسية بل عرفانية، لقد تضاءلت امام عينه كل طواغيت الأرض، ان الله كبيرون في أعين المتقين، ولذلك لا قيمة لما دون الله في أعينهم. كل الأشياء تصغر في عين المتقى، ويصبح هو الوحيد هو الله، والسير على خط الله.

(قلوبهم محزونة): المؤمن يتحمل آلامة الرسالية، وهو من دنياه وما بعد موته. يتحمل هموم رسالته والسير إلى الله ... خاب الجاهلون وخاب المترفون على غيرك . خسر الذين يسيرون نحو غير أهداف الله. سرعان ما تزول هذه و يظهر أنها سراب بقيمة يحسبه الصماء ما .

الهدف هو الله، ولا فنحن خاسرون، لأننا عند ذلك لن نجد شيئاً من أعمالنا، بل نجد الله الذي سيحاسبنا.

ان الله سريع الرضا، يتقبل من يسير نحوه، ويختضنه و يلتوه . والانسان عندما ينحرف عن الله فإنه يتوجه نحو آلته متعددة . ولا يتحقق رضا الله .

(وشروهم مأمونة) إن المسلم لا يفعل شرآ . يسلم الناس من لسانه و يده . اللسان قليل الجرم، ولكنه كثير الجرم . يجب أن يُؤطر باطار الاسلام، والله يقول: (وَبِلِّكُلْ هُرْزَةٍ لَّمَرْزَةٍ).

يقول النبي (ص): لو استغفرت لهم سبعين مرة، فلن يغفر الله لهم، لأنهم هُنّا زون غُنّا زون طقانون.

(أوجادهم غيبة): يصومون، ولا يأكلون إلا القليل.

(وحاجاتهم خففة): ليست لهم حاجات وأعمال طويلة . احتياجاتهم المادية قليلة . (صبروا أيامًا قصيرة، أعقبتهم راحمة طربلة): المؤمن يصبر على المرض في الدنيا، ليحصل على سعادة أبدية . لا لله بعدها النار، انهم لا تغريهم اللذات الآتية . الدنيا تتجادبهم ولكنهم متعالون عن الانجذاب . فرص كبيرة تعرض عليهم لينغموا بالدنيا ولكنهم يأنفون ذلك . في المثل يقال: الدنيا مثل الفطل، ان تركتها خلفك تبعنك ، وان مشيت وراها سبقتك .

ثم يقول (ع): (أما الليل فصادرون أقدامهم ...)

إلى أن يقول: (مفترشون جيابهم وأكفهم وركبهم، وأطراف أقدامهم).

يقول تعالى: تجاف جنوبهم عن المصالح.

(مفتيرون جباهم): هذه صفة المتقين في أسحار الليل. يرغون جباهم بالتراب، وهي أسمى جزء في الإنسان. تواضع الله ليتعالى عبادون الله.  
يقول النبي (ص): «إذا أردت أن عزرك الله معي، فأطل السجود له». المتقون هم الذين يحبون إطالة السجود.

(لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير) لا يتظاهرون ب فعل الكبار  
قال الإمام الخميني: إن الولد الذي فجر الدبابة في خرمشهر لم يرض لنفسه بالقليل، ومع ذلك لم ير عمله كبيراً منها كان كبيراً.  
(فهي لأنفسهم مثمنون، ومن أعمالهم منفون).

العلامة البروجردي رحمه الله بكى وهو يشرف على الموت! قيل له: لم تبكي؟  
قال: آه من قلة الرزاء، وطول السفر، وبعد الطريق. هذا الرجل الذي عمل الكثير  
لم يستكثر عمله أمام ما يجب أن يُعمل.

(إذا زكي أحد منهم خاف ما يقال له): المتقى يخاف من الذي يمدحه.  
إنه لا يلتفت بنعده، خلافاً لأولئك الذين يحبون أن يحمدوا عالم يفعلوا. نعم ثمة  
أفراد يحبون أن يتحلوا بالألقاب، وهناك الفتنة المتقية، التي تستحق الألقاب ولكنها  
تألف منها.

وينتسب الإمام عليه السلام تعداده لصفات المتقين وهو يخاطب همام فيقول:  
(لهم فوة في دين): لا تؤثر فيهم الوساوس.  
(وحرصاً في علم): لا يعتبرون أنفسهم يوماً متخرجين من العلم، والرسول (ص)  
يقول: وقل رب زدني علمـاً.

(وفصداً في غنى): المتقى ليس عرض على طلب المال. وحيثما يكون غنياً لا يذرب بل  
هو معتمد في كل أمور حياته.

(وتحملاً في فاقة): الإنسان المتقى يحس به الجاهل غنياً من التعفف. المتقون لا يظهرون  
فقرهم للناس. هم أكبر من أن يتاثروا بمثل هذه المظاهر.  
كان النبي (ص) في أحدى غزواته، اقتربت الشمس من المغيب، أرادوا أن  
يأكلوا، فاحضروا عشرة قدور. فقال (ص): هذا إسراف. أحضروا قدراً واحداً طعاماً والباقي  
ماء. وأوقفوا النار تحت القدور العشرة حتى يقطن العدو السعة فيها.

يقول تعالى: لا يسألون الناس إخافـاً. أي لا يصررون علىأخذ المال من الناس عن  
طريق القرض وغيره. التي تكون الفتاعة غايتها، وهو لا يتأثر ولا تتحطم نفسيته أمام

مسائل الحياة الاقتصادية.

(وصبراً في شدة): حين تغزوه الهزائم يقف صامداً.

الناس أمام الشدائيد ثلاثة جموعات:

١- الذين يجزعون: وادا مسه الشر كان جزوعاً.

٢- الصابرون: وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون.

٣- الذين يندفعون نحو المصاعب والمشاكل: جاء بعضهم الى النبي(ص) وقالوا: نريد أن نذهب الى الجنة. فقال لهم: أنا ليس عندي سيف ولا حسان.

(وطلا في حال): المتي يطلب الحلال حيثما.

كل الناس حلامهم مقدار، ليست الشطارة أن يحصل المرء على المال من أي طريق، وإنما الشطارة أن يحصل عليه من طرق الحلال كل الناس أرزاقهم مقدرة، ومن يستعجل الحرام يحرمه الله من الحلال. اذ ليس المهم الحصول على المال، اغا المهم الحصول عليه من طريق الحلال.

(ونشاطاً في هدى): ينشطون لهداية الناس، خلافاً للذين لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى. بعض الناس يتقاوسون في الصلاة. يصل أحدهم فقط ليخلص من هم الصلاة وتبعها. المؤمن في المسجد كالسمكة في البحر، والمنافق في المسجد كالطير في القفص.

قال(ص): أفضل الناس من عشق العبادة. يجب أن يكون الاتجاه الى العبادة بالمعنى. الحسين(ع) قال: اني أحب الصلاة. طلب من الجيش الذي يحاربه أن يتظروا لبسطيع القيام بالصلاحة. ان المؤمن لا يقوم بالصلاحة لأنها واجبة فقط، بل لأنه يحبها ويعشقاها.

(ونخرجاً من طمع): الطمع أساس الانسياق وراء الكبار والذلة، من أجل الحصول على حطام قليل من الدنيا. الطامع يعتقد اذا لم يحصل على ما يريد، فالطمع أساس الرذائل. لذلك قال الامام(ع): حب الدنيا رأس كل خطيبة.

(يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل): انه دقيق وعثاط في عمله، ولا يأخذ الغرور في ذلك.

رجل قام نصف الليل وصل صلاة طويلة بلغت مناجاته ساعتين. أصابه الغرور فقال له سبحانه: هذه الصفدعه التي تنتق قرب دارك أفضل منك ، لأنها تفعل ذلك الله وأنت لا تفعل ذلك الله.

(يُعمل الأعمال الصالحة): الإمام الحسن (ع) حين كان يقول لبيك اللهم لبيك، كان يغمسى عليه. إن كلمة لبيك كلمة كبيرة عظيمة. وعلى (ع) كان يخاف عندما يقول لبيك، يخاف أن لا يرية الله عليه.

(يسى وهـة الشـكـرـ، ويصـحـ وهـة الـذـكـرـ): ليس الذكر أن يقول الإنسان: سبحان الله والحمد لله، أفضل الذكر أن يذكر الإنسان ربه عندما يريد أن يعصيه. زليخا قالت: هيـتـ لـكـ، ولـكـ يـوسـفـ قالـ: مـعـاذـ اللهـ.

(يـزـجـ الـحـلـمـ بـالـعـلـمـ، وـالـقـوـلـ بـالـعـلـمـ): يقول سبحانه: كـبـرـ مـقـنـاـتـ عـنـ اللهـ أـنـ تـفـلـوـاـ مـاـ لـأـنـفـلـوـنـ. (ترـاهـ قـرـيـاـ أـهـلـهـ): قـيلـ لـفـتـاهـ تـرـوجـيـ. قـالـتـ: أـنـيـ أـرـيدـ أـنـ تـرـوـجـ مـلـيـارـدـيـاـ قـرـيـاـ مـنـ الـمـوـتـ حـقـ أـحـصـلـ عـلـىـ ثـرـوـةـ بـسـرـعـةـ. هـذـاـ هـوـ طـولـ الـأـمـلـ.

رحم الله أحد مراجع التقليد، اذ قال له شخص: يا آية الله، اذا أخبرك أحدهم أنك ستموت بعد أسبوع، فاذا تفعل؟ قال: أفعل نفس ما كنت أفعل، لأنني كنت أعمل دائماً وكان الموت في الغد.

ان كـنـاـ خـافـ الـمـوـتـ فـهـوـ مـنـ قـلـةـ تـقـوـانـ، وـمـنـ قـلـةـ اـسـتـمـادـاـنـاـ لـلـقـاءـ اللهـ. الصـلاـةـ تـعـودـنـاـ أـنـ نـسـتـعـدـ لـلـقـاءـ اللهـ.

(فـلـذـ رـلـهـ): لـاـيـزـلـ المـتـقـ لـأـنـ حـذـرـ. وـلـاـيـلـدـعـ الـمـؤـمـنـ مـنـ جـهـرـ مـرـتـيـنـ، لـأـنـ الـتـجـارـبـ أـمـامـهـ تـرـشـدـهـ.

(خـاشـعـ قـلـبـهـ، فـانـعـ نـفـسـهـ، مـنـزـوـرـاـ أـكـلـهـ، سـهـلـاـ أـمـرـهـ، حـرـيزـاـ دـيـنـهـ، مـيـنةـ شـبـونـهـ، مـكـظـومـاـ غـظـهـ). (الـخـيـرـ مـنـهـ مـأـمـولـ، وـالـشـرـ مـنـهـ مـأـمـونـ): الـؤـمـنـ مـعـطـاءـ دـائـمـاـ، وـيـنـصـحـ مـنـهـ الـخـيـرـ دـائـمـاـ، لـأـنـهـ بـعـيـدـ عـنـ الـشـرـ. وـالـنـاسـ يـعـرـفـونـهـ وـلـاـيـأـمـلـونـهـ إـلـاـ الـخـيـرـ.

(يـغـفـلـ عـنـ ظـلـمـهـ، وـيـعـطـيـ مـنـ حـرـمـهـ): لـاـيـتـقـنـ. لقد رأيت شخصاً في مكة وضيع يده على حجر الكعبة وقال: إلي أعيش عن ظلمي. إلهي اعف عن أساء إلي. هذا دعاء المتترفع عن البغض والبغضينة. هناك روایات كثيرة تقول: ليس من شيعتنا، وليس منا، من يفعل كذا وكذا، وهي نحو ١٨ حديثاً.

ذكرت تلك الاحاديث في اصفهان في ٢١ رمضان، وكتبتها على سبورة. وذكرت هذا الحديث.

دخل النبي (ص) مسجداً فقال لبعض اصحابه: قم بافلان واجرح، انت قم واخرج، وهكذا، حتى أخرج تسعة اشخاص. ثم صل. قيل له: لم فعلت ذلك يا رسول الله، قال: هؤلاء يصلون

ولايذكرون. ثم قلت لهؤلاء الناس: اذا جاء رسول الله ودخل مسجدنا، فلمن يقول قم،  
سيقول قم للكثير.  
وفي اليوم التالي جاءني رجل وقال لي: لو جاء رسول الله لاخرجك أنت ايضاً من  
المسجد.

(وب يصل من قطعه): القرآن يقول: (فاغفروا واصفحوا، لا يحبون أن يغفر الله لكم) فلماذا  
لا يغفرون بعضكم عن بعض، كل الناس يوم القيمة في مأساة إلا من أتى الله بقلب  
سليم.

#### ٤ - ندوة حول (الحرب والصلح في نبع البلاغة)

اشترك فيها السيدان:

الاستاذ الشیخ محمد مهدی الاصفی  
الاستاذ السيد محمد باقر الحکیم

٥ - كلمة الاستاذ الشیخ محمد مهدی الاصفی، بعنوان:  
ما هي الحرب، وما هي القيم التي تتأثر بها في نبع البلاغة،  
ثمة تصوران للحرب في الاسلام:

١- التصور الذي كان سائداً عند اصحاب المخطوطات المسلمين.

٢- التصور الحقيقي الموجود في الاسلام والقرآن ونبيع البلاغة.

في فترة الانحطاط ساد تصور عن الحرب، وذلك عندما صنف المسلمون أمام  
القوى الكبرى وتجاه وهج الحضارة الغربية. كانت الفكرة السائدة أن الحرب هي  
الدفاع ضد اعداء الأجنبي فقط، وليس هناك فكرة حرب وجهاد لنشر الاسلام.  
ولكن وجهة نظر الاسلام عن الحرب تختلف كثيراً عن ذلك. الاسلام يعطي كل سد  
يقف أمام مسيرة الانسان نحو الله. أي شخص وأية مجموعة تقف أمام حركة المسير نحو  
الله فان الاسلام يحيطها، وكل عقبة تقف في سبيل ذلك فان الاسلام يحيطها  
ويقاومها. ان الاسلام لا ينتظر هؤلاء حتى يعتدوا، لأن وجودهم يشكل العداوة على  
الاسلام. من هنا ينهض الاسلام بخارية هؤلاء.  
وحتى لو أعطينا صفة الدفاع عن النفس للحرب، فان هؤلاء يشكلون

العدوان، و يجب حربهم للدفاع عن النفس.

ان الجهاد في نسج البلاغة هو ضد كل من يقف ضد الله، لذلك قال الامام(ع) :  
انتنا قررنا السير الى هؤلاء في الشام جيش معاوية، لقد عملوا بغير مأزاد الله،  
و استثاروا بالله، واستثاروا بالحدود.

هؤلاء يعطّلون الحدود، و يقفون أمام مسيرة الانسان نحو الله، والامة المسلمة مسؤولة  
عن إزالة العقبات.

نعم، لا يمكن أن يجتمع هؤلاء المبطلون مع الحق، لذا فلا بد من إزالتهم لتنم الكلمة  
الحق.

في موضوع آخر يقول الامام(ع) : فانفوا الله وقاتلوا من حاد الله وحاول أن يطفئ نور الله.  
اذن فالتفوي تتجلى في الوقوف ضد من وقف في طريق الله. هؤلاء الذين  
يقفون أمام النور الالهي يجب أن يقاتلوه، حق ينتشر الحق والعدل، و يصل كلام الله  
إلى قلوب ناشدي الله.

ان وجود هؤلاء مثل العدوان، لأنهم يعطّلون الحدود، ويحولون دون وصول نور الله  
إلى القلوب والأعماق.

هؤلاء يجب اطفاء جذورتهم واسكات أنفاسهم، فطالا هم يتنتفسون، فأنهم  
يحاولون اطفاء نور الله.

من زاوية أخرى، اذا تأملنا في أحاديث نسج البلاغة عن الجهاد، لانجد أنها تعني  
صد الاعتداء على حدود المسلمين، واغاثة الجهاد منصب على الفاسدين والصالحين.

الامام(ع) يؤكّد أنهم ليسوا أهلاً لتولي شؤون المسلمين والحكم عليهم.  
ولوتروا عليكم لمنوا بكم بما عمل فرعون والجبارية وكسرى وفقر. فيجب أن  
يماربوا حتى لا يفتح لهم المجال أن يعيشوا في الأرض فساداً.

هؤلاء يقفون أمام انتشار نور الله. هؤلاء مثل النباتات الطفيليّة التي تعيق نمو  
النباتات المفيدة، ولا بد من اقتلاع النباتات الطفيليّة حتى تنبت النباتات الحقيقة  
ونتوّي أكلها.

يقول (ع) : «ولعمري لو كنا نأقى ما أتيتم (أي لوهباونا في المغرب مثلاً تهاونتم) ما قام للدين  
عمود، ولا انحضر للاحيان عود».

الطواويش مثل اي لهب واي سفيان وغيرهنا، ما كانوا يريدون أن ينشر  
الاسلام، ولأن نسمونه بـ نبتة الاسلام.

هذا الموضوع واضح في النبیح، يقول (ع): «ولقد ضربت أثف هذا الامر وعینه، وقلبت ظیره وبطنه، فلم أری فیه إلا القتال، أو الكفر ياجاء به محمد (ص)». فليس هناك غير طریقین: اما الحرب أو أن یسيطر الفساد والانحراف على المجتمع الاسلامي.

الموعظة وحدها لايمکن أن تتفىء أمام السلبيات. بعض الناس يستشري في نفوسهم الفساد بمحیث لايفید فیهم الوعظ. هؤلاء یحب مقارعتهم بقوة السيف والسلح.

يقول النبي (ص) عن الجھاد وانکار المذکور مامعناته: من رأى باطلًا يعمل به، ومنکراً بدعى له، فانکاره بذلك فقد أجر، ومن انکره بلسانه فقد أجر، وهو أفضل من صاحبه، ومن انکره بالسيف تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الطالبين هي السفل، فهو أفضل الجھاد. اذن فغاية الجھاد أن تكون كلمة الله هي العليا.

ان أمن المجتمع واستقراره من أهم مرافق الحياة، فيجب تأیيذه مهما كلف ذلك. يقول الامام (ع) في الخطبة ١٧٣:

«ان أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه. فان شعب شاغب استعبد، فان أبي قوبل»،

ويقول (ع): اني أقاتل رجلين: رجلاً ادعى مالبس له، وآخر منع الذي عليه، فالذی لا يحترم الحقوق المفروضة یحب قتاله، لأن اطاعة ولی الأمر هي أول الواجبات. ان هؤلاء المترافقین لا یفهمون إلا بمنطق القوة، ولا بد أن یواجهوا بلغة القوة. يقول (ع): «من سل سيف النبي قتل به»، لأن منطق هذا الانسان هو القوة، ويجب أن يقتل بنفس المنطق.

ويقول (ع): «البغی لا يردع إلا بالبغی» فلا بد من منطق القوة لردع البغی، انه لا يردع بالموعظة.

ما سوچينا الى قانون دفع القوة بالقوة، والشر بالشر. والامام (ع) يقول: «ردوا الحجر من حيث جاء، فان الشر لا يدفعه إلا الشر».

٦ - کلمة الاستاذ السيد محمد باقر الحکیم، بعنوان:  
ما هو معيار الحرب من وجهة نظر الامام علي (ع)?

بدأ صدام يرفع عقيرته مطالباً بالسلام، وجع اجتماعاً اسلامياً حضره السلاطین

ودعا فيه إلى السلام. وهو ادعاء باطل. وقرر ارسال لجنة للصلح. وقبل تحرك اللجنة ضرب صواريخه على مدينة (پول دخت).

**ما هو معيار الحرب والسلام من وجهة نظر الامام علي (ع) :**

من ناحية الحرب المفروضة هناك نقطتان في سبب شن هذه الحرب:

١- الجمهورية الاسلامية التي تمثل السلطة الشرعية بقيادة الامام الخميني في ايران، وهي تمثل السلطة الاسلامية في العالم الاسلامي. لذلك فان الدول الكافرة اهتمت أن تزيل هذه الجمهورية بأية وسيلة. لأنهم يخافون ان يتشر الاسلام في كل دولة، فيصبح قوة كبيرة تستمد قوتها من الله تعالى.

وقد استخدمت قوى الشر والاستكبار العالمي، صداماً لشن العدوان على الجمهورية.

٢- ثورة الشعب العراقي المسلم، وتغيير هذه الثورة بقيادة المرحوم السيد محمد باقر الصدر. وقد تحرك مع الشهيد الصدر جاهير الشعب المسلم في العراق.

في مثل هذا اليوم ١٧ شعبان كانت ثورة الشعب العراقي إثر اعتقال السيد الصدر، الذي أودى بحياته.

ان قوى الشر تدرك أن مصير الثورتين في اتجاه واحد، هو خسران كبير لقوى الشر في المنطقة. لذلك شنوا هذه الحرب الجرمة.

نريد ان نستفيد من نصيحة البلاغة من خلال هذه الحرب.

يجب أن نتذكر أن ماجاء في النهاية شأن ماجاء في القرآن، هو قوانين ثابتة لل المسلمين. وفي مقدمة هذه المبادئ أنها كانت مترافقاً مع التجربة التي خاضها الإمام (ع).

هناك عدة نقاط:

١- لقد تجرب مفهوماً الحرب اللذان تكلم عنها الشيخ الآصفي، واجتمعا في حرب صدام. وان الإمام (ع) يذكر أن قتل شخص واحد من المسلمين كاف لقتال كل حزبه ومن سكت عنه.

يقول (ع) عن أصحاب الجمل: فوالله لو لم يصيروا من المسلمين لا رجلاً واحداً معتمدين لقتله، بل مجرم جرء، حلّ لي قتل ذلك الجيش كلّه، اذا حضروا فلم ينكروا، ولم يدفعوا عنه بالسان ولا بد. دع ما أنهما قد قتلا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم.

ووفق هذا المبدأ بدأت الجمهورية الإسلامية بحرب صدام، بعد أن قتل مقاتل من المسلمين حين بدأ الحرب.

## ٢ـ ما هي الأسباب الداعية لاستمرار الحرب؟

من أهمها استمرار السبب في استمرار القتال. ولقد رفض الإمام(ع) إيقاف الحرب مع معاوية في صفين، ورفض التحكيم، لأن الحرب يجب أن تستمر طالما أن السبب مازال موجوداً. ان كثرة عدد القتلى ليس مبرراً لإيقاف الحرب. إن الإمام(ع) يعتد على أصحابه حين طلبوا منه إيقاف القتال، وقال: لقد أصبحت أنا المأمور وأنتم الآمر.

يقول (ع) في الخطبة ٢٠٨: «أيها الناس، انه لم يزل أمري معكم على ما أحبب، حق نهيككم الحرب. وقد والله أخذت منكم وزرتك، وهي لعدوك أثثك».

لقد كنت أمنس أميراً، فأصحيحت اليوم مأموراً. وكنت أمنس ناهياً، فاصحيحت اليوم منياً. وقد أحبيم البقاء، وليس في أن أحلكم على ماتكرهون».

فهو(ع) لم تكن في يده قوة أن يحملهم على ما يكرهون. إن مسألة الاستمرار في الحرب ترتبط بمسألة احتجاق الحق ورد العداون، وليست مرتبطة بالعدد.

يقول(ع) من خطبة له في صفين، رقم ٥٦: «ولقد كامع رسول الله(ص) نقتل آباءنا وأبناءنا وأخواننا وأعمامنا، ما يزدنا ذلك إلا إيجاناً وسلبناً، وهضمها على الثقم، وصبراً على مضض الألم، وجداً في جهاد العدو، ولقد كان الرجل هنا والأخر من عدونا يتosalون تصاول الفعلين، يتخالسان أنفسهما، أيها يسي صاحبه كأس المنون، فرقة لنا من عدونا، ومرة لعدونا هنا. فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر، حق استغر الاسلام، ملظياً جرانه، ومتبنهاً أبوطانه. ولعمري لو كان نافياً هاتئيم، ماقام للدين عمود، ولا اخضر للايان عمود».

إن القوى المستكبرة تحاول إيقاف الحرب، ولكن ذلك ليس مبرراً لإيقاف الحرب.

## يقول الإمام(ع) في الخطبة ٤٥ في ذكر البيعة:

«فتقادوا على تدالك الإبل يوم ورودها، وقد أرسلها راهبها، وخلعت منانيها. حق ظلت أئمهم قاتل، أو يغضبهم قاتل بعض لدى. وقد فلتبت هذا الأمر بطنه وظبره، حق منعي النوم، فما وجدتني يسعني إلا قتالهم أو الجمود بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فكانت معاجلة القتال أهون علي من معاجلة العقاب، ومورات الدنيا أهون علي من موئذن الآخرة».

٧ - محاضرة للاستاذ الشيخ محمد تقى فلسفى، وهو شيخ طاعن في السن مليء بالعلم، وهي بعنوان:

(كلمة حق يراد بها باطل)

أسباب الفتنة: يقول الامام(ع) عن الفتن المقبلة، الخطبة ٥٠:  
 «إنما بدء وقوع الفتنة، أهواه تتبع، وأحكام تبتعد، بخلاف فيها كتاب الله، وينزل عليها رجال  
 رجالاً، على غير دين الله. فلو أن الساطل خلص من مزاج الحق لم تبتعد على المرتادين. ولو أن الحق  
 خلص من تبليس الباطل، انقطعت عنه ألسن المعاندين. ولكن يؤخذ من هذا ضفت، ومن هذا  
 ضفت، فيمزجان! فهناك تبليغ الشيطان على أولئك، وينجو الذين سقت لهم من الله الحق». هدفنا من هذه الكلمة أن ندرس كيف واجه علي(ع) تلك المشاكل.  
 هناك معنيان للحق:

١- الحق بمعنى العدل في مقابل الظلم الجابه للحق.

٢- الحق في مقابل الباطل.

لإحقاق الحق بالمعنى الأول لاق الامام(ع) صعوبات كثيرة، ولا سيما من أصحاب المكتبات الباطلة.

يقول الامام(ع) عن الحق:

«الحق أوضح الأشياء في التواصف، وأضيقها في التناصف». «

انظروا كم مؤسسة في العالم الآن تنادي بالحق والعدل، وتتظاهر باحقاق العدل، «العدل أوضح الأشياء في التواصف». ولكن ليس المهم هو الناداة بالحق، فهو لاءُ الذين نادوا بالحق نراهم يقتلون الناس في ايران وفي كابول وفي كل مكان. انهم لم يقفوا ضد صدام الذي يقتل الآلاف من السكان المؤمنين. «وأضيقها في التناصف».

لم يهتم الامام(ع) من مواجهة الفاسقين، في الجمل وفي غيرها، ان طلحة والزبير كما ورد في النهج كانوا يتوقفان من علي(ع) أن يشركها في أمور الدولة وفي استشارتها. من كلام للامام(ع) كلام به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة، وقد عذبا عليه من ترك مشورتها (الخطبة ٢٠٣):  
 «لقد نقمت بما يسرأ وأرجأتها كثيراً، الأخباري، أي شيء كان لك فيه حق دفعتكما عنه؟ أم أي قسم

استأثرت عليكما به؟ أم أي حق دفعه إلى أحد من المسلمين ضعفت عنه، أم جعلته، أم أغطرت  
بإيه؟»

انه يقول لها: ان من المسائل المسألة التي لاحتاج الى المشاورة في الامور  
الاسلامية الواضحة لي.

انه(ع) ما كان يريد عباربة هذين الرجلين، اللذين كانت لها سابقة في  
الاسلام، وكان متأثراً من وجود مثل تلك الظروف التي قادته الى الحرب. ولكن  
الميادن هو القانون.

يقول(ع) في الخطبة ١٠: «الاوان الشيطان قد جمع حزبه، واستجلب خيله وزملائه، وانه معى  
لصيقري، مالتست على نفسي، ولا تنس عليّ».

ان برزاعجي مستحکم، لم أخدع فيه نفسي.  
اني اعرف أن طلحة والزبير صحابيان، ولكنها لبعا عليّ، وحقوق المسلمين أهم  
منها.

هناك أناس كانوا ناقين من الأوضاع التي حدثت في عصر علي(ع).  
قال أحد اصحاب الامام(ع) وهو الحارث بن حوت لعلي(ع): (الحكمة ٢٦٢):  
أنراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلاله! فأجابه(ع): «يا حارث، انك نظرت  
لحيتك، ولم تنظر فوقك، فحررت! انك لم تعرف الحق فترى من آثاره، ولم تعرف بالباطل فترى من  
آثاره».

إنك لم تنظر الى فوقك، الى الرسالة الالهية، ولم تعرف الحق حتى تميز أهل الحق  
من أهل الباطل. وفي نفس المعنى قال(ع) للحارث الهمذاني: يا حارث، الحق لا يعرف  
بال الرجال.

كان معيار الحق عندنا في عهد الشاه هو الرجال، ولاتعرف الرجال بالحق.  
والصحيح أنك اذا عرفت الحق تعرف أهل الحق.

هذا هو النوع الأول من الحق وهو معنى العدل واحقائق الحق.  
اما النوع الثاني وهو الحق المقابل للباطل. فنراه جلياً في أعمال الخوارج التي  
كانت في ظاهرها مع الحق وفي حقيقتها ضد الحق. ولذلك لما رفع الخوارج شعار  
(لا حكم إلا الله) قال الامام(ع): كلمة حق يراد بها الباطل.

جاء أحدهم الى الامام(ع) بعد حرب النهروان وقال له ان بعض الخوارج  
يعشعرون قرب الكوفة ويرفعون شعار (لا حكم إلا الله، ولو كره المشركون). وكان الامام(ع)

قد دحر الخوارج في موقعة النهروان حتى لم يفلت منهم عشرة.

قال(ع) لابن عباس: اذهب الى الحرورية وانظر ما الخبر؟

جااء ابن عباس الى الكوفة فوجد جماعة من المترzin الذين لا يفهمون سوى العصبية والمعربنة. نظر اليهم متوجهاً منهم.

ولما عاد الى الامام(ع) قال له: مارأيت؟ قال: رأيت غوغاء.

سأله (ع): هل هؤلاء من المنافقين؟ قال: لا، لقد تصلبت جماهيرهم من اثر السجدة ومن كثرة العبادة.

فقال(ع) لابن عباس: اذا لم يرق هؤلاء دمأ ولا يقتلون أحداً فدعهم وشأنهم. تلك كانت سياسة علي(ع) بالنسبة للخوارج، وهي التي سار عليها إمام الامة بالنسبة للمبخرفين.

الخوارج هم مجموعة من المسلمين لهم أفكار خاصة، كان يدخلون الى مسجد علي(ع) ويطلقون شعارات، منها: لا حكم إلا الله، ولو كره المشركون، ويشيرون إلى علي(ع).

واستمر أحد الخوارج في رفع شعاره، فرفع علي رأسه فقال: أعد قولك. فقال: لا حكم إلا الله، ولو كره علي. فقال الامام(ع): قولوا مرادكم بصراحة.

قالوا: نحن أخطئنا حين واجهنا مسألة التحكيم، وبذلك فان معاوية وعلى قد أشركا. ونحن لابد لنا أن نتوب الى الله ونتضرع اليه كي يغفر ذنبينا. وبعد التوبة نتجه الى حرب معاوية.

قال(ع): لماذا لم تطلقوا هذه الشعارات عند التحكيم، وإنما الآن تطلقونها. قالوا: كما متبعين وبمحظتين، والآن التأمت بجراحتنا.

قال(ع): لا يمكنني أن انقض عهداً أبرمه مع معاوية. عندها قال(ع) عن الخوارج: كلمة حق يراد بها باطل.

يوضع الامام(ع) في هذه الجملة، ضلال الخوارج، فشعارهم فيه حق ولكن هدفه الباطل. ف الصحيح: انه لا حكم إلا الله، أي لا إمرة إلا الله، فلا بد من وجود الامام الحاكم. ولكن الخوارج أرادوا بهذه المقولة حكومة الله، ليقصوا حكمي.

الباطل في هذا الشعار، هو أنه لا فرق بين الحكم والحاكم. لا حكم إلا الله. إن قولهم: لا حكم إلا الله، هو حق، ولكن المراد به هو الباطل، وهو سلب حاكمية الله. ان هذه الكلمة (كلمة حق يراد بها باطل) يذر بذرها معاوية، حين رفع القرآن

على الرماح، وقال جيش علي(ع) : تعالوا لنجنكم القرآن بيننا .  
كذلك ان صدام اليوم يفعل كما فعل معاوية، يطلق كلمة الباطل بدعونه الى  
السلم. يريد إيقاف العرب ليقوى نفسه وليس هم السلم.

الحرب الدائرة اليوم مع جميع قوى الاستكبار العالمي عن طريق صدام، هي  
حرب بين الكفر والاسلام، حرب بين اتباع الله واتباع الشيطان، حرب بين الفضيلة  
والرذيلة، حرب الشرف والعزّة مقابل السفه والذلة.

ان الشعب الايراني يقف اليوم أمام طريقين:  
إما أن يصبر على الصائمة الاقتصادية و يقتله الشهداء، و يريد بعنه الأطفال  
والشيخ عيونهن تحت الأنفاس، ولكن وقف على قدميه.  
أو أن يقف موقف التواطؤ والاستسلام، وهو طريق موته العزة والعلوّة ودين  
الله.

في مهرجان امير المؤمنين هذا أقول هذه الجملة المرتبطة بحاضر ايران، وأريد من  
الايرانيين أن يفكروا بها بينهم وبين الله، وهي قول الامام(ع):  
«ليس العاقل من يعرف الخير من الشر، ولكن العاقل من يعرف غير الشرين»  
القطة والكلب يميزان بين الخير والشر، ولكن العاقل هو الذي اذا وقف أمام  
شرين لا بد منها، يستطيع أن يتّخّب أهون الشررين، بعد أن يعرّفهما و يميز بينها. ان  
العقل من يستطيع أن يتّعد عن أسوأ الشررين.  
أمامنا اليوم شران: شر أول هو الضيق في الحياة الاقتصادية وتقديم الشهداء  
ومقتل الأطفال والشيوخ، وهو شر قاس.

و شر ثان وهو ذهاب العزة والكرامة والدين، وموت مذهب أهل البيت(ع)،  
فلنخت أهون الشررين.

٨. نشيد لبعض الأسرى العراقيين: علي... علي... علي...  
...

### ٩. كلمة اختام لأحد اعضاء بنجاد نهج البلاغة

يوم الاثنين:

وزع بنجاد نهج البلاغة بعض المهدايا على المشركين من الخارج، منها: عصبة جلدية، ومحاسبة تذكارية نقش عليها بعض كلام الامام (ع)، وكتاب مصور بالأجنبية عن الشهادة وجرائم صدام، وكتب ثقافية أخرى، وما تزال وسائل الاعلام من جرائد واذاعة وتلفزيون تبرز أعمال هذا المؤتمر في كل يوم، وتنشر بعض موضوعاته.

زيارة قم المقدسة:

من جملة أهداف المؤتمر زيارة المراكز العلمية والدينية، لذلك قررنا اليوم زيارة مدينة قم المقدسة ثاني المراكز العلمية عند الشيعة بعد النجف الاشرف. وقد اخذت هذه المدينة قيمتها بعد ما دافنت فيها فاطمة بنت الامام موسى الكاظم، والتي لقيت بالمحصومة لشدة تدينها وفضلها وكرامتها. وهي أخت الامام علي الرضا(ع) المدفون في مدينة مشهد شمال شرق ايران.

اتجهنا الساعة العاشرة صباح مدينة قم التي تقع جنوب طهران على بعد ١٦٠ كم. وقد رأينا انتباхи الطريق الجديد الى قم وهو «اوتوبان» واسع وفي منتصفه حاجز حديدي.

وعندما وصلنا قم طالعنا ماذن حرم المقصومة، وهي عديدة وذات ارتفاع شاهق، اكثُر من خمسين متراً. والحرم يتَّألف من الضريح المقدس وبجانبه المسجد الكبير جداً الساحات المترفة عن الضريح.

اول عمل قمنا به هو زيارة المقصومة عليها السلام، ومشهدها مرصع بالمرايا، والناس حولها كيوم الحشر من شدة الاقبال والتقديس. ثم صلينا في المسجد خلف

آية الله السيد النجفي المرعشي، وهو طاعن في السن. تم زرنا قبور بعض الشهداء ضمن المسجد، ومنهم آية الله الشهيد مرتضى المطهرى، وحجة الاسلام الشهيد محمد المنتظري، وأية الله السيد محمد حسين الطباطبائى صاحب الميزان.

ويستغرب الانسان من هذه المدينة التي ليس فيها غير المدارس والمكاتب والعلماء، فهي التي تخرج كل علماء ايران وغيرها من الدول الاسلامية. ومن الجدير بالذكر أن المدينة تحافظ على الآداب والتعاليم الاسلامية، فالنساء متقيمات كلية بالحجاب.

ثم ذهبنا لزيارة أشهر مدارس قم، وهي المدرسة الفيضية، التي تخرج منها الامام الخميني وطلابه الأجلاء. وحضرنا هناك مهرجاناً بمناسبة استشهاد الشهيد مطهرى. ومن جملة فقرات المهرجان برنامج قام به ثلاثة من الطلاب الذين حفظوا القرآن، وقد اختار أستاذهم سورة البقرة، وكان يذكر للواحد منهم رقم الآية فيتلوها الطالب حالاً، وكان الاستاذ يبدل رقم الآية بالزيادة والنقصان، وإذا أشار على طالب معين تلا ذلك الطالب الآية بسرعة.

ثم زرنا مقبرة الشهداء (باغ بهشت) في قم، وهي بجوار مدفن أحد أولاد الامام موسى بن جعفر(ع) وهي صغيرة نسبياً، وكانت صور الشهداء معلقة على مناصب حديدية عالية.

ثم رجعنا الى طهران بسلامة الله، والحمد لله رب العالمين.



# نهج البلاغة بعد ألف عام ...

محمد علي إبر

جبلة، سوريا



## تمهيد

انتهى الشريف الرضي من جمع نهج البلاغة سنة أربعينية للهجرة، وبدأ الشك في صحة نسبته للامام علي عام (٦٠٨هـ). ومن المرجح أن ابن خلكان صاحب كتاب «وفيات الاعيان» أول أديب شك في نهج البلاغة وزعم أن مؤلفه هو الشريف الرضي، ثم قلده من جاء بعده من كتاب التراجم كصلاح الدين الصنفي وغيره... أما أدباءُنا العصريون فقد تفرقوا شيئاً امام هذا الشك : ف منهم من نهض بادفع عن نهج البلاغة ويشتبث أن كل ماجاء فيه للامام... ومنهم من أخذ يدحض بعض المزاعم، ويشتبث البعض الآخر، ومنهم من طلع علينا بأسباب شك جديدة، ومنهم من يذهب إلى إقرار الشك واستبعاد صحة جميع ماجاء في النهج لعلي، ومن هؤلاء الأستاذ أحد حسن الزيات في كتابه «تاريخ الأدب العربي»<sup>١</sup>

يقول الزيات تحت عنوان «نموذج من كلامه»: «كلام أمير المؤمنين يدور على أقطاب ثلاثة: الخطب والأوامر؛ والكتب والرسائل؛ والحكم والمواعظ، وقد جمعها على هذا النسق الشريف الرضي في كتاب سماه نهج البلاغة لأنه كما قال بحق: «يفتح للناظر فيه أبوابها، ويقرب عليه طلابها، فيه حاجة المتعلّم والعالم، وبهية البليغ والزاهد، وبفضي في أثنائه من الكلام في التوحيد والمدل ما هو بلال كل غلة، وجلاء

كل شبهة، وال الصحيح أن أكثر ما في هذا الكتاب منحول مدخول». هذا حكمه المطلق على كتاب نهج البلاغة أرسله كامر مسلم به، ولكنه لم يدعمه بحججة قاطعة تتفق ومنهاج البحث العلمي الحديث.

وقد سلطك الزيارات في حكمه هذا منهاج ابن خلkan... فكان بذلك مقلداً من تقدمه تقليداً رائعاً... ييد أن ابن خلkan وغيره بسطوا أسباب شركهم في نهج البلاغة، فعبرروا بذلك عن وعي غيرناضج في فهم الإمام وعصره... أما صاحبنا الزيارات المفروض فيه أن يدحض بقلمه السياق، وبصائرته الناقلة هذا الشك الخاطئ فلم يزد على أن تَخَذَّ من ابن خلkan إماماً بلا دليل مبرر، ولا سبيل قانع... أهكذا تكون دراسة الآثار الأدبية المشكوك في صحتها؟

وإنك لتعار متسائلاً: لم هذه الشكوك التي لا ترتکز على أساس ثابت من العلم، ولا الأدب، ولا العقل، بل هي مجرد «ظنون» لا تمت إلى وجه من الحقيقة بسبب؟ يقولون إن أكثر نهج البلاغة من صنع جامعه الشريف الرضي، ويرجعون ذلك إلى عدة أسباب نجملها في أربعة: ١) صناعة السجع والتنميق اللغطي، وأنوار الصنعة، مما لم يعهد به عصر على، ولا عرف إلا في العصر العباسي. ٢) التعریض بالصحابة: كمعاوية، وعمر بن العاص، وطلحة والزبير وأشياعهم، وهذا لا يصدر عن رجل فاضل كثلي. ٣) دقة الوصف والأفكار السامية، والسياسة المدنية، واستعمال الألفاظ الاصطلاحية، كالأین والكيف، والطريقة العددية في شرح مسائل وتقسيمات الفضائل والرزائل كقوله: الاستفخار على سبعة معان... والإيمان على أربع دعائم: على الصبر، والبيتين والعدل والجهاد، والصبر منها على اربع شعب<sup>١</sup>... وكل ذلك لم يعرف إلا بعد تعریض كتب الفرس واليونان<sup>٤</sup>) ادعاء علم الفیب، وهذا أمر يجل عن مثله مقام على.

وهانحن نناقش هذه الأسباب الاربعة؛ ونظهر بالبينة الثاقبة فسادها وبطلانها.

### السبب الاول

لقد درسنا خطب الإمام واحدة واحدة، فلما نجد فيها ظللاً للصنعة، ولا أثر للسجع، ولا وجهاً للتنميق اللغطي. ولو أنها تطوي على شيء من هذا لما خلت من

(١) راجع باب الحكم من نهج البلاغة

جفاف وتتكلف... شأن كتابات الصنعة والسبع، ولا أبعضنا كل جلة من جملها تنبض بالحيوية والمرح والخلود. وما شاهدنا كل كلمة من كلماتها مليئة داعي الحاجة إليها فهي غير مضطربة ولا تابية كأنما خلقت لتحمل هذا المثل. وما وجدت التفوس في قرامتها هذه اللذة الروحية العميقية المتباعدة من حنانياً بذلك الأسلوب القوي العالي الجاري عفو الخاطر جريان الماء الزلال الذي ينفعك بأرجه المؤمن أحياناً، ويفتح لك بحراته السياسية... حيناً فإذا بك فقد ذاتك ، وتعيش في فردوس القطة التي تقرأها عيشة ناعمة راضية.

ولعل استواء الجملتين والثلاث في التفعية، وحلوة الجرس الموسيقى، هو الذي ذر ذلك الشك في قلوب النقاد فأخذوا يزعمون أن عصر علي لم يهد ذلك.. وقد غاب عنهم أن عصر علي هو العصر الذي حل فيه العربي فوق ثريا البلاغة، وأن القرآن الكريم نزل في عهده علي، وأن علينا أول كوكب بشري آنس النبي نفسه، وضمخ عواطفه بقوله تعالى: «أَنْرِا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلْقٍ».

و قبل نزول القرآن الكريم كان «النثر في الجاهلية موسيقى كالشعر، تخلله أحياناً جمل موزونة مسجمة يأتي بها البدوي دون تكلف»<sup>(١)</sup> «وقد نقل لنا الرواة بعضاً من خطبهم وهي عادة قطع وجيزة من الوعظ ترسل سجعاً أو ما يقاربه»<sup>(٢)</sup> نقدم مثلاً على ذلك شيئاً من خطبة قيس بن ساعدة التي أدركه النبي يلقاها في سوق عكاظ وهو راكب على جمل أحمر: «أيها الناس! اسمعوا وعوا. وإذا سمعتم شيئاً فانتفعوا. انه من عاش مات. ومن مات فات. وكل ما هو آت. ليل داج. وسباء ذات أبراج، وارض ذات فجاج. ومحار ذات أمواج»<sup>(٣)</sup> الخ... وقال ليدي يصف بقلة تدعى التربة: «هذه التربة لا تذكري ناراً. ولا تؤهل داراً. ولا تسر جاراً. عودها ضئيل. وخيبرها قليل. وفرعها كليل. أقبح البقول مرعى. وأقصرها فرعاً. وأشدتها قلعاً».

وروى ابن مسعود عن رسول الله أنه قال: استحبوا من الله حق الحياة. قلنا: أنا لنستحبني يارسول الله؟ قال: ليس ذلك ولكن الاستحساء من الله: أن تحفظ الرأس وما على والبطن وما تحتي. وتذكر الموت والليل. ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة

(١) بطرس البستاني في كتابه الأدب الجاهلي.

(٢) اللغة العربية وأدبها لاتيس المقدس.

(٣) البيان والبيان - الجزء الأول - للمجاخط.

الدنيا».<sup>١</sup>

فهل في هذا سجع، وصنعة وتنميق؟؟؟

وهل الذي جاء في القرآن كقوله «والجم إذا هو. ما هي صاحبكم وما هو. وما ينطق عن الهوى. إن هؤلاً وحي يوحى. علمه شديد القوى، ذمرة فاسدة. وهو بالافق الأعلى»<sup>٢</sup> سجع، وصنعة، وتنميق لفظي؟؟؟

إننا ترك الجواب لحضرات الأساتذة النقاد.

### السبب الثاني

عندما نروم التكلم عن السبب الثاني يعترينا عسر مرهق، ذلك لأن لفظة «الصحابة» تحيط الذين تطلق عليهم بهالة من القدسية في عرف العادات والتقاليد الإسلامية المسيطرة... والحق أنني أريد أن يكون هذا البحث بتجوّه من سلطان هذه التقاليد، وتلك العادات الموروثة... أريده بخاتمة زرها حرا يعتمد على أوثق كتب التاريخ الإسلامي الجيد، ثم لأبالي بعد ذلك ، رضي عبيد التقاليد العيماء أو غضبوا... وإنذن، فمن هم الصحابة؟؟؟ الصحابة: أصحاب النبي الذين رأوه وطالّت صحبتهم معه، مفرد صحابي، وبناء على هذا التفسير فإن معاوية، وعمرو بن العاص، وطلحة، والزبيرين الذين تعرض لهم الإمام في خطبه من صحابة الرسول.

وهنا يعترينا سؤال بارز له قيمة الرفيعة سواء كان ذلك من الوجهة التاريخية، أو من الوجهة الإسلامية الدينية وهو هل القول أنهم من صحابة الرسول كاف لتقديسهم أبداً، وتحريم نقدتهم، وتفنيد أعمالهم، ولو أخطأوا، وحددوا في خطفهم عن مناج التشريع الإسلامي الآخر؟... لا أحسب أن أي مسلم، منها أخطئ في دركات الجهل والغباء، أو علا في درجات الفضل والمعارف، يستطيع أن يقول: نعم، لأنّه يكون بذلك عدواً للأقدس آيات الوحي ، وجواهر تعاليم الرسالة النبوية. لاريب في أن صحبة الرسول شرف أثيل، ومجيد باذخ، فهي تهذب النفس المؤمنة، وتع�新ها في معين المدى الإلهي حتى تصبح جوهرة نورانية، لها صفاء النجوم والألوّها، وهي تضيّن القلب بمشعل الإيمان الحلي ، وتحجه بالعواطف والميول والرغبات والمشاعر شطر القانون

(١) المشل السائري في ادب الكاتب والشاعر صفحه ٧٤ طبع مصر، وصاحب هذا الكتاب يقول: إن القرآن الكريم سجع، شامل... .

(٢) سورة النجم . راجع أيضاً سورة الرحمن وغيرها... .

الإلهي الأعظم اجهاهَا كلياً... كل هذا تفعله صحبة الرسول إذا صادفت استعداداً واعياً كافياً في نفس الصحابي.

ولكن ماذا نقول إذا كان ذلك الصحابي - بعد وفاة الرسول - أصلس لنفسه العنان، فتقحمت به في مسارب الشهوات الدنيوية.. فعمل على تعزيز الوحيدة الإسلامية، وأزهق مئات الآلوف من النفوس المؤمنة البرية، طمعاً بمنصب ملك جائع، ولم تردعه من الذكر الحكيم عزة زاجرة؟؟؟

ألا نقول إن صحبة الرسول لم تصادف عند هذا الصحابي استعداداً وافياً؟؟؟ أم نقول كما يقول الأكثرون من مقلدي المؤرخين - كان من صحابة الرسول - ومعنى ذلك أن نصبه في فردوس من التمجيد، والتقديس، لا يسموا إليها، نقد، ولو خرج عن حكم القرآن، وعيث بسنة الرسول، وخالفرأي جماعة المسلمين. إن المؤرخ ذا البصيرة الحية الناقدة، وإن الحق الصراح، وإن العقل المتحرر الممحض لا يقترون شيئاً من هذا. وبعد: فقد آن أن نسأل التاريخ عن حياة هؤلاء الصحابة الذين تعرض لهم الإمام بعد وفاة الرسول: هل كانت حياة وهي ورسالة؟؟ أم كانت حياة دنيا طماعية، وأنانية متوصبة، وسياسة ماكرة غدارة، متجردة، شهوانية؟؟؟ إن جواب التاريخ نور باهر يكشف عن كل دقيقة من سيرة حياتهم، لا يكاد يغادر صفيحة منها ولا كبيرة إلا أحصاها.

التاريخ يحيينا: إن طلحة والزبير بايعاً علياً، ثم أتباه بعد فراغ البيعة فقالا: هل تدري على ما يعناك يا أمير المؤمنين؟؟؟

قال علي: نعم، على السمع والطاعة، وعلى ما يأim على أبا يكرو وعمر وعثمان، فقالا: بايـعنـاك على أنا شـريـكـاكـ في الـامـرـ. قـالـ عـلـيـ: لاـ، ولـكـنـكـا شـريـكـانـ في القـولـ وـالـاستـقـامـةـ وـالـإـعـانـةـ عـلـىـ العـجـزـ وـالـأـوـدـ. فـلـمـاـ اـسـتـبـانـ لـهـاـ أـنـ عـلـيـاـ غـيرـ مـوـلـيـهـاـ

(١) جاء في صحيح مسلم .الجزء الثامن، صفتة (٥٧) مطبوعات مكتبة عمدهل صبيح وأولاده، ميدان الازهر الشريف من ابن عباس أن رسول الله قال: «إلا وان أول الخلقان يكس يوم القيمة ابراهيم، ألا، وانه سبعة برجال من أمني فتوتهم ذات الشمال، فماقول: يارب. أسماني. ليقال: إنك لا تدري ما أحصدنا بعدك ، فأقول لك يا قال العبد الصالح: و كنت عليهم شهيداً مادمت فقي، فلما عرفتني كنت أنت الرزق لهم وانت على كل شيء شهيد. إن تعذب فانهم عبادك و ان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم»

قال: فيقال لي: إيه لم يزالوا مرتدین منذ فارقهم؟؟ وفي حيث وكيع وسعا، فيقال: إنك لا تدري ما أحصدنا بعدك « وروى ذلك صحيح البخاري في الجزء الرابع صفتة (١٩٩) باب قوله تعالى: والحمد لله ابراهيم عثيلاء... لو في الصفحة (٢٠٤) في أواخر باب: واذذكر في الكتاب مريم»

شيئاً نكنا البيعة<sup>١</sup> وخرجا يغزون الناس، حتى ساقوهم إلى مجراة وقعة الجمل التي سفك فيها دماء عشرة آلاف مسلم...  
وأما عمرو بن العاص فإن معاوية بعث إليه بكتاب يطلب فيه نصرته، فاستشار هذا ابنيه عبد الله وعمداً. فأشار عليه عبد الله بالإقامة في منزله، أما عمداً فقال له: الحق بجماعته أهل الشام. فقال عمرو: أما أنت يا عبد الله فامرتنى بما هو خير لي في ديني. وأما أنت يا عمداً فقد أمرتني بما هو خير لي في ديني. ثم التحق معاوية مختاراً، وطلب منه لقاء مناصرته ولالية مصر قوعده بها... وفي خدنته لأبي موسى في أمر التحكيم، وحياته عن نسب العدل الآنون، كان سبباً لخلق فرق جديدة في الإسلام لها مذهبها وأراواها وهي : الغوارج الذين كانوا أذى في عين الدولة الإسلامية، وعاملوا جباراً في إضعافها في كثير من الأحيان... .

أرأيت كيف خرج طلحة والزبير على إمام المسلمين بعد مبابيعه، وبابيعه عامة المهاجرين والأنصار وساقوا إلى الموت عشرة آلاف مسلم لأن علياً أبى أن يقطع كل واحد منها ولاية يسيط عليها سلطانه، ويتشيع أطماعه ٩٩٩  
وهل رأيت كيف اختار عمرو بن العاص الدنيا على الآخرة، وكيف فرق كلمة المسلمين طرائق قدوا، وكان سبباً في إزهاق الآلوف من النفوس المسلمة، المؤمنة، لأن معاوية وعده أن يجعله والياً على مصر؟ ٩٩٣

وأما معاوية فحسبك أن تعلم أنه مركز الدائرة في كل هذه الأعمال. فهو الذي أرسل إلى طلحة والزبير يغضبهما على مناهضة علي ويعدهما بباباً لهم بالخلافة... وهو الذي كتب إلى عمرو بن العاص، وجعل له مصر طعمة لقاء مساندته إليه، وهو الذي مزق وحدة الإسلام بحربه الدامدةخلفية المسلمين الشعبي على، وفرض البيعة لابنه يزيد، صنم الخلاعة وحبيب الخمرة... وهو الذي ضخى على مذبح شهواته ومسيوله بعشرات الآلوف من المسلمين في معركة صفين وحدها، مدرعاً ثوب المظاهرة بالطالبة بدم الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وهو عارف أن علياً أبراً الناس من دم عثمان، ولما استتب له أمر الملك لم يطلب أحداً من قتلة عثمان<sup>٢</sup> بل تركهم أحراراً يحررون بين سمعه وبصره. وإذا فعاوية لم يكن هد غير الاستيلاء على صوبجان الملك -

(١) راجع الامامة والسياسة لابن قتيبة صفحة ٤٢٦ إلى صفحة ٧٧

(٢) راجع حديث عائشة بنت عثمان مع معاوية في الامامة والسياسة حينما قدم الخليفة بعد مصادر خليفة. راجع ما القداء وأبي كتاب ثالث من كتب التاريخ الإسلامي.

يريده ولو كان في حصوله عليه خفوت نفس الاسلام - يريد له ولأبنائه من بعده، وبيان عنده اطمأن الوجه الاسلامي أو غصب، تألف المسلمين أو نفرقوا، اقتلوا أو اصلحوا.

هؤلاء هم الصحابة الذين تعرض لهم الإمام، هؤلاء هم الصحابة الذين امتلأت أذهانهم بتلك الآيات الخالدات اللواتي توج النبي بها مفرق علي بعد رجوعه من حجة الوداع في «غدير خم» ألا وهي : «من كنت مولاه فعليه مولاها، اللهم والي من والاه، وعادي من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض منبغضه، وانصر من نصره، واحذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار»<sup>١</sup>

وما كان رسول الله ينطق إلا عن ربه «وابينطق عن المولى. إن هو إلا وحي يوحى» نعم لقد سمعها أولئك الصحابة من قم رسول الله ووعوها... ولذلك تأسلي: كيف جردوا السيف في وجه علي وحاربوه بعد ذلك ؟ وأجيبك: إن حللاوة الدنيا وبما يهاجها سيطرت على كل نبضة في أجسامهم وكل خطرة في نفوسهم، فالتهم عن الصراط السوي ميلاً عظيماً، فما على الامام والخالة هكذا إذا تعرض لهم في خطبه، لاسيما والنبي يقول:

«صاعداً المسلمين أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة. حرب لمن حاربهم. ولمن لا يفهم إلا سعيد الجد طيب المولد. ولا يفهم إلا شقي الجد، ردفي الولاده»<sup>٢</sup>؛  
وروت السيدة أم سلمة عن رسول الله أنه قال «علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا على الحوض».

إننا نرى أن النبي قد تعرض لهم... قبل أن يتعرض لهم علي، وفي هذا كفاية.

### السبب الثالث

وإنه لن يصحح حقاً أن يزعم حضرات النقاد أنه لم يكن للعرب في جاهليتهم، نصيب من دقة الوصف والتخييل. في حين أن دقة الوصف والتخييل صفة ملازمة للعربي، ولنظرة خاطفة في الشعر الجاهلي ونشره توقفنا على حقيقة ذلك . اسمع بعض

(١) روى هذا الحديث ثلاثون صحابياً. رابع أحد، وأبي ماجة، وأبي عاصم، والطبراني، والحاكم والترمذى، والنسائى وغيرهم.

(٢) روى هذا الحديث ابو يركى الصدقى، وهذا الحديث معروف بمحدث الحسنة . وكان في الحسنة على ولدنا رفاطة . ويجب أن يعلم أن جميع الاحاديث التي نقدمها مصنف على صحتها من رجالات السنة والشيعة.

### بني الحارث من شعراء الجاهلية يصف الشمس<sup>١</sup>:

أننا ملوك الكون بالشمس آية  
مخيبة أما إذا الليل جتها  
إذا انشق عنها ساطع الفجر وأعلى  
والبس عرض الأفق ثواباً كأنه  
تملت وفيها حين ببدو شعاعها  
عليها كدرع الزعفران يشبهه  
فلا علىت وابيض منها اصفرارها  
وجاللت الالاق هبوا وأمسرت  
ترى الطل يضوئ حين تبدو رورقه  
كمبادأت إذ أشرقت في مغيبها  
وندف حق ما يكاد شعاعها  
وأفنت قرونها، وهي في ذاك لم تزل  
نبوء بأنعام الله وغيّر  
فتشغل، وأما بالنهار فتظهر  
دجى الليل، والمحاب الحجاب المتر  
على الأفق الغربي ثوب معصر  
ولم يعل للعين البصيرة منظر  
شمام تلالاً. فهو دُرّ منور  
وجالت كما جال النسيج الشهير  
بحزها، منه الهوى ينسُر  
تسراه إذا زالت عن الأرض يبشر  
تعود كما عاد الكبير المعمّر  
يسين إذا ولت لمن ينبعُر  
تموت وخبا كل يوم وتنشر

الأ ترى دقة الوصف والتخيّل في هذه القصيدة الجاهليّة؟ وأحييك إلى قراءة  
شعر المخلفات حيث تبصر وصف المطر، والبرق، والقرس، والحرب...، وبوسعك  
أن تراجع وصف لبيد الذي مرليقلة التربة... واقرأ الأوصاف الرائعة في القرآن  
ال الكريم. اصحح إليه تعالى يصف لنا حال أصحاب اليدين في مسارح الفردوس الأعلى:  
«وأصحاب اليدين. ما أصحاب اليدين. في سدر مخضود. وطليم منضود. وظلل مبدود. وماء مسكوب.  
وفاكهة كبيرة. لامقطوعة ولا متنوعة. وفرض مرفوعة...» الخ.

وتبصر حسنا في وصفه تعالى خلق الإنسان وتطوره من حال إلى حال: «ولقد  
خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا  
العلفة مهنة، فخلقنا المهنة عظاماً، فكروا العظام لحاماً أنثاناً خلقاً آخر، فبارك الله أحسن  
الخالقين»<sup>٢</sup>

وبعد هذا فائي غرابة في أن يصف علي الحقائب والطاووس، علي الذي رضع  
ألبان العلم والأدب والفصاحة على يدي رسول رب العالمين محمد بما يربز به على من  
تقدمه، ومن يحيي بعده؟

(١) انظر علم الأدب للأدب شبحوا الجزء الأول.

(٢) سورة المؤمنون.

### عهده للأشر

وأما عهده للأشر الشخمي عامله على مصرفما لا يختص فيه الثناء، لأن أنفاسه الزكية تتردد وئيدة في مطابوه فتجمل منه روحًا ورعنانًا... وإنما لتعجب كيف يتسرّب الشك إلى قلم الزيارات في هذا المهد لأنّه يتضمّن على جلة صالحه من السياسة المدنية، ولا يشك في عهد الخليفة الثاني عمر إلى أبي موسى الأشعري الذي قال عنه: «وقد اعتبره جهور الفهاد أساساً للنظام، وقاعدة للأحكام، وما أجره بذلك»<sup>١</sup> لأن نشأة علي في ظلال أفنان الوحي والرسالة جديرة بأن تعدد المؤهلات لا تنتهي لغيره من رجالات الإسلام أجمعين.

واسع!! فهذا معاوية خصم على السياسي يقع على الكتاب الذي أرسله إلى محمد بن أبي بكر حيناً ولا مصر، فياخذ في دراسته وكلما أعاد قراءته أبدى العجب. فيقول له الوليد بن عقبة لما رأى إعجابه: «مربيه الأحاديث فلتتحقق» فيقول معاوية: «مه لرأي لك» فيجيبه الوليد: «أفن الرأي أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها؟؟؟».

فيقول له: «ويمك أتأمرني أن أحرق علمًا مثل هذا؟؟ والله ما سمعت بعلم هو أجمع منه ولا حكم»<sup>٢</sup>.

(١) والذي أثار إعجاب الأستاذ سrin أحد الزيارات في عهد الفاروق عمر بن الخطاب هو: «البيعة على من أدعى وأليس على من أنتك»

إن هذا القول الحكم لرسول الله، وليس للخلفية الثاني، يروي الإمام البخاري في الجزء الثالث من صحيحه، صفة (١٨٧) بباب في الرهن في الحضر: «حدثنا خلادين يعني، حدثنا نافع ابن عمر، من ابن أبي مليكة قال: كتبت إلى ابن عباس، فكتب إلي: إن النبي نهى: إن أباين على المدعى عليه».

وجاء في الصفحة (٢٠) من شرح العقائد السنية، طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي في دمشق (١٩٧٤) أن رسول الله قال: البيعة على المدعى، وأليس على من أنتك». نقلًا عن: الترمذ: «أحكام» (١٢)، وأبا محبة أسكاك، وأخرجه الدارقطني باصابة: إلا في القسمة على آخرين، ورواه البيهقي في السنن من ابن عباس، وأبا حمزة السكري من ابن عمر، وأنخرج مسلم شيئاً له من ابن عباس في (كتاب الأخضة). باب: «البيعة على المدعى عليه» (١).

أقوال: يروي الإمام النووي في شرح أربهته، نشر وتوزيع مكتبة دار الفتح بم دمشق، صفة (١٣) عن ابن مباس أن رسول الله قال: «لو يعطي الناس بدعاهم، لا أدعى وبجات أموال قوم ودعاهم، لكن: البيعة على المدعى، وأليس على من أنتك»

إذنه، فكيف وقع الكاتب الكبير زيارات في هذه المقطة، ونسب الحديث للخلفية الثاني؟؟

(٢) راجع الصفحة (٢٨) من الجلد الثاني من شرح نبع البلاغة لأبن الحسين المعزلي (طبع مصر)

لاميرن عليك سهواً قول معاوية: «والله ما سمعت بعلم هو اجمع منه ولا حكم»  
وقل معى: لبت نقادنا الأدباء من الانصاف في الاعتراف بأدب علي وعلمه مثل ما  
لمعاوية في هذا الموقف.

### الأين والكيف

أما استعماله الأين والكيف في تمجيد الحضرة الإلهية، وتزييهما عن الاهاطة  
والمحصر والوصف، فراجع إلى أن توحيده -عزو جل- يبقى ناقصاً إذا لم ينزله عن الأين  
والكيف

يقول الإمام من خطبة: «من حده فقد عده... ومن عده فقد أبطل أزله. ومن قال أين؟  
فقد حيزه... ومن قال: كيف؟ فقد استوصله...»

ويقول في خطبة أخرى: «... ولا ينظر بعين، ولا يحد بأين...»<sup>١</sup>  
وأنه لم يذهبنا غاية الدهشة أن يقولوا: إن استعمال الأين والكيف في تنزيه  
الحضرات الإلهية لم يعرف إلا بعد تعریب كتب الفرس واليونان. وهذا الحموي يق  
العلامة الشهير يروي في كتابه «فرائد السطرين» بالاستناد إلى عباده عن ابن عباس<sup>٢</sup>  
قال: «قدم يهودي على رسول الله (ص) يقال له «نمثل» فقال له: يا محمد اني أصالك  
عن أشياء تجلجع في صدري منذ حين، فإن أجبتني عنها أسلمت على يدك. قال: سل  
يا بايعماره!!

قال: يا محمد صرف ربك ! فقال (ص): «إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه،  
وكيف يوصف الخالق الذي تعجز الأوصاف أن تدركه. والأوهام أن تناوله، والخطوات أن تغدوه،  
والأبصار لا تستطيعه به، جل عما يصفه الواصفون. ناء في قربه، وقرب في نأيه، كثيت الكيف،  
فلا يقال له: كيف؟... وأين الأين. فلا يقال له: أين هو، منقطع الكيفية فيه والأينية...» الخ.  
فتأمل جيداً ثروة حضرات النقاد الأدبية، وتضلهم من سيرة النبي الإسلام  
وكتني ...

(١) إذا شئت أن تقتف مل المعرفة السنية بالأسلوب راجع معيز في تنزيه الحضرة القدس فذا اكتب على أمير المؤمنين

(٢) راجع الصفحة (٣٩) من كتاب غابة المرام

### استعمال الطريقة العددية

يتشدد بعضهم كالاستاذ فؤاد البستاني<sup>١</sup> في القول: إن استعمال الطريقة العددية لم يعرف في الأدب الجاهلي، ولا يكاد يعرف في الأدب الإسلامي، حتى عرب ابن المقفع كتاب «كلية ودمنة»<sup>٢</sup> ويتخذ من ذلك ذريعة إلى القول: إن مثل هذا من صنف الشريف الرضي.

إنه لغريب حقاً أن يصدر مثل هذا القول عن أديب مشهود له بسعة الاطلاع، ووفرة المعرفة كالبستاني... لأن بنور هذه الطريقة معروفة في الأدب العربي قبل الإسلام. اسمع ما يقول زهير:

فَبَانَ الْحَقَّ مُفْطِمَهُ نَلَاتٌ      بَينَ، أَوْجَلَاءَ، أَوْسَفَارٌ

وقد استخدم القرآن الكريم هذه الطريقة. قال تعالى: «الْمَائِيَّةُ أَزْوَاجٍ: مِنَ الصَّادِنِينَ  
وَمِنَ الْمَعْزَاتِينَ، قُلْ أَلَاذِكْرُنِ حَرَمٌ أُمُّ الْأَتْبَيْنِ...»<sup>٣</sup>

وقال النبي: «بَنِي الْإِسْلَامِ عَلَىٰ خَيْرٍ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ، وَاقْتَلُوا  
الصَّلَاةَ، وَإِنْتَهُوا الزَّكَاةَ، وَالْحُجُّ، وَصُومُ رَمَضَانَ».

وقال (ص): «إِغْتَمْتُ حَسَأَ قَبْلِ حَسِّ: حِيَاتِكَ قَبْلِ مَوْتِكَ. وَصَحْنَتِكَ قَبْلِ سَقْمِكَ. وَفَرَاغَكَ  
قَبْلِ شَفَلِكَ. وَشَبَابَكَ قَبْلِ هَرْمِكَ. وَغَنَّالَكَ قَبْلِ فَقْرِكَ».<sup>٤</sup>

وقال (ص): «أَرْبَعُ مِنْ اعْطِينِنَ فَقْدَ أَعْطَيْنِ الدِّينِيَا وَالْآخِرَةِ: لِسَانُ ذَاكِرٍ، وَقَلْبُ شَاكِرٍ، وَبَدْنٌ  
عَلَى الْبَلَاءِ صَابِرٌ، وَزَوْجَهُ لَاتِيَّهُ خَرَّأَ فِي نَفْسِهِ وَلَا مَالَهُ».

وقال الأحسن: «الْمُؤْمِنُ بَيْنَ أَرْبَعِ: مُؤْمِنٌ بِحُسْدِهِ، وَمُنَافِقٌ بِيَغْهَدِهِ، وَكَافِرٌ بِيَهَادِهِ، وَشَيْطَانٌ  
بِيَفْتَنِهِ، وَأَرْبَعُ لَسُونَ أَقْلَى مِنْهُنَّ. الْبَقِينُ، وَالْمَعْدُلُ، وَدَرْهَمُ حَلَالٍ، وَأَخْ فِي اللَّهِ؟»

نحسب أن هذا كاف ليثبت لحضرات النقاد ان الطريقة العددية كانت معروفة في زمن الإمام علي وقبيله. بيدانه سلك في استعمالها نهجاً عليه مسحة من التوسيع

(١) الروائع للبستاني - علي بن أبي طالب.

(٢) يجزئ كثير من الأدباء أن كتاب «كلية ودمنة» من تأليف ابن المقفع، وإنما أدعى نعريبه لبروج... .

(٣) مسرة الانعام.

(٤) وله المقدمة الجزء الثاني - بات مواطن الآباء - راجع إذا شئت منزيداً كتاب الحاخام الصبر في آثار النبي

(٥) البيان والتبيين - للباحث - الجزء الثاني صفحة ١٥٨

والستفن، وذلك منتظراً من ربيب رسول الله، ووارث علومه الذي يؤمن كل أديب أنه أول مفكري الإسلام، وأن كلامه فوق كلام المخلوق، ودون كلام الخالق، وأن الحكمة التي جاءنا بها حكمة سامية خالدة على الدهر، وأن كتبه تعمت بقوة منطقية سديدة، ومقدرة على القياس باللغة، وأنه مجدد في كل ذلك بالنسبة إلى رجالات عصره، ونبيع وحده لا يشق له في هذا المصمار غبار.

نقول: انه منتظراً من الإمام علي الذي انفرد بهذه الميزات جيئاً وكلها جليل، رفيع، رائع، أن يستعمل هذه الطريقة على مدى أرجح... ويلوح لنا أنه استتبعها جميعها أو أكثرها من آي الذكر الحكيم، وأقوال النبي. اسمعه يقول: «من أعطي أربعاً لم يحرم أربعاً. من أعطي الدعاء لم يحرم الاجابة. ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول. ومن أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة. ومن أعطي الشكر لم يحرم الزمادة. وتصديق ذلك كتاب الله. قال الله في الدعاء: ادعوني استجب لكم. وقال في الاستغفار: ومن يعمل سوءاً أو بظلم نفسه ثم يستغفر الله بهداه الله غفوراً رحباً. وقال في الشكر: لئن شكرتم لأزيدنكم. وقال في التوبة: إغا التوبة هل الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قرب، فأولئك يتوب الله عليهم، وكان الله علماً حكيناً. فهل من مسوغ للشك يبيه نقادنا بعدها؟؟

#### السبب الرابع

نکاد نخزم حين نعرض لدراسة السبب الرابع أن الشاكرين في نهج البلاغة لم يقرأوه جميعه قراءة واعية لأن الإمام نفسه جلا هذه الشيبة في إحدى خطبه. ففي نهج البلاغة - انه عندما انتهى من خطبته التي أخبرها عن الملائم في البصرة - قام رجل كلبي من بعض أصحابه فقال: لقد أعطيت علم الغيب يا أمير المؤمنين !!

فمضحكنا (ع) وقال: يا أخا كلب!! ليس هو يعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب، علم الساعة، وما هي إلا الله بقوله: إن الله عنده علم الساعة.... الآية، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله، وما سوى ذلك، فتعلم علم الله نبيه، فعلمته، ودعالي أن يعه صدري، وتصفّط عليه جوانحي.

إننا إذا اخذنا بهذا القول وحده، وصرفنا النظر عن استنتاج القضايا الاجتماعية من مقدامتها وأسبابها، ومن قول النبي (ص): اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، فإننا نراه كافياً لصد ذلك الشك العالى.

دیجی بلاغہ و شراحت

لقد تولى شرح نهج البلاغة كثير من أعلام العلامة، فلم نعرف احداً منهم شك في  
نسبته لأمير المؤمنين علي(ع) خصص بالذكر منهم المرحوم الشيخ محمد عبداً وهو الذي  
بعث الكتاب من مرقده، ولم يكن أحد أوصي منه اطلاعاً، ولا أدق تفكيراً، لم يُسر إلى  
شيءٍ من ذلك بل نعتقد أنه -رحمه الله- كان مقتنياً بأن الكتاب كله للإمام علي، وإن  
لم يصرح بذلك . والدليل على هذه المقيدة أنه يقول في مقدمته يصف الكتاب: «وإن  
مدبر تلك الدولة، وباسل تلك العصولة، هو حامل لوانها الغالب، أمير المؤمنين علي بن  
أبي طالب» بل هو يتجاوز هذا المقدار إلى الاعتراف بأن جميع الألفاظ صادرة عن  
الإمام، حتى أنه يجعل مافي الكتاب حجة على معاجم اللغة<sup>٦</sup> .

الملاصقة

نزل القرآن الكريم، فكان مجزأاً في بلاغته، جديداً في كل ما شاع للناس من دين وقانون... جديداً فيها جاء به من سياسة وحكمة، وأداب أخلاقية واجتماعية... وكانت هذه الجلدة حرفة تطور عنيفة، ثفتت الأذهان بثقافة رفيعة جديدة، وأعدتها لحياة جديدة أيضاً... فالعربي الذي كانت البداية خلقت منه إنساناً خشن الطبع، يعبد الأصنام، هه أنه يغزو أخاه العربي، ويقتله ليظفر بأسلاكه... يعيش في ذnya رحيبة من الجهل، والغفوس والمخرافات والتثبيت... أصبح بين عشية وضحاها إنساناً مدنياً مؤمناً بعبد الله، ومحب أخيه العربي حباً صادقاً وفيما، قد امتلأت نفسه

(١) هو مقتدى الديار المصرية سابقاً

(٢) محمد عي الدين - أحد شرائح نجاح اللغة، ويؤخذ عليه في مقتنه قوله عن الإمام أنه شاب له حدة الشاب، وطموحة، ونشاط، فهذه الملة، والنشاط والطموح، تمير باطن، بعيد عن الباتة. لابس وفأوردته تبرير موقف الإمام غير المطلقة والمارغرين... وليس معنى هذا انتكاش أنه كان في إمارة المؤمنين طموح ونشاط، فهو الصفات من صفات الشاب الإسلامي الماجد، وما تغيرت الشريعة الإسلامية المرأة، وقد كانت متغيرة في الإمام، ولكنها كانت محصورة ضمن إطار الشريعة والفقه، ولو وجدت في على حسب المعنى الظاهر الذي يستفاد من قول الاستاذ عي الدين - أحد أصناف الآية، لتغير وجه التاريخ، ولا سمه أن يقبل في نفس الصفحة قوله لكن: بلهجته أنا، الاستاذ عي الدين المسلمين هم الله، ذلل في تأثيرها وأشكالها.

(٣) أثربت هذه الشفافية في فراغ الشراء الذين ادركوا صاحب الرسالة، فرفقت أفلاطون، وصانع الإسلام خالدتهم بألوته الوراثية. رابع حسان بن ثابت وفهره من الشراء المفترضين.

علماء، وحياته نظاماً. فهل ترى من الغريب أن انقلاباً فكرياً، واجتماعياً، وسياسياً، ودينياً، وحقوقياً... كالذى أحدثه البعثة الحمدية - انقلاباً أبدع من الأمة الجاهلة، الضاربة، المزفة، أمّة جبارة بقوتها، عزيزة باتخاذها، أصبحت بفضل القرآن وشرع القرآن نبراس هدى، وقائدة حكمة للمجتمع الانساني... أترى من الغريب ان مثل هذه البعثة الخالقة التي استطاعت أن ترتفع بعالم العرب إلى سام الكمال البشري... وأن تبسيط من ظل سلطانهم حتى يكاد يغمر نصف الكوكب الأرضي، أن تكون رجلاً مثل الإمام علي بن أبي طالب، ينجز للعالم كتاباً كنجح البلاغة؟؟

إن أقل ما يقال في مثل هذا انه شك في كفاءة الروح الاسلامية الحية النيرة. وشك في كفاءة الذهنية العربية الصافية عن قبول موتراً ثقافة الوحي - الإلهية النبوية. إن كتاباً كالقرآن أخرج الدنيا العربية من الظلمة إلى النور، حلّيق أن يخرج للناس رجلاً كالأمام علي الذي توفر له من تلك الثقافة الإلهية - النبوية مالم يتوفّر لأحد غيره من المسلمين قط. فإنه نشأ في بيت ابن عمّه محمد جامعه الاسلام العليا. فكان له منه أستاذ بر رحيم، فصيغه صلوات الله عليه بصيغته الأخلاقية، ونشأ على بلاعنه النبوية، وحيينا نزل القرآن الكريم، وبدأ بالقيام بأعباء الرسالة، كان على أول من آمن به، وواجهه في سبيل دعوته، فاعتمده كاتب وحيه، وشرع كلما أتي إلى باية يلقنه كل ما تختبئه في تلافيفها من المعانى والأغراض، فكانت ثروته العلمية والأدبية والشرعية تزداد كل يوم نماء، فانفسح خياله وصفاء، ورهف شعوره، ونورت بصيرته، ولطف ذوقه الأدبي، وظل عليه السلام أقرب الناس إليه وأجلهم عنده مكانة حتى اختاره الله إلى جواره الأقدس. ولما ولّ على الخلافة، وشهر المعارضون في وجهه السيف، احتاج إلى الدفاع عن مركز الخلافة، فإذا به يشق بتلك البلاغة التي رضّها صغيراً، وشب عليها كبيراً... بدراً كاماً... وإذا به ينطق بمكتوب علمه الإلهي، وطرائقه الحكيمية، وأياته الأدبية، وروائعه في السياسة المدنية والحقيقة... فيجيئ بأسيضلّ شمس البيان البشري حق قيام الساعة. وهذه البلاغة السحرية، والروعة المدعاة في حال الوصف ودقة التصوير وقوة السبك وغزارة المادة... وتلك الفلسفة الاخلاقية، والقواعد الاجتماعية، والسياسة المدنية، والمقدرة الجبارة على التصرف في فتوح القول، والحكم الفالية وسمو الأفكار وتضوّجها... هي التي دعت ابن خلگان ومن جاءه بعده من كتاب التراجم إلى الشك في صحة نسبة نسبـة نسبـة البلاغة للإمام علي ولو انهم رجعوا إلى الزمان و المكان اللذين نشأ فيها الإمام، وإلى الامواج السياسية التي

تقاذفت به... وإلى الجدة الثقافية والاجتماعية التي نشرها القرآن ودرسوها درساً دقيقاً عميقاً... ولو أنهم أدر كوا أن القرآن والتربيـة النبوـية هـما المدرسة التي وجـهـتـ الـإـامـ، وأثـرـتـ فـيـ أـبـيهـ، لما رأـيـاـهـ يـمـغـونـ فيـ شـكـهـمـ حتـىـ يـتوـحـهـ يـقـيـنـاـ. بلـ لـوـاـنـهـ قـارـنـواـ بـبـصـيرـةـ وـاعـيـةـ نـقـادـةـ بـنـ هـجـةـ الـإـامـ الصـارـمـةـ، وأـسـلـوبـهـ الرـفـيعـ المـتـسـقـ، وماـيـغـلـبـ عـلـىـ خـطـبـهـ مـنـ مـزـاجـ نـارـيـ، وـبـنـ أـقوـالـ الشـرـيفـ الرـضـيـ فـيـ مـؤـلـفـاتـهـ الشـرـبـيـةـ لـكـفـونـاـ وـكـفـواـ أـنـفـهـمـ عـنـاءـ الشـكـ. فـيـ «ـنـجـ الـبـلـاغـةـ». وقد رـأـيـتـ مـاـ مـرـبـكـ اـنـتـاـ ظـهـرـنـاـ بـالـبـرهـانـ الشـبـهـ فـادـ مـزـاعـمـ الشـاكـنـ فـيـ نـجـ الـبـلـاغـةـ، وـلـانـدـرـكـ قـبـلـ أـنـ تـخـتـمـ هـذـاـ الـبـحـثـ بـكـلـمـةـ خـالـدـةـ لـشـيـخـ مـعـدـبـدـهـ تـبـيـنـ مـنـ خـلـلـهـ فـيـمـاـ الـكتـابـ الـجـلـيلـةـ. قالـ رـحـمـهـ اللهـ «ـوـلـيـسـ فـيـ أـهـلـ هـذـهـ اللـفـةـ إـلـاـ قـاتـلـ بـأـنـ كـلـامـ الـإـامـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ هـوـ أـشـرـفـ الـكـلـامـ وـأـبـلـغـهـ بـعـدـ كـلـامـ اللهـ تـعـالـىـ، وـكـلـامـ نـبـيـ، وـأـغـزـرـهـ مـادـةـ، وـأـرـفـعـهـ أـسـلـوبـاـ، وـأـجـعـهـ بـلـلـائـلـ الـعـانـيـ»ـ.



الضمان الاجتماعي

كما يصوّره الإمام علي (ع)

الشيخ محمد علي التسخيري



## بسم الله الرحمن الرحيم

لأجدني بحاجة للحديث عن عظمة الامام أمير المؤمنين عليه السلام أو عن المضمون الفخم للكتاب الرابع (نجف البلاغة) لأنها من جهة أوضح من أن يوصافا ولأنني أعجز من يصف .  
ولكن لنرد الموضوع المخصص دون مقدمات فنتحدث عن الصمام الاجتماعي  
كما يصوّره الامام أمير المؤمنين(ع).  
اننا نعتقد ان الصمام الاجتماعي له مجالات عديدة:  
منها المجال الاقتصادي، والمجال الحقوقي، والمجال الأمني، والمجال الأخلاقي  
والتربيوي وغيرها.

إلا انه عندما يطلق باللغة الاجتماعية المتدالوة فإنه يتصرف أكثر فأكثر إلى المجالين الاولين (الاقتصادي والحقوقي) ومن هنا -ولعدم توفر الفرصة لدراسة كل الجوانب- فقد اقتصرنا على الجانب الاول آملين ان نعطي نظرة سريعة مستندة الى نصوص نجف البلاغة، رغبة في استجلاء الصورة الإسلامية المثلث، وعملاً على عكسها على واقعنا الإسلامي القائم في ايران الاسلام، ايران التي صارت على العودة الى الواقع الاسلامي وراحت بقيادة القائد الشجاع العالم الفذ الامام خمطه كل العوائق والعقبات في سبيل تحقيق هذا الهدف العظيم.

### موجز في التصور الاقتصادي الأمثل للإسلام:

ان الاسلام دين واقعي فطري ولذا فهو لا يعمل على اغفال الحقائق الخارجية ومنها الحقيقة الفطرية كما يسمى بكل الامثلية للارتفاع بمستوى الواقع الى الشكل الأمثل.

وعلى هذا فقد لاحظ الاسلام في تصوره للوضع الاقتصادي السليم، واقع الانسان ودوافعه، وواقع المساحة التي يعيشها ومن ثم خطط لإسعاد المجتمع في هذا المجال ضمن تحدياته العام الأوسع منه.

وإذ نذكر بقصد إعطاء النظرية الاسلامية فلأقل من الاشارة الى خطوطها الرئيسية:

وما نعتقد ان الاسلام عَيْنَ المشكلة أولاً ثم راح يسعى للحل الجذري. وهذه المشكلة تتلخص في أمرين (الظلم، والكفر بانعم الله). ولو ارتفعا فقد حللت المشكلة تماماً.

في هذا القرآن الكريم بعد ان يذكر نعم الله وبعد منها، يعقب على ذلك بقوله تعالى: «وان تعدوا نعمة الله لا تخصوها ان الانسان لظلموم كفار».

ومن هنا فانتجا نجده يصب كل جهوده لرفع هذين الجانبيين من المشكلة فهدفه إذن تحقيق مAILY:

اولاً: تنمية الانتاج والاستفادة الاقتصادي من النعم الموفرة.  
وثانياً: تحقيق العدالة الاجتماعية والقسط، وقد أكد هذا كثيراً في مختلف نصوصه، ومنها جعل القسط، أحد اهداف الانبياء الكبارى.

وهوبى - هنا - ان القسط لا يتحقق الا اذا تحقق مبدئان هما:

أ: التكافل الاقتصادي  
ب: التوازن في مستوى المعيشة.

وهما أمران يشتركان الشعب والحكومة في القيام باعبانها على اختلاف بين المسؤوليات.

ولكي يتحقق التوازن الاقتصادي في مستوى المعيشة يجب العمل على الارتفاع بالطبقة الفقيرة الى حد (الغنى)، والهبوط بالمستوى الذي تعشه الطبقة المترفة والمشرفة

ولايق بين مستويات المعيشة الا تفاوت معقول ومقبول يضمن قربها من جهة وبقاء الدافع المادي المحرك للإنتاج اكثر، وانما لنجد الخطوات الاقتصادية التي قام بها الامام أمير المؤمنين كلها تسير في هذا الاتجاه، فلشنستبعها إذن تتبعاً سريعاً لنجد الروعة التي طرحها الاسلام وطبقها الامام في دولته الاسلامية.

ونستطيع ان نقسم هذه الخطوات الى قسمين:

الخطوات التربوية النفسية المقاديدية.

والخطوات القانونية الشرعية.

وكلها تصب في الأهداف الماضية كما سنلاحظ.

ولكن قبل بيان هذين القسمين يجب ان نلاحظ ان بعضها قد يميل الى جانب تنمية الانتاج، والآخر الى العدالة في التوزيع. ولكن لا اكان الحقل الانتاجي والichel التوزيعي متراطبين بشكل رائع فقد اثرنا أن لانقسمها الى خطوات انتاجية واخري توزيعية.

### الامام يمهد لتطبيق الاطروحة الاقتصادية تميذاً نسبياً:

ويمكنا ان نختار من تعليمات الامام الامور التالية:

١- العمل على تعميق العقيدة في النفوس بحيث يتحول الوجود الانساني الى وجود موحد مطين لله تعالى مصحح في سبيله بكل مأimنه ونهج البلاغة مليء به مثل هذه التربية المقاديدية.

ومن الواضح أن العقيدة اذا تعمقت انبثقت منها مفاهيم اجتماعية رائعة لها تأثيرها الاكبر في مسير الحياة الاجتماعية، وتلك من مثل مفاهيم: (خلافة الانسان لله) (مفهوم التخوين المالي للإنسان من قبل الله) (مفهوم الاخوة الاسلامية) ومفهوم (الربح والمسارة في التصور الاسلامي) وغيرها.

كما ان هذه العقيدة والمفاهيم تترك آثارها في صياغة العواطف الاسلامية نحو المتدين والاخوة المؤمنين مما تمهيد اكبر التمهيد لتطبيق التصور الاسلامي المذكور.

٢- ونهج البلاغة مليء ايضاً بالتعليمات التي تحقق للإنسان نظرة طرificية للجوانب المادية في هذه الحياة فـ«من أبصر بها بصره، ومن أبصر اليها أعمته»

- ٣- التأكيد على ذم الحياة المترفة التي لا تشعر بالآلام المعوزين، وهكذا ذم الاسراف والمترفين وبيان انحرافهم عن الصراط الانسانى.
  - ٤- التذكير الدائم بأن المال مادة الشهوات وانه سبب لأنحراف الانسان إن لم يبذل في سبيل الله.
  - ٥- تعميق مفهوم العمل في سبيل الله ونبيان الذات في هذا الصدد، وإذا تعمق هذا المفهوم حل مشكلة التعارض بين المصالح الذاتية والمصالح الاجتماعية وكان التهديد الأربع لتحقيق القسط.
  - ٦- التأكيد على لزوم العمل وتخصيل الرزق وعدم الذلة عند الحاجة.
  - ٧- تركيز الاحساس بالآلام الآخرين وخصوصاً في مجال تحسيس الحكماء بالتفكير الدائم بصفاء شعوبهم.
  - ٨- إعطاء صورة عن المثل الاعلى وهي تمثل تاريخنا بالأنبياء عليهم السلام وبه (عليه السلام) كقائد يمارس القيادة الفعلية في ذلك المجتمع على أساس نهج الأنبياء.
  - ٩- اعطاء بعض الصور المتكاملة عن مجتمع المتدين واتصافه بكل عناصر التقدم المادي بالإضافة للتقدم المعنوي.
  - ١٠- وبالتالي التأكيد على ربط الانتاج بالتوزيع وذلك كما جاء في كتاب الامام الـ جبـيـهـ حـمـدـيـنـ اـبـيـ بـكـرـ عـاملـهـ عـلـىـ مـصـرـ فـلـتـطـالـعـ إـذـنـ بـعـضـ النـصـوصـ فـيـ هـذـاـ الـمـجـالـ.

فِي ذِمَّةِ التَّرْفِ وَالْأَقْبَالِ عَلَى الدُّنْيَا

**يقول الامام عليه السلام:**

«أقبلوا على حمبة قد أتت شخصها بأكلها وأصطلعوا على ثديها، وتنى عين شباً أعش بصره، وأمرهن قلبها، فهو يسكن رقبين غير صحيحة، ويسعى لأن غير سمية قد خرقت الشهارات عقلة، وأماتت النبا قلبها، وزلت غليها نفثة، فهو عبد لها، وائم في بيده شيء ميتاً...» وهكذا يستمر هذا الوصف إلى أن يشرف بهم على سكرات الموت فيقول: «فهو يقضى بدء تدامة على ما أصحر له عند القبور من أمره، ويزهد فيها كأن يرثب فيه أيام عمره، ويتحقق أن الذي كان بتغبيطها بها وتحسنهما قد حازها دونها» إلى أن يقول(ع): «فممارجهة بين أهله، قد أوشحوا من جانبه، ونباخدوا من قربه، لا يبعد باكيًا، ولا يجيئ داعيًا» (نهج البلاغة ص ١٥٩-١٦١).

ويقول في خطبة رائعة أخرى: «سلطاناً ذُئْنَ (أي الدنيا) وعيشها زق، وفذهبها أحاج، وخلوها صبر، وفداوها سلام، وأسبابها رمام، حيثها يعرض قوت، وضعيتها يفترس شفاف! فلنكتها مسلوبة، وعزيرها تملوقة، وتقوّرها تشكّكة» إلى أن يقول (ع): «اقهونه لثوره، ألم إليها نظنتون، ألم علىها تعرّضون؟». نهج البلاغة ص ١٦٥  
ولتحقيق السمو في آمالهم يقول:

«ولو تعلمون ما أعلم يماثلوا عنكم غيبة، إذا لترجحتم إلـى الصـدـاتـاتـ تـبـكـرـنـ عـلـىـ أـعـمـالـكـمـ، وـتـلـكـدـفـونـ عـلـىـ الـبـلـكـمـ، وـتـلـكـرـكـمـ أـمـارـالـكـلـمـ لـاـخـارـسـ لـهـاـ وـلـاخـالـتـ عـلـهـاـ» (١٧٣)  
«أما رأيـتـمـ الـذـيـنـ يـأـلـمـونـ بـعـدـاـ، وـبـيـكـونـ تـشـدـداـ، وـبـيـعـنـونـ كـثـيرـاـ، كـيـتـ أـصـبـعـتـ يـبـلـوـهـمـ شـبـراـ، وـبـاـجـمـعـوـهـاـ، وـصـارـتـ أـمـوـالـهـمـ لـلـواـرـثـنـ وـأـرـوـاحـهـمـ لـلـقـومـ أـخـرـينـ». نهج البلاغة (١٩٠).  
«أـلـاـ فـاـ يـصـنـعـ بـالـذـيـنـ مـنـ خـلـقـ لـلـآـخـرـةـ؟ وـمـاـصـنـعـ بـالـمـالـ مـنـ عـقـاـلـلـ بـلـهـ وـقـنـ عـلـيـهـ بـعـثـةـ»  
وصيـاثـةـ (٢٤٤)

فقد ورد عنه (ع) في رواية صحيحة انه وضع على المخبل العناق الراعية في كل فرس في كل عام دينارين ، وجعل على البراذين ديناراً ومنها التشجيع المتواصل على الانفاق الحسن المستحب هذا الى ما في تطبيق باقي القوانين الاسلامية كالارث من دور في تغبيت المال ومنع تركز الثروة.

كانت هذه بعض الخطوط الافتراضية الاقتصادية الإسلامية الفضفخمة التي خطّها على الصعيد القانوني لتحقيق الاهداف الكبرى التي اخذ على الامة عهداً ان تصرّب على تحقيقها.

هذه هي الصورة الاسلامية للمجتمع الاسلامي السليم ولكن ما هو الواقع؟  
ان الواقع الاقتصادي القائم اليوم مختلف تماماً الاختلاف عنها.  
فإنك لنجد اختلال التوازن الى حدٍ ضخم جداً فيصل الدخل المتوسط لدى بعض المسلمين الى الصفر في حين يصل الدخل المتوسط في محل آخر الى ١٨/٠٠٠ دولار، وتجد تحول مبدأ التكافل العام الى مجرد مساعدات صغيرة تمنع لتحقيق اغراض سياسية بمحنة... أما التنمية الاناتجية فهي اما معدومة او انك تجد بها تنمية كاذبة بقيام معامل المنتاج المعتمدة على الكفر العالمي تماماً والتي تفقد صفتها المستقلة. هذا من جهة ومن جهة أخرى فهي تصب في جيوب مجموعة من المترفين الكبار المستغلين.

وهكذا نجد الترف والاسراف في جهة، والجوع والحرمان في جهة أخرى، ونجد

كل منطقة تعامل مع المنطقة الاسلامية الأخرى كعميل أجنبي لافرق بينه وبين أي عميل آخر.

وهكذا يصدق قوله (عليه السلام) في تعبير رائج عن الصورة القائمة «اضرب بطرفك حبّث شئت من الناس، فهل تبصر إلا فقيراً يكابر فقراً، أو غنياً بذل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اخند البخل بحق الله وفراً... أقربها تریدون ان تجاوروا الله في دار قدسه، وتكونوا اعز أوليائه عنده؟ هيهات...» (١٨٧)

وفي ختام هذا الحديث نود ان نقدر للثورة الاسلامية الكبرى في ايران بقيادة الامام الزاهد العالم الشجاع الحنفي الكبير على ما قامت به من خطوات رائعة في سبيل اعادة الصورة الاسلامية الاوفر وتحقيق الاهداف الكبرى الاخرى، ونحن نشير الى ذلك باختصار:

- ١- العمل على تنمية الانتاج وشكراً نعم الله باكتشاف الذخائر المتوفرة ولكن في اطار نقى السيطرة الاجنبية وحذف ما يقرب من اربعين الف خبير كانوا يمتلكون دعمنا دون رحمة ويهودون للاستعمار السياسي والتقانى.
- ٢- العمل على تحقيق القسط الاجتماعي عبر فرع مبادئ علي كلها وتحقيق سيطرة قوية على المابيع الأهم مع الفسح الشروط للملكية الخاصة لكي تعمل عملها في اطار تشجيع الانتاج ودون ان تؤثر على اختلال التوازن او تنكص عن اداء مهمة التكافل.
- ٣- العمل الحثيث على تركيز المقومات النسبية التي اشرنا إليها حتى لكياد نجزم انها اليوم اكبر تأثيراً من أي اجراء قانوني.
- ٤- تطبيق الاحكام الاسلامية الثابتة واحداً بعد الآخر مما يترك اكبر الآثار في هذا المجال.
- ٥- التأكيد على الطبقة المخرومة وبذل اقصى المساعي للارتفاع بها.
- ٦- العمل على منع ترکز الشروة والافادة من باقي الاشعاعات الاسلامية. ان ثورتنا الاسلامية لنفترض أنها اتبعت رسول الله (ص) خير اتباع وطبقت تعاليمه الاليمية التي فهمها تلميذه أمير المؤمنين وطبقها عملياً في عهده الراهن.

## نفي الترف

وعن الرسول (ص) يتحدث فيقول: «وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَتَجْلِيسُ جَلَسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ تَعْلَمَهُ، وَتَرْقَعُ بِيَدِهِ نُورَهُ وَتَرْكَبُ أَلْجَمَازَ الْعَارِبِيَّ وَبُرُودَ خَلْقَهُ، وَيَكْرُونَ الْتَّرْزَ عَلَى بَابِ تَبَيْهِ فَتَكُونُ فِي الْأَتْسَاوِيرِ قَبْرُهُ: «يَا فَلَانَةٌ لَا حَدِي أَزْوَاجِهِ ثَبَيْهِ قَتِي، قَاتِي إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ ذَكْرُ الدُّنْيَا وَزَخَارَفَهَا». (٢٢٨)

**الأئمَّاء كانوا مستضعفين جياعاً مجاهدين ...**

يصفهم فيقول عنهم: (وَكَانُوا قَوْمًا مَسْتَضْعِفِينَ، قَدْ أَخْتَرُوكُمُ اللَّهُ بِالْمُتَحْتَفَةِ وَأَبْلَغُوكُمُ بالْجَاهِدَةِ، وَأَنْتُهُم بِالْمُخَاوِفِ، وَتَخْفَهُمُ بِالْمُكَارِ، فَلَا تَنْتَهِرُوا إِلَيْهِنِي وَالْمُخْطَطُ بِالنَّارِ وَالْمُؤْلِدُ بِجَهَلٍ بِمَوْاقِعِ الْفَيْشَةِ، وَالْأَخْيَارِ فِي مَوْضِعِ الْفَنِّ وَالْأَفْدَارِ، فَنَدَقَالْ سَبْحَانَهُ وَقَعَالْ «أَبْحَسْبُونَ أَنْ مَأْيِدَهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ تُسَايِعُهُمْ فِي الْمُخِيَّاتِ؟ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ» فَانَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَخْبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلَاهِهِ الْمُسْتَضْعِفِينَ فِي أَعْيُّهِمْ) (٢٩١)

**ذم الاسراف، والحزن أكثر من الحاجة**

من كتاب له الى زriad:

«دفع الاسراف مقتضاها، واذكر في اليوم غداً، وأمسك من المال بقدر ضرورتك ، وقدم الفضل ليوم حاجتك اثرب جوان يعطيك الله أجر المتواضعين وانت عنده من المستكبرين، وتقطع - وانت متبرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرمدة، ان يوجب لك ثواب المتصدقين؟ واغا المرء مجزي بما أسلف ، وقادم على ماقدم»

**من أروع النصوص تطبيقاً للتوجيد بين المصالح الذاتية والاجتماعية**

«فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك - فيكون نقل ذلك وبالاً عليك واذا وجدت من اهل الغاية من يحصل لك زادك الى يوم القيمة فيوافيتك به غداً حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله اياه ، واكثر من تزو يده وانت قادر عليه ، فلعلك تطلبه فلا تجده ، واغتنم

من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك وأعلم ان امامك عقبة كُوُوداً...»(٣٩٨)

### كسر النفس عن الشهوة

«وأصره ان يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمادات فان النفس أهارة بالسوء إلا ما رحمه الله»(٤٢٧)

«المال مادة الشهوات»، (٤٧٨)

«ما جاع فقير إلا بما منع به غنى»

«ماعال من القصد»

«استنزلوا الرزق بالصدقة»، (٤٩٨)

### زهد على

فواهـة ما كـشرت من دنيـاكم تـبراً ولا دـخرـت من غـناـمـها وـفـراـ، ولا اـعدـت لـبـاليـ  
ثـويـ طـرـمـاـ، ولا حـزـتـ من اـرضـهاـ شـيـراـ،

وأـيـمـ اللـهـ .ـيـمـيـنـاـ اـسـتـشـنـيـ فـيـهاـ بـعـيـسـيـ اللـهــ.ـلـأـرـوـضـنـ نـفـسيـ رـياـضـهـ تـهـشـ معـهاـ إـلـىـ  
الـقـرـصـ إـذـ قـدـرـتـ عـلـيـهـ مـطـعـومـاـ، وـتـقـنـعـ بـالـمـلـعـ مـأـدـوـمـاـ وـلـأـدـغـنـ مـقـتـلـيـ كـمـينـ مـاءـ، نـقـبـ  
مـعـيـشـهـاـ، مـسـتـقـرـعـةـ دـمـوعـهـاـ، أـتـمـلـيـ السـاعـةـ مـنـ رـعـيـهـاـ فـقـيرـكـ؟ـ وـتـشـيـعـ الرـيـصـهـ مـنـ  
عـشـبـهاـ فـتـرـبـضـ، وـيـأـكـلـ عـلـيـهـ مـنـ زـاـيـهـ فـيـهـجـعـ؟ـ قـرـتـ إـذـ عـيـهـ إـذـ اـقـتـدـىـ بـعـدـ السـنـينـ  
الـمـتـطاـوـلـةـ بـالـبـيـهـمـةـ الـهـامـلـةـ.

### الضمـانـ والـعـملـ

«قد تـكـفـلـ لـكـمـ بـالـرـزـقـ، وـأـمـرـتـ بـالـعـملـ، فـلـاـيـكـونـ المـضـمـونـ لـكـمـ طـلـبـهـ اـولـيـ بـكـمـ  
مـنـ المـفـرـوضـ عـلـيـكـمـ عـقـلـهـ»، (١٧١)

### الـواـليـ غـيرـ بـخـيلـ

«وـقـدـ عـلـمـ اـنـ لـاـيـسـبـيـ اـنـ يـكـونـ الـواـليـ عـلـىـ الفـرـوجـ وـالـدـعـاءـ وـالـمـغـامـ وـالـاحـکـامـ

وامامة المسلمين البخيل، فستكون في اموالهم نهمته، ولا جااهل فيصلهم بجهله» (١٨٩)

### المال للاخرين والصبر للنفس

«فن آتاه الله مالاً فليصل به القرابة، وليحسن منه الضيافة، وليفك به الأسير والمعاني، وليعطي منه القدير والغارم، وليرصي نفسه على الحقوق والتواب ابتعاده الشواب، فان فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا، ودرك فضائل الآخرة -ان شاء الله» (١٩٨)

### بين الزهد والانفاق

يقول للعلامة بن زياد الحارثي وقد رأى سعة داره:

ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، وانت اليها في الآخرة كنت أحوج؟  
بل ان شئت بلغت بها الآخرة، تقرى فيها الضيف وتصلُ فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فاذا انت قد بلغت بها الآخرة. (٣٢٤)

### التنمية الاقتصادية

«واعلموا ان المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، سكروا الدنيا بأفضل ما سكروا، واكلوها بأفضل ما أكلت، فحضرموا من الدنيا بما حظي به المترفون».

### العمل الاقتصادي

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضرر به والمرتفق بيده فانهم مواد المنافع واسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطروح.

## فستان أهل الذمة

روي في وسائل الشيعة عن علي(ع) انه مر بشيخ مكفوف كبير يسأل فقال امير المؤمنين ما هذا؟ قيل له يا امير المؤمنين انه نصراني فقال الانام: استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منتموه انفقوا عليه من بيت المال.

## غريبك اهمة للعمل وعدم الطمع بما في أيدي الناس

يقول لولده الحسن(ع):

«وابايك ان توجف بك مطابا الطمع فتدرك منهال الهلاكة وان استطعت لا يكون بينك وبين الله ذلة ملء فافعل فانك مدرك فَمَكَ، وآخذ سبائكك، وان اليسير من الله سبحانه اعظم وأكرم من الكبار من خلقه وان كان كُلُّ منه» (٤٠٢)

## كرامة النفس

(ما يطبع الخصوص عند الحاجة، والبغاء عند الغنى) (٤٠٤)

## الحاكم والشعب

«ولكن هيبات ان يغلبني هواي ويفودني جسهي الى تخيير الاطعمة ولعلم بالحجاز او اليهادة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشَّيْعَ أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرقي، واكباد حري، أو أكون كما قال القائل:

وَخَسِبْدَاهُ أَنْ تَبِعَتْهُ وَحَوْلَكَ أَكِيدَ تَبَعَّ إِلَى آقِدٍ  
أَقْنَعَ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يَقَالُ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أَشَارُكُمْ فِي مَكَارِهِ الْدَّهْرِ، أَوْ  
أَكُونَ أَسْوَهُ لَهُمْ فِي جَشُوبَةِ الْعِيشِ، فَأَخَلَقْتُ لِشَفْلِي أَكْلُ الْطَّيَّابَاتِ كَالْبَهِيمَةِ  
الْمَرْبُوَّةِ هُنْهَا عَلَفَهَا...» (٤١٨)

### اما هل الصعيد القانوني

فانت نلمح التطبيق الكامل للتعليم الاسلامية في دولة علي الاسلامية ونذكر من الخطوات التي تمت في هذا السيل:

١- اعلان الامام لواليه على مصر ان التجار هم مواد المنافع وهذا يعني ان التجارة يجب ان تتحدد وجهاً اقتصاديًّا وتبتعد عن الاعيب الاخراج بالمال عن وظيفته الرئيسية فيقول (عليه السلام):

(ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً: المقيم منهم والمطرد بالله والمتزلف ببلنه فائهم مواد المنافع وأسباب الرافق، وجلبها من المباعد والمطارج).

٢- واعلانه عن الاتجاه الاسلامي لمنع نتائج العمل على المادة الابتدائية أو شبيهها (كما يؤخذ في الحرب) للعامل نفسه ولهذه القاعدة تأثيرها الى حد ما حتى في المجال الآخر (أي العمل على غير المادة الابتدائية) فيقول(ع) لأحد اصحابه وقد جاءه بطلب مالاً:

«ان هذا المال ليس لي ولا لك ، واغا هرفي للمسليين ، وجلب اسيفهم ، فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم ، والا فجئنا أيديهم لا تكون لغير افواههم». (٣٥٣)

٣- توفير اقصى حد من الامن الاجتماعي الذي يساعد للغاية على تحقيق الاهداف الاسلامية في المجال الاقتصادي.

ويمثل ذلك عبر تطبيق نظام العقوبات الصارم بحق عمليات الاغتيال الاقتصادي والسرقة وقطع الطريق والربا والاحتياطي والكنز والتمار واهدار الثروات ، وراح يعلن انه يسترجع اموال الأمة حتى ولو تزوجت به النساء.

فيقول(ع) عن بعض الاموال التي رأى انها اخذت بغير حق: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء ، وملك به الاماء لردهته ، فان في العدل سمة ، ومن ضاق عليه العدل فالجلور عليه اضيق».

وبالنسبة للاحتياطي يقول مالك: «فامتنع من الاحتياطي ، فان رسول الله صل الله عليه وآله وسلم منع منه وليكن

البيع بيعاً سمحاً، بموازن عدل، واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمتبايع، فلن قارف حركة، بعد نهيك اياده فتكل به وعاقبه في غير اسراف».(٤٣٨) واللاحظ هنا ايضاً ان المنع من الاحتكار هو نوع من انواع السيطرة المركبة على الاقتصاد، ومن هنا فهو يطرح التسعيـر الحكومي ...

٣- ومن المباديء العملية التي طرحها الامام اتباعاً للإسلام هو مسألة التأكيد الحكومي وتوجيهه السياسة الاقتصادية نحو الطبقة الفقيرة أو كما عبر الامام (الطبقة السفل) ، ومن الواضح ما هي التأكيد من دور في تحقيق التوازن وبالتالي تحقيق العدالة الاقتصادية.

فيقول مالك :

«ثُمَّ اللَّهُ أَللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلِ مِنَ النَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُتَحَاجِنِينَ، وَأَهْلِ الْبُؤْسِ، وَالزَّمْنِ، فَانِّي فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِمًاً وَمُعْتَرًا، وَاحْفَظْنِي اللَّهُ مَا سَخَّفَتْكُمْ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَأَجْعَلْنِي لَهُمْ قَسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكٍ، وَقَسْمًا مِنْ غَلَاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلْدٍ فَانِّي لِلْأَقْصى مِثْلُ النَّذِي لِلأَدْنِي ... فَانِّي هُولَاءِ مِنْ بَيْنِ الرُّعْيَةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ ...».(٤٣٨)

٤- طرح مسألة التسوية في العطاء في الاموال العامة التي يشترك فيها المسلمون على السواء وكانت هذه خطوة ثورية أزعجت الكثير من ذوي التكبر والأشراف فراحوا يتولّون مختلف الوسائل ليعدل عن هذه السياسة ولكنّه كان يحبّهم بأمثال هذه الاجوبية:

«أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجُورِ فِيمَنْ وُلِيتْ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ لَا أُطْهِرُ بِهِ مَا سَرَّ سَمِينَ وَمَا أَمْنَ خَبَمْ فِي السَّهَاءِ نَجِمَاً، لَوْكَانَ الْمَالُ لِي لَسْوِيْتُ بِنِيمَ فَكِيفَ وَإِنَّ الْمَالَ مَالُ اللَّهِ إِلَّا وَإِنْ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَأَسْرَافٌ»(٤٣٩).

٥- العمل على منع تركيز الثروة بأساليب مختلفة؛ منها مامر من منع الاحتكار والكتن والتسعير الحكومية، ومنها الاصرار على جميع الفسائـب الزكوية الثابتة ومنها فرض الفسائـب (غير الزكوية المتعارفة) على الاجناس.

# نقض شبهة الاضافات

## في نوح البلاغة

بقلم: السيد عبدالزهراء الحسيني الخطيب



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، والله وصحبه ومن والاه.  
من الشبه التي حامت حول «نوح البلاغة»، شبه الزيادات في «النوح» فقد زعم  
مشيراً هذه الشبه أنَّ الشريف الرضي بعد فراغه من جمع «نوح البلاغة» ترك أوراقاً  
من البياض في آخر كل باب من أبوابه الثلاثة «لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد»  
فلم يبق «النوح» على ماوضعه الرضي بل تعرض لإضافات وزيادات حتى بلغ إلى  
هذا الحد من الصخامة.  
وقد تكلمنا عن هذه الشبه باقتضاب في «مصادر نوح البلاغة وأسانيدِه» تحت  
عنوان: «مشكلة الإضافات».

والواقع أنَّ هذه الدعوى من الافتراء المفض كالفترة بادٌ «نوح البلاغة» من  
وضع الشريف الرضي، وهي منوعة لأمور:  
(الأول) أن النسخة التي بخط الرضي رحمه الله كانت موجودة في زمن ابن  
أبي الحديد المتوفى سنة (٦٥٥ أو ٦٥٦) كما ذكر ذلك عند شرح الكلام (٢٢٨) من  
باب الخطب «الله بلد فلان» الخ قال: «وفلان المكتئ عنه عمر بن الخطاب» قال:  
«وقد وجدت النسخة التي بخط الرضي أبي الحسن جامع «نوح البلاغة» وتحت فلان  
عمر» قال: «حدثني بذلك فخار بن معد الموسوي الشاعر الأديب».<sup>١</sup>  
وابن أبي الحديد ألف «شرح نوح البلاغة» مابين سنة (٦٤٠) و(٦٤٤) «فالنوح» إلى  
هذا الحلة سالم من التغيير والإضافة، بل وإلى زمن كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم<sup>٢</sup>

البهراني المتفقى عام (٦٧٦) لأنّه أشار إلى نسخة الرضي في مواضع من شرحه على نهج البلاغة.

(الثاني) أن كانوا - كعادتهم في رواية الكتب - يروون «نهج البلاغة» خلفاً عن سلف، ولا يكتفى بعضهم بروايته من طريق واحد، وإليك مثلاً «واحداً» من ذلك.

يوجد في مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف نسخة من «نهج البلاغة» بخط السيد نجم الدين الحسيني الطبرى فرغ من كتابتها يوم السبت من آخر صفر سنة سبع وستمائة، وهي النسخة التي وصفها الأفندى في «رياض العلماء» بقوله: «السيد نجم الدين أبو عبدالله الحسين بن أردشير بن محمد الطبرى كان فاضلاً عالماً جليلاً، وكان من تلامذة الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد ويروى عنه» قال: «وقد رأيت في اصفهان نسخة من «نهج البلاغة» بخطه وتاريخ كتابتها سنة (٦٦٧) آخر صفر بالحلة السيفية في مقام صاحب الزمان عليه السلام عليها خط نجيب الدين المذكور، وهذه صورة خطه الشريف: أنه أحسن الله توفيقه قراءةً وشرعاً لشكله وغريبه، نفعه الله وإننا به بمحنة وألة، وكتب يحيى بن الحسن بن سعيد سبع وسبعين وستمائة وعليها خط السيد محمد بن أبي الرضا العلوى أيضاً، وهذه صورته: «أنه أداء الله بقاء قراءة مهذبة، وكتب محمد بن أبي الرضا» وانتهى.

ثم أنه كان على ظهر النسخة أيضاً هكذا:

«قرأ على السيد الأجل الأوحد الفقيه العالم الفاضل المرتضى نجم الدين أبو عبدالله الحسين بن أردشير بن محمد الطبرى - أصلح الله أعماله وبلغه آماله. كل ذلك الكتاب من قوله إلى آخره فتكل له الكتاب كله، وشرحت مشكله، وأبرزت له كثيراً من معانيه، وأذنت له في روايته عنى عن الفقيه العالم المقرئ المتكلم بجد الدين أبي حامد محمد بن علي بن عبدالله بن زهرة الحسيني الحلبى - رضي الله عنه. عن الشیخ الفقيه أبي جعفر محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني عن السيد أبي الصمصاص ذي الفقار بن محمد الحسيني الروزى عن أبي عبدالله محمد بن علي الخلواتى عن السيد الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد الموسى، وعن الفقيه عزالدين أبي الحمرث محمد بن الحسن بن علي الحسيني البندادى عن قطب الدين أبي الحسين الراوندى عن السيدين الجبى والمرتضى ابنى الداعى الحسين الجليلى، عن أبي جعفر الدورىستى عن السيد الرضي، فليروه عنى مق شاء (بيان بالأصل) سنة سبع وسبعين وستمائة.

وعل النسخة: صورة للمقابلة بنسخة صحيحة في المحضر الفروية (تارعها) في شهر رمضان سنة (٧٢٦).

وهذه النسخة في مكتبة (الإمام الحكيم العاشر في النجف الأشرف) وقد اطلعت عليها بنفسي.

واستمرت عادة العلامة برواية «نجع البلاغة» بالاجازة ، ونقله بالسمع، وضبطه بالمقابلة من يوم صدوره إلى زمن متاخر.

وقد أحصى شيخنا الأمين - عذر الله مرقه - في الفدير ٤/١٩٣ تسع عشرة اجازة ابتداء في سنة ٤٩٩ إلى سنة ١٠٩٦ هـ.

وقد اطلعت في العام الماضي (١٤٠٣) في مكتبة كوهرشاد في خراسان على نسخة من (نجع البلاغة) بخط محمد بن علي بن الحسن الحسني، تاريخ الفراغ من تحريرها يوم الخميس ١٨ جادى الأولى سنة ٨١٨، وقد دققها العلامة المجلسى رحمه الله وكتب في آخرها بخطه الشريف ما هذى نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم أنهى المولى الأولى الفاضل الكامل الذكي الرضي البهي الحق المدقق جامع الفضائل النفسانية مولانا محمد مؤمن الرازي أيده الله تعالى سماعاً وتصحيحاً وتديقاً في مجالس شديدة آخرها ثمان شهر رجب الأصبب من شهور سنة اثنين وتسعين بعد الألف هجرية فأجزلت له دام توفيقه أن يرويه عنى مع سائر ما أخذته مئي بأسانيده المتصلة إلى أرباب المقصة صلوات الله عليهم أجمعين، وكتب بيده الدائرة أقر العباد إلى عفورته محمد باقر بن محمد تقي عن الله عن جرامهم حامداً ومصلياً ومسئلاً».

(الثالث) هناك نسخ خطية من (نجع البلاغة) لائزال موجودة تختلف توارعها ولا تختلف محتوياتها وإليك بعضها:

أ - نسخة رأيت مصوريتها عند العلامة الدكتور السيد جواد المصطفوي مؤلف كتاب «الكافش عن ألفاظ نجع البلاغة» تبتدئ من الخطبة (٣٢) التي أتوا (إنما) قد أصبغنا في دهر عنود... الخ) تاريخ كتابتها كما في آخرها: «فرغ من كتابته فضل الشبن طاهر بن مظير الحسني في الرابع من رجب سنة أربع وعشرين وأربعين حامداً الله تعالى ومصلياً على رسول الله وآله الظاهرين».

ب - نسخة السيد محمد الخليط الطباطبائي بطهران ذكرها الشيخ آغا زرگ في حرف النون من الذريعة تاريخ كتابتها سنة (٥١٢).

ج — نسخة السيد محسن الكشميري الكتبى ببغداد تاریخها سنة (٥٢٠) ذكرها الشيخ أيضاً في حرف النون من المذريعة.

د — نسخة رأيتها أنا في مكتبة الآثار (المتحف العراقي) ببغداد برقم (٣٥٦) غلطوات كاملة جيدة الخط، واضحة الرسم تأریخها كما في آخرها مكتوب بالحمرة هكذا بالحرف الواحد: «آخر كتاب (نهج البلاغة) فرغ من كتباته محمد بن الحسين العامري يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان سنة خمس وستين وخمسماة» وقد ذكرت خصوصيات هذه النسخة في (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) ١٨٨/١ وقلت: إنَّ هذه النسخة من ألقن النسخ الخطية من (نهج البلاغة) ولكن الأرضة قد بدت إليها وخترت بعض صفحاتها مع الأسف الشديد.

ه — نسخة مكتبة طلعت بدار الكتب المصرية برقم (٤٨٤٠) أدب كتب بقلم النسخ الجيد، مضبوطة بالشكل الكامل، وعلاء بالذهب، وبالازور، وبصفحة العنوان دائرة مذهبة برسم خزانة (غياث الحق الدين) يليها صفحات متقابلان متقوشان بتقوش هندسي بالذهب والألوان وبداخلها عنوان (كتاب نهج البلاغة من كلام علي عليه السلام والصلوة على عمّد وأله الطاهرين) وبعض عناوين النسخة مكتوبة بالذهب، وفواصل الفقرات محلات بالذهب أيضاً وبآخرها خاتمة النسخة داخل حلقة مذهبة جاء بها (تم الكتاب بالحضور الشريفة المقدسة الغاوية التجفية بشهد مولانا وسيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أخي الرسول، وزوج البطل، ووالد أولاد الرسول صلوات الله عليهم وكتبه وذهبة الحسين بن محمد الحسين سنة ثمين وثمانين وستمائة) وعلى هذه النسخة ضبط الأستاذ محمد أبوالفضل ابراهيم الأصل من شرح نهج البلاغة في طبعته التي أشرف على تحقيقها والتعليق عليها<sup>٤</sup>.

و — نسخة بخط الحسن بن محمد بن عبدالله بن علي الجعفري سبط أبي الرضا الرواندي تاریخها سنة (٦٢١) بمكتبة مدرسة السيد اليزدي قفس سرة في النجف الأشرف.

ولا حاجة بنا إلى ذكر النسخ الخطية بعد تاريخ (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد لأنَّه ضبط أصل (النهج) وقد اطلعت على كثير منها، وتعرضت له ذكر بعضها في «مصادر نهج البلاغة وأسانيده». فمن أين تسربت هذه الزيادات ولماذا لم يعثر أحد على نسخة واحدة خالية من هذه الاضفاف المزعومة؟ ولماذا لم يقل بهذا أحد من القدامى حتى الذين يذهبون إلى أنَّ

في (النوح) شيئاً منحولاً؟

وكيف تواطأ ناسخو النوح وشراحه ورواته مع اختلاف أوطانهم وأزمانهم، بل  
وأختلاف مذاهبهم ومشاربهم على الاضافة والتغريب.

ومن العجب ما قاله الأستاذ العقاد في (عيقرية الامام) ص ١٧٧: «إن النبوات  
التي جاءت في (نهج البلاغة) عن الحاجاج وفترة الزنج وغارات الشتر وما إليها من  
مدخول الكلام عليه مما أضافه النسخ إلى الكتاب بعد وقوع تلك المحادثات بزمن قصير  
أو طويل» ولو سلمنا جدلاً أن الأخبار عن الحاجاج وفترة الزنج أضيفت إلى الكتاب  
بعد صدوره بزمن قصير أو طويل - لأنَّه لا يريد أن يتهم الرضي بالوضع - فلaimكن أن  
نسلم باضافة الأخبار عن فترة التتار وكلَّ حوادث التتار من حملة جنكيزخان إلى  
احتلال هلاكوبغداد كان مابين سنة ٦٦٦ (٩٥٦) وسنة ٦٥٦ (٩٥٦) وهذه نسخ «النوح»  
المخطوطة والتي استعرضنا بعضها ومنها نسخة مكتبة الآثار ببغداد التي ذكرنا أنَّ  
تارikhها كان سنة ٩٥٦ أي قبل وقوع تلك المحادثات بمائة عام وفيها الكلام الذي  
يشير فيه أمير المؤمنين عليه السلام إلى تلك الفتن والمحن وهي لاختلف عن النسخ  
المطبوعة فضلاً عن المخطوطة.

وهذا ابن أبي الحديد وقعت إليه عددة نسخ من الكتاب وفيها ما كتب في حياة  
الشريف الرضي رحمه الله كما أشار إلى ذلك في مواضع من (شرح نهج البلاغة)  
يستشعر هذه الإضافات المزعومة بل نراه يقول في شرح الخطبة التي أشار فيها  
أمير المؤمنين عليه السلام إلى التتار: «أنَّ هذا الغيب الذي أخبر عليه السلام عنه  
قدرأتناه نحن عياناً، وقع في زماننا، وكان الناس يتظرون منه من أول الإسلام حتى  
ساقه القضاء والقدر إلى عصتنا وهم التتر الذين خرجو من أقصى المشرق»<sup>٥</sup>.

نعم يوجد بعض نسخ من (نهج البلاغة) ومنها نسخة (مكتبة الإمام الحكيم العامة  
في النجف الأشرف) التي وصفها صاحب الرياض - كما نقلتم - تنتهي بالحكمة رقم  
٤٦٨ وهي قوله عليه السلام: (رب مفتون بحسن القول فيه) وقد دخلت من  
الكلمات القصار بعدها وهي ثماني عشرة كلمة.

والجواب عن هذا أنَّ ابن أبي الحديد بعد أن فرغ من شرح قوله عليه السلام: (رب  
مفتون بحسن القول فيه) قال:

«واعلم أنَّ الرضي رحمه الله قطع كتاب (نهج البلاغة) على هذا الفصل وهكذا  
وحدث النسخة بخطه، وقال -أي الرضي-: وهذا حين انتهاء الغاية ما إلى قطع المتزع

من كلام أمير المؤمنين حامدين الله سبحانه على مامٌ به من توفيقنا لفسم ما انتشر من أطراfe، وتقريب ما بعد من أقطاره، ومقررين العزم كما شرطنا أولاً على تفصيل أوراق من البياض في آخر كل باب من الأبواب لتكون لاقتناش الشارد، واستلحاق الوارد، وما عساه أن يظهر بعد الفموض، ويقع بعد الشذوذ وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وهو حسناً ونعم الوكيل» انتهى كلام الرضي.

قال ابن أبي الحميد: (ثم وجدهنا نسخاً كثيرة فيها زيادات بعد هذا الكلام - يعني الثنائي عشرة كلمة التي أشرنا إليها - قيل: إنها وجدت في نسخة كتبت في حياة الرضي رحمه الله وقرأت عليه فأنماها وأذن ياخذها بالكتاب) <sup>١</sup>.

وستعرف - إن شاء الله - إذا اطلعت على مصادرها في (مصادر نسخ البلاغة وأسانيده) أن هذه الكلمات مروية عن أمير المؤمنين عليه السلام وأن الرضي رحمه الله هو الذي أضافها خصوصاً إذا قرأت تعليق الرضي عليها وبالخصوص تعليقه على الكلمة (٤٦٦) وهي قوله عليه السلام: (العين وكاء النساء) حيث قال: «وهذا من الاستعارات المعجيبة كأنه يشبه النساء بالوعاء والعين بالوكاء فإذا أطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء» قال: «وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي صلى الله عليه وأله وسلم وقد رواه قوم عن أمير المؤمنين عليه السلام وذكر ذلك المبرد في كتاب (المقتضب) في باب اللفظ بالحروف، وقد تكلمنا عن هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم (مجازات الآثار النبوية)».

وكتاب (مجازات الآثار النبوية) أو (المجازات النبوية) كما يسمى أحياناً من كتب الرضي التي لا يختلف فيها اثنان، يضاف إلى ذلك أن الرضي ذكر هذه الكلمة في المجازات ص ٢٠٨ وعلق عليها بقوله: «ومن الناس من ينسب هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر ذلك محمد بن يزيد المبرد في كتاب (المقتضب) في باب اللفظ بالحروف) وفي الأشهر الأشهر أنه للنبي صلى الله عليه وأله وسلم».

فتراه احتاط في نقل الكلام في (المجازات) كما احتاط في نقله في (النسخ) وقارن بين التعليقيتين ليظهر لكن أن الذي الحق هذه الكلمات الرضي نفسه، وزد على ذلك أنها مروية في كتب غير نسخ البلاغة كما ذكرنا ذلك في (المصادر).

بقي شيء آخر لا بل من التبيه عليه، وهو اختلاف ترتيب نسخ النسخ بتقديم بعض الخطب والكلمات في نسخة وتأخيرها في نسخة أخرى والسبب في ذلك أن بعض النسخ كتب الخطبة اللاحقة قبل السابقة سهواً ثم ثبته فكتب السابقة بعد اللاحقة

من دون تنبئه فجأة من بعده ففقلها كما وجدتها وهذا لا يضر، ولا يقلل من أهمية الكتاب ولا يدح في نسبه بعد الاتفاق على أن كل واحدة من نسخ (النじف) اشتملت على ما اشتملت عليه الأخرى، وقل أن يخلو كتاب من ذلك ، ونظرة واحدة في هوامش الكتب التي تطبع طباعة فبة في هذا الزمن لنرى تعليقات المحققين والمصححين وأشاراتهم إلى اختلاف النسخ.

وأنما نبئنا على ذلك كي لا يتورط أحد فيها تورط به الشيخ عي الدين الخطاط فعلم على النسخة التي عليها شرح العلامة الشیخ محمد عبد المطبوخ على نفقه محمد كمال بكداش حيث قال في ص ٣٨٨ من الجزء الأول: «لم يذكر ابن أبي الحميد هذه الخطبة يعني الخطبة التي أتواها (الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد) وما بعدها إلى الخطبة التي أتواها (روي أن صاحبًا لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همام) قال: «ولذلك لا ترى كلامًا» بعد الآن لأن ابن أبي الحميد أن تمر هذه الخطبة» انتهى كلام الخطاط مع أن الخطبة التي أشار إليها وما بعدها كلها مذكورة في شرح ابن أبي الحميد غير أن نسخة ابن أبي الحميد من (الننج) تختلف عن غيرها في الترتيب ومحسنه أن تقارن بين نسخة الخطاط من ص ٣٨٨ إلى ص ٤٢٢ من الجزء الأول وبين شرح ابن أبي الحميد من ص ١٩٤ إلى ص ٢٤٥ من المجلد الثالث لترى كيف وقع الخطاط في هذا الوهم.<sup>٧</sup>

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١ - شرح نهج البلاغة ابن أبي الحميد مجلد ٣، ص ٩٢ طبعة بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٢ - حكى بعض العلماء أن ميث حرثاً وجد خور بكر الم الأصم البحري فأله بفتحها.

٣ - مقدمة نهج البلاغة تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ص ٢١ طبعة مصر.

٤ - شرح نهج البلاغة مجلد ٢ ص ٣٤٢ طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥ - شرح نهج البلاغة ٤/٤ -

٦ - وانظر مصادره نهج البلاغة وأسانيده ١٩٩١/١.



خواطر مستوحاة من مطالعة  
نهر البلاغة

ال الحاج الشيخ توري

داكار، سنغال



بسم الله الرحمن الرحيم

### «نبع البلاغة نبع المسلمين إلى الوحدة والسيادة والحمد»

« وأحبانا كنت أشهد أن عقلاً نورانياً لا يشبه خلقنا جسدياً فصل عن الموكب الامني واتصل بالروح الانساني فخلعه عن غاشيات الطبيعة، وسماته إلى الملكوت الأعلى، وما به إلى مشهد النور الأجل، وسكن به إلى عمار جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبيس. وأنات كأنى أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة وأولياء أمر الامة يعرّفون موقع الصواب، ويصرّهم مواضع الارتكاب، ويرشدهم إلى دقات السياسة، ويهديهم طرق الكياسة، ويرتفع بهم إلى منصات الرئاسة، ويصعدهم شرف التدبير، ويشرف بهم على حسن المصير. ذلك الكتاب الجليل هو خلقة ما اختاره السيد الشريف الرضي رحمة الله من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه».

وردت هذه في الكلمة التي قدم بها الاستاذ الامام محمد عبده شرحه لنبع البلاغة (طبع المؤسسة الاعلى للمطبوعات بيروت - لبنان).

شهادة ليست كالشهادات التقريرية المعروفة، أنها في اغلبها تصدر عن رغبة في المجاملة وقلما تكون عن تقدير صادق، أنها شهادة مندهش منبرأمام كتاب لا يعرف له مثيلاً. أنها شهادة العالم المصلح المصري الشهير الاستاذ الامام محمد عبده، شيخ الازهر

ومفتي الديار المصرية سابقاً. يشهد عن خبرة وخبرة بعد اطالة النظر والتفكير، وخطيب المحكمة الشناوي بأعلياء الكلمة وأولىء أمر الامة لتعريفهم موقع الصواب وبتصيرهم مواضع الارتباط، وارشادهم الى دفات السياسة، واهدائهم طرق الكياسة، والارتفاع بهم الى منصات الرئاسة، وتعصيدهم شرف التدبيين والاشراف بهم على حسن الصير» هو الذي كرم الله وجهه، فلم يسجد فقط لصنم، ولم يعبد حتى في صباء غير الله. وهو الوحيد الذي ربه الرسول الاكرم في بيته نفسه، وعلمه من علمه اللدني، فارتوى منه حتى لقبه قائلاً: «أنتم بذلتكم العلم وعلينا به» وهو ابن عمه الذي زوجه بأحباب بناته. وهو الذي تطوع وأخذ مكانه على فراشه ليلة المؤامرة لاقتناه بنفسه، ولم ينزل يلزمه في جل تقلباته في حله وسفره. وتكون بذلك على مثاله الفريد تكوينا نبويا خاصاً أعدته ليكون له عن استحقاق منزلة هارون الموسى. وهو مدمر رؤوس الكفار ورافع رأية الاسلام كرم الله وجهه.

ان الرتبة الفريدة، - الثالثة - التي يعتليها كتاب نهج البلاغة بعد كتاب الله وسنة رسوله، باعتراف جميع العلماء على اختلاف مذاهبهم وخلتهم، كمنزلة صاحبه على بن أبي طالب عليه السلام من الرسول دون بقية الصحابة. لا يُعرف أحد لا يكتتب آخر مثلما لنيج البلاغة من دقة النظر وصدقه وعمقه وشموليته، ودوم صلاحية تصویراته وتحليلاته وحلوله المفترحة للناس والأشياء والحقائق والمشاكل في كل زمان ومكان.

فك كل جلة من جلأغلب مواضع الكتاب تذكر إما آية قرآنية أو حديثاً نبوياً كما لوضعت تلخيصاً أو تفسيراً للآلية أو الحديث. ان نهج البلاغة فضلاً عن كونه يهدى الى فهم القرآن والسنة الفهم الصحيح السليم، فإنه يصلح أن يكون ميزاناً توزن به السنة لتمييز الصحيح منها من المزيف. ولاغر في ذلك ، لأن صاحبه، كرم الله وجهه، كما يقول محمد عبده في موضع آخر، كاتب وحي الرسول وأقرب الناس الى فصاحته وببلاغته واحفظتهم لقوله... ولازمة فقيها ويافعها في غدة ورواحه، وسلمه وحربه حتى تخيلق بأخلاقه، واتسم بصفاته وفقه عنه الدين، وتنتف ما تزال به الروح الامين. فكان من أفقه أصحابه وأقساهم وأحفظهم وأوعاهم وأدقهم في الفقيها، وأقربهم الى الصواب. وحتى قال عمر: «الباقيت لمفضلة ليس فيها أبو الحسن» أو «لولا علي هلük عمر». والميزان الذي قدمه لن سائله عن أحيايات البدع وعما في أيدي الناس من اختلاف الغير لازال ولن يزال أحسن الميزان لن يتعامل مع السنة:

«إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدق وكمداً، وناسحاً ومنسحاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتباهاً، ومحظاً ووهماً. ولقد كذب علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهده حق قام خطيباً: «من كذب عليّ متعمداً فليتبأ مقتده من النار». وإنما أثناك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس رجل منافق مظهر للامان، متتصنع بالاسلام لايتأثم ولا يتعرج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوه منه ولم يصدقوا قوله ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله رأى وسمع منه ولقف عنه فإذاخذون بقوله وقد أخبرك الله عن المنافقين بما اخبرك ، ووصفهم بما وصفهم به لك . ثم يقروا بعده عليه وآله السلام فتقرروا الى ائمه الضلال والدعاة الى النار بالزور والبهتان فولوهم الاعمال وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا. وإنما الناس مع الملوك والدنيا الامن عصم الله فهو من أحد الاربعة.

- ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه فورهم فيه ولم يتمعد كذباً فهو في بيده ويروي به ويعلم به ويقول أنا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو علم المسلمين انه وهم فيه لم يقبلوه، ولو علم هو انه كذلك لرفضه.

- ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم اوسعه ينهى عن شيء ثم أمر به، وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ ولو علم انه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمين اذ سمعوا منه انه منسوخ لرفضه.

- وأخر رابع، لم يكذب على الله ولا على رسوله بغض للකذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يزكيهم، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه لم يزيد فيه ولم ينقص منه فحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه، وعرف التشابه ومحكمه.

وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهاً، فكلام خاص وكلام عام فيسمعه من لا يعرف معنى الله به، ولا يمعنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيحتمله العام ويوجهه على غير معرفة بمعناه وماقصد به وما خرج من اجله، وليس كل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يسأله ويستفهمه حتى ان كانوا يجهلون أن يحيي الاعرابي والنطاري فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا. وكان لا يغير بي من ذلك شيئاً الا سأله عنه وحفظته. فهذه وجود ماعليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم».

وقد لخص الامام كل هذا بجملة واحدة بقوله عليه السلام في رسالته الشهيرة الى الاشتراطيني : «والرد الى الرسول، الاخذ بستنه الجامعة غير المفرقة» اليس هنا جل الاسباب الرئيسية للخلافات والتفرق بين المذاهب الاسلامية سبباً بين السنة والشيعة؟ وهما ايضاً أعني في تفهم درس الامام هذا، واستخلاص النتائج المنطقية، منه وسائل تسوية هذه الخلافات.

ان الموضوع المفضل عند الامام وهو الذي لا يخلو منه خطبة ولا خطاب ولا رسالة ولا اي من تعليماته عليه السلام، ويشغل ثلثي نهج البلاغة على أقل تقدير، هو التوحيد وتصور ذات الله تعالى وصفاته التي خل فيها كثير من المتكلمين والفلسفه المسلمين. وقد أفحى امير المؤمنين في هذا الباب الماديين والدھريين القديماء منهم والمعاصرين ولم يترك لتغليف ولا متكلم لامعتزلي ولا اشعرى الا لغو الكلام.

ولقد وقع بعض الباحثين في خطأ فاحش حينما استدلوا باستمرارية صلاحية لغة نهج البلاغة واسلوبه الى التشكيك في صحة نسبته الى الامام. فان هذه الظاهرة المتجلية حقاً على صورة كلام الامام والتي يجدها على المعنى والمقصون اجل وأصدق، ترجع الى حقيقة تاريخية أكيدة. الا وهي المبع الاهي الحمدي الذي كان الامام علي يأخذ عنه مباشرة، والجهل بهذا الواقع او تجاهله هو الذي أضل كثيراً ومنع كثيراً من المسلمين سنة وشيعة من الاستفادة بالكتاب والاهداء به كما ينبغي لتحقيق وحدتهم الضرورية لاعادة مجدهم المنشود.

يتناول الامام مثلاً، حالة العلاء والقضاء ومشكلة استقلال العلم والسلطة القضائية عن الحكم والحكماء في زمانه، فلا تشک انه يصور الحالة البيئية الراهنة التي نعيشها اليوم في كل بلدان العالم الاسلامي :

«ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافة، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقصاهم فيصوب آراءهم جميعاً» (ص ٥٥-٥٦ من الجزء الاول).

وفي ميدان العلوم السياسية والاجتماعية، لم يشق بعد غبار «نهج البلاغة». وفي رسالة عبدالله علي بن أبي طالب امير المؤمنين عليه السلام الى واليه في مصر مالك بن الحارث الاشتراطيني ، نرى عجب العجاب، نرى كيف أن أفضل المبحرين في هذا الميدان في كل أنحاء الدنيا، ما زالوا يبعدون جداً عن شأوه كرم الله وجهه، - تصنيناً و ترتيبنا في غاية من الدقة والصدق والشمول لكل الفئات العالمين

والمحكومين للدولة من:

«جنود الله و كتاب العامة والخاصية، و قضاء العدل و عمال الاصناف والرقق، واهل الجزية والخرج، و التجار واهل الصناعات، و الطبقة المفلو من ذوال الحاجات والمسكنة»

- مع وصف دقيق لخصائص و اخلاق و مميزات و ميول كل واحدة منها، و تحديد ادوارها و مهامها و ماعليها من الحقوق والواجبات تجاه الدولة والمجتمع، مع التوجيه الى أصدق الموصفات التي يجب مراعاتها في اختيار من يستخدم منهم، كل ذلك دفعة للظلم والجحود ومنعا للفساد، و تحقيقاً للعدالة والامن والعمار للبلاد والعباد.

وليسمح لي بذكر فقرات من تلك التوجيهات السياسية الملوية التي تختون اليوم في أشد الحاجة اليها والتي تبرر تفوق السياسة الاسلامية على كل ما يتبعها في الغرب والمتغيرون.

للحاكم يقول الاماهم: «أمره بتقوى الله وايثار طاعته». نعم فان تقوى الله وليس الدهاء والكياسة كما يظن الماديون، هو أهم ميزة الحكم الفاضل.

«وامره أن يكسر نفسه من الشهوات... أشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لم واللط夫 بهم... فانهم صنفان إما أئن لك في الدين وإنما نظير لك في الخلق... وقد استكفاك (الله) أمرهم وابتلاك بهم... فلا تتجهن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة... ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه... وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجل نعمته من إقامة على ظلم... والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على أن لا يطرونك ولا يسجحوك بباطل لم تفعله فإن كثرة الأطراء تحدث الزهو وتتدنى من العزة... اياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان... اياك ولمن على رعيتك باحسانك والتزيد بما كان من قبلك أو أن تعدهم فستتبع موعدك بالخلاف فإن المني يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلاف يوجب المقت عند الله والناس... اياك والمجلة بالأمور قبل أوتها أو التسقط فيها عند امكانها... وياك والاستشارة بالناس فيها أسوة... الخدر الخدر من العدو بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغلب...»

يمدحه من البطانة والخاصية، أي الاعيان ويوصيه بالعامة، أي الجماهير ليكن أبعد رعيتك منك وأشأهم عندك أطلبهم بعایب الناس فإن في الناس عيوباً الوالي أحقر من سترها، وليسكن أحسب الأمور إليك أوسطها في الحق واعمهافي العدل واجمعها

لرضاى الرعية فان سخط العامة يجحف برضاى الخاصة، وان سخط الخاصة يغتفر مع رضاى العامة... وليس أحد من الرعية أثقل على الوالى مؤونة في الرخاء وأقل معونة في البلاء وأكره للانصاف وأسائل بالاخلاف وأقل شكرًا عند الاعطاء وأبطأ عدرا عند المنع وأضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة. وإن عماد الدين وجائع المسلمين والمعدة للاعداء العامة من الامة. فليكن صنوك لهم وملك معهم... ان أفضل قرة عين الولاية العدل في البلاد وظهور مودة الرعية... ولا يدعونك شرف امرئ الى أن تعظم من بلاته ما كان صغيراً، ولا ضعة امرئ الى أن تستصرف من بلاته ما كان عظيماً... ان للوالى خاصة وبطانته فيما استثار وتطاول وقلة انصاف في معاملة فاحسما مادة أولئك بقطع أسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لأحدى حاشيتك وحامتك قطعية.

ويقول الامام بخصوص التجار، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحناً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البيعات وذلك بباب مفسدة للعامة وعيوب على الولاية فامنع من الاحتياط فان رسول الله منع منه. ول يكن البيع بما سمحوا بهوازير عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع...  
وعمنع الاحتجاب عن الناس... وأما بعد فلا تطرون احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاية عن الرعية شعبة من الفحق وقلة علم بالامور ففي احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كرم تسديه.

ويمأرباهارة اهتمام خاص بعمارة البلاد وتحقيق الرفاهية والرأفة بالرعية... ول يكن نظرك في عمارة الارض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد وأهلك العباد... فإن شکوا تقللا أو علة أو انقطاع شرب أو بالية أو حالة أرض اغترها غرق أو أحجف بها عطش خففت عنهم ولا يشقون عليك شيء خففت به المؤنة عنهم فانه ذخر يعود به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولا يتيك... إنما يؤتي خراب الارض من إعوار أهلها وإنما يعزز أهلها لشرف نفس الولاية على الجمع وسوء الظن بالبقاء.

احرج الجميع الى الانصاف الطبقة السفل... ثم اتق الله في الطبقة السفل من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتجين واهل البؤس والزمي... فلا تخ شخص هنك عنهم... وتغتصد امور من لا يصل اليك منهم من تقتصره العيون وتحقره الرجال. فان هؤلاء من بين الرعية أحوج الى الانصاف من غيرهم. وتعهد اهل اليم وذوى الرقة

في السن من لا حيلة لهم... أجمل لذوى الحاجات منك قسماً تفزع لهم فيه شخصك  
وتحبس لهم مجلساً عاماً... وتقدّم عنهم جنودك وأعوانك من حرسك وشرطك حتى  
يكلمك متكلّمهم غير متعنّ فاني سمعت رسول الله صل الله عليه وآله يقول: «لن تقدس  
أمة لا يزهد للضييف فيها حله من القرى غير متعنّ» ثم احتمل الحرق منهم والي ونفع عنك  
الصيق والانف.



تساوي القوي والضعف  
في  
نهج الإمام علي (ع) بالحق

الشيخ سليمان يحفوظي

لبنان



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الخلق على غير مثال خلا من غيره، ولم يستعن على خلقها بأحدٍ من خلقه، واحتار آدم(ع) خيرة منهم وجعله أول جيله، وأسكنه أرضه وجعله خليفةً لبعضها بنسله ولبقم الحجة به على عباده.

فساوى بينهم في الخلق عدلاً منه وانصافاً، وأمرهم باتباع الحق حفظاً لهم من التفرق والهشال. وأرسل رسلاً لمعبدوا من أخذوه الكبر على أمثاله من أبناء آدم وأبيه إلى صوابه وينذّكروه منسى نعمة ربه ويستأذوه مبناق فطرته، فقد ساوي سبحانه بينهم في الخلق كماتساوا في المبناق.

### تساوي القوي والضعف في نهج الامام علي(ع) بالحق

نهج الإمام (ع) في التساوي بين الأقوياء والضعفاء في الحقوق من مبدأ التساوي في الخلق. والتغاضل في التقوى. فالمنشأ واحدٌ يتساوى فيه الجميع، والمصير كذلك والدنيا دار ابتلاء وامتحان يميز الله الخير من الطيب وتجزى كل نفس بما كسبت.

وعلى هذا المنوال نسج الإمام عداته وساوى بين الحقوق والواجبات.

وقد ركز اهتمامه على أربع نقاط ليتمكن من ثبيت دعائم الحق ونشر لوانه وحفظه لأصحابه وهي كمالية:

اولاً - عالج الاسباب الداعية للاعتداء

ثانياً - استثار النغوس لتحريرك مواطن الخير فيها لتحافظ على الحقوق تلقائياً

ثالثاً - رسم خطة أسلوبأً عمل لاعادة الحقوق لأصحابها حال الاعتداء عليها.  
رابعاً - باشر شخصياً تطبيق الاسلوب تفيد الخطة فدفع حياته الشريفة ثمن العدالة، وباقها نصراً أبيضاً تحدث به الأجيال وتقديمه الحكاء.  
النقطة الأولى:

الأسباب الداعية للاعتداء على الحقوق.

خلق الإنسان ضميغاً، والضعف مركب نقص فيه يحاول أن يسلمه، يسعى للكمال فيعجزه القصد، - فنال الكمال بعيد ودربه شاق، فيمتلىء حقداً، يأكل الحقد نفسه، فينتصب عدواً لكل معانٍ السمويّة في الحياة.  
ثور نفسه - يغذّيها قيحها المهزون - كلما سمع باسم الكمال أو نسب إلى أحد غيره، ويروح ينتقصن الكامل ويضع للكمال أسماء جديدة تتلاطم وحقده الدفين.  
فاذا رأى صفة كمال تشع من نفس مستضعة، ثارت عصبيته، وهاجت حيّته، وتتجبر كبرياؤه، فليس الحمية، وتسربل المصيبة، وادرع الكبراء.  
كبيراء، وعصبية، وجية! تلك بذور اعتداء القوي على حقوق الضعيف. وضع الإمام يده عليها فأراد اقتلاعها من الجذور قبل أن تستند في الأعماق أو تستعصي في النفوس.

قال عليه السلام:

«فلا يعبروا بما كان من فعل إبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجسيم».  
وكان عبد الله سنة الاف سنة، لا يدرك أمن سبي الدنيا أمن سبي الآخرة. عن كبر ساعة واحدة. فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بملل معصيته؟  
فاحذروا عبد الله عدو الله أن يهدكم بدارنه، وأن يستفزكم بندانه»،

فوضع(ع) يده على الداء، وأحكم له الدواء.  
حرك خلاباً النفس لشفافتها، وناجي خباباً لها لتشد أتونها، واستثار خفاباً لها لتصبح بأعذب الحنان، وتفني نشيد الحرية والأخاء على مسرح العدالة والمساوة، ويصبح دستوراً مقدساً في الحياة، تردد الأجيال أبداً بآداب.

النقطة الثانية:

استئثار النفوس للمحافظة تلقائياً على حقوق الآخرين

يرسم الإمام (ع) النقطة الثانية جنباً رفقتها داخل الإطار فيبعد التصوير،  
فريشه عطاً نفس. وألوانه مذاق قلب. وتصوّره بلاغة لسان.

«فَأَطْفَلُوكُمْ مَا كُنْتُمْ فِي قَلْبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبَيَّةِ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلَيَّةِ، فَاغْرَأْتُكُمْ بِأَنْتُكُمْ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَغَوَّافَهُ، وَزَرْغَانَهُ، وَنَشَانَهُ،  
وَاعْتَدْتُكُمْ بِأَنْتُكُمْ عَلَى رُؤُوسِكُمْ، وَالْفَاءِ التَّعَزُّزِ خَتَّ أَفْدَامِكُمْ، وَخَلَعَ التَّكْبِرِ مِنْ  
أَعْنَاقِكُمْ»

فياطفاء نيران العصبية وأحقاد الجاهلية تقتل نوازع الشيطان وتعمي المرأة من  
الوقوع في حبائله، بينما يرتفع بالإنسان تواضعه مراتب الكمال والعزة. لأن المتكبر تهوي  
به خصاله في واد سحيق من الذلة والمهانة كما يصوّره (ع):

«وَلَا تَكُونُوا كَالْمُكْبَرِ عَلَى ابْنِ أَمَّهُ مِنْ غَيْرِ مَافَهَلِي جَعْلِهِ اللَّهُ فِيهِ سُوءِ مَا أَلْهَفَتُ الْمُعْظَمَةَ  
بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ، وَقَدْحَتِ الْحَمْيَةِ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْمُقْضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي  
أَنْفُهُ مِنْ رِيحِ الْكَبْرِ الَّذِي أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَاوَةِ، وَأَزْرَمَهُ أَكَامَ الْقَاتِلِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»  
فالتكبر يثير روح الحقد والحسد والبغضاء. ويبعث حية الانتقام من الفضائل  
باقناء شخص حاملها.

بينما التواضع يرفع صاحبة إلى مقام المتكبر الجبار ليستمد منه القوة، وبخمي به  
ضعفه، فيزيد أذاؤه كمالاً ويعودية ليجر ضعفه ويسد نقصه، ويفترق التكبر عن التواضع  
في وحدة المهد، واختلاف المسير.  
فذايستر ضعفه ويسد نقصه بالتماس القوة والمعونة من مالكها، فيذل له نفسه  
ويتواضع طلباً للقوة والكمال.

وذا يتکبر ويتجر وينازع مالكها سلطاته ليس نقصه وضعيه، فيهوي في حنادس  
الليل البييم، وظلام الجهل المقيد.

«أَلَا وَقَدْ أَمْعَنْتُ فِي الْبَغْيِ، وَأَفْسَدْتُ فِي الْأَرْضِ، مَصَارِحَةً لِلَّهِ بِالْمَنَاصِبِ، وَبِمَارِزَةِ  
لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمَهَارَبَةِ».

فألا، الله! في كبر الحمية وفخر الجاهلية، فإنها ملافع الشنان، ومنافع الشيطان التي  
خدع بها الأمم الماضية»

فالاجتناب عن هذه المزالق يوصل إلى بنى النفس ويرفعها إلى أعلى مرقق من الشعور  
الإنساني، ملتحقة بالرجل الأول الذين بلغوا السماء رفعة ومجدًا بتواضعهم ومقارنتها تهوي بها  
(خلاف رغبتها وتسرّكها تختبط) في ملافع الشنان ومنافع الشيطان.

«ألا فاختذوا الجذر من طاعة ماداتكم وكباراً من الذين تكبروا على حسيبهم، وترفعوا فوق نسبهم، وألقوا الهجينة على رؤسهم، وواجهدوا الله على ما صنعوا بهم. مكابرة لقدهاته وسفالة للامنه، لإيمان قواعد أساس العصبية، ودعائم أركان الفتنة، فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكرين من فلكم من بأس الله وحصانته».

فالمستكرون نازعوا الله سلطانه وألقوا الهجينة عليه وزماماً مدخلاً لهم ومتناقضتهم بآلامه والماكبة فأداقتهم لباس الذلة والخوف ورمي بهم في عذاب شديد.

وأما المتساوون فكانوا خيرة الله يسمونهم ضعفهم إلى قربه وبخلهم العمل الأعلى بمنتهى ایستبدون منه قوتهم، ويجبرون به ضعفهم، ويرفعون بخوضوعهم استضفافهم، والاستضعفاف يلجن النفس لركن حريري وملاذ أمين، وهكذا كان أنبياء الله.

«فلور شخص في الكبر لأحد من عباده، لرخص فيه خاصة أنبيائه وأوليائه، ولكنه سبحانه كرمه إله التكابر، ورضي لهم التواضع، فألسقروا بالأرض خطودهم وعفروا في التراب وجوههم، وخفقوا أججتهم للمؤمنين، وكانوا قروءاً مستضعفين»

فبلغوا باستضفافهم غاية القوة، وأسماي الرفة فهم يستمدون قوتهم من نبع فياض لا يدرك غزوه، ولا يعرف عمقه، ولا تبلغ غايتها، كلما اخترف منه تفجرت عيون، وكلما أخذ منه زاد تدفقاً.

وتزداد قوة الأنبياء والأولياء كلما ازدادوا استضعافاً وخشوعاً وتذلاً.

و«اللقد دخل موسى بن عمران ومعه أخيه هارون(ع) على فرعون، وعلىها مدائع الصوف. وبأيديها المصي، فشرط له إيان اسلم. بقاء ملكه ودوم عزه. فقال: لا أتعجبون من هذين بشرطان لي دوام المزوبقاء الملائكة ما يأترون من حال الفقر والذلة، فهلا ألقى عليها أسوارة من ذهب»

فجعل الذهب المعيبان والإنسان المحسوب، وفاته أن الإنسان عصوب روحي معياره القيم، ومتى قيس بغيرها أصبح عرضاً (يقارن بالأوزان والمكاييل) شأن عاصيل الأرض والزروع والضرور.

«ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه حيث يعنهم أن يفتح لهم كنز الذهبان، ومعادن العقبان، ومحارس الجنان لغسل. ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء. ولكن الله سبحانه جعل رسالته أولي قوة في عزائمهم، وضعة في مأتمي الأعين من حالاتهم. مع فتاعة تملاً القلوب والعيون غنى»

فلو كانت المقايس كلها بالمعايير لاضمحلت القيم وتبدل المفاهيم وانقلب الإنسان منكوساً، فقدت الأسماء معاناتها والسميات مدلولاتها.

ولغداً الارتباط مادياً عصاً مصدره الرهبة وغايتها الرغبة. وأما القيم الروحية التي تغذى النفس بلذة التأمل وخشنع الاستسلام وراحة الاستكانة لله فلا رابط لها بل لا وجود لانعدام معايرها المادية.

ولكن الروابط الروحية أمنٌ من الروابط المادية. وعلاقة الروح بعدها لا تنفص وخطوط إمدادها وتغذيتها لا تنقطع ولو قطعت جميع العلائق المادية والارتباطات الأرضية فروابط الانبياء والأولياء هي العزائم والأرواح لالنفاثات والأشباح.

فـ«الوكان الانبياء أهل فورة لا تزام، وعزّة لا تضام، وملك تملّه الاعناق، وتشد إليه عقد الرحال، لكن ذلك أهون على الخلق في الاعتبار، وأبعدهم في الاستكبار، وألهوا عن رهبة قاهرة لهم. أو رغبة مائلة لهم، فكانت النيات مشتركة، والحسنات مقسمة»

وهذه الروابط المادية تتقطع بانقطاع مصدرها وتزول بزوال مادتها.

وأما العلاقات التي لا تنفص هي العلاقات الوثيقة المبنية على الضعف المطلق من جانب القوة المطلقة في الجانب الآخر، وال الحاجة المستمرة من جهة، والعطاء المتواصل في الجهة الثانية.

«ولكن الله سبحانه أراد أن يكون الانبعاث لرسله والتصديق بكيفيه، والخشوع لوجهه، والاستكانة لأمره والاستسلام لعلاته، أمورٌ خاصة لا تتوها من غيرها ثانية، وكلها كانت البلوى والاختبار أعظم. كانت التوبة والجزاء أجزل»  
مناجاة نفس تحبلها تذوب شوقاً

### النقطة الثالثة

#### خطة العمل لأعادة الحقوق لأصحابها

تبني خطة عمل الإمام (ع) على أربعة أمور وهي : مقدمتان ونتيجة، وأسلوب المقدمة الأولى : تساوي الناس في الخلق

المقدمة الثانية: تساويمهم في الحق  
النتيجة : وجوب المحافظة على جميع الحقوق  
الاسلوب: يوحذ الحق بالقهر آخر المطاف.

#### المقدمة الأولى:

«أنشأَ الخلق إنشاءً، وابتدأَ ابتداءً جمع من حزن الأرض ومهلاً وعدها وبسخها ثرية

ستُها بالماء . فجبل منها صورة ذات أحناه ووصول ... ثم تفخ فيها من روحه فُثُلت إنساناً ذات أذهان يحيط بها، وفكراً يتصرف بها . ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل . وأهبطه إلى دار البليلة وناسل الذرية<sup>١</sup>

فيبدأ الخلق كان بالخلق الأول صاحب الذهن والفكر والمعرفة التي يفرق بها بين الحق والباطل فيصدر أوامره للجوارح فتتمثل أمره ذاته إلى ما يريد وعلى هذا المنوال تكاثرت البشرية وتعاقبت ل تستكمل تحقيق خلافتها على الأرض .  
وبعد الانحراف في النفوس المريضة فتصدت له مسيرة الأنبياء لتعيدهم إلى صوابهم .

«واصطن سبعاته من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميناهم ، وعلى تبلغ الرسالة أهانتهم ، لما بدأ أكثر خلقه عهداً الله إليهم فجهلوا حفته ... فبعث فيهم رسلاً ، ليستأذوهم مثاق قطرن»<sup>٢</sup>

فالمبموثون متساوون مع المبعث إليهم في الحقوق والواجبات ولكنهم أشد عزوة وأقوى مضاء في الحافظة على الحق والميثاق .

## المقدمة الثانية

### تساوي الناس في الحق

الحقوق متبادلة بين الله والناس وبينهم بعضهم بعضاً  
يقول (ع) في الحقوق بين الله والناس :

«أوصيكم بتقوى الله ، فإنها حق الله عليكم ولوجة على الله حكمكم ، وأن تستعينوا عليها بالله ، وتستعينوا بها على الله»<sup>٣</sup>

أما الحقوق المتبادلة بين الناس بعضهم بعضاً فهي من أعظم الحرمات التي تحجب رعايتها لأنها حياة المجتمع وبقاوه ودوامه ، فإذا هتك حرمتها انتكس المجتمع وأصبح في النزع الأخير .  
يقول (ع) :

«ثم جعل - سبحانه - من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس عن بعض ، فجعلها

١. خطبة - ١.

٢. خطبة - ١٩١.

تتكافأ في وجوهها ويوجه بعضها ببعض، ولا يسترجب بعضها البعض»<sup>١</sup>

فالحقوق بين الناس متساوية متبادلة، لا يحفظ حق إلا بأداء واجب، ولا يؤدي واجب إلا باعطاء حق، «ومن قضى حق من لا يقضى حقه فقد عده»<sup>٢</sup> مخروجه على نظام تكافؤ الحقوق وتساواها.

«فالحق أسع الأشياء في التواصف، وأضيقها في التناصف، لا يجري لأحد إلا جري عليه، ولا يجري عليه إلا جري له».

فالحق في التناصف لا التواصف ولا يكون إلا بالتبادل حتى تستقيم الأمور وينظم الوجود، وأعظم الحق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي، «فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاية، ولا تصلح الولاية إلا باستفادة الرعية. فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وأدّى الوالي إليها حقها فـ«الحق بينهم... واعتدلت معاملة العدل... فصلح بذلك الزمان، وطبع في بقاء الدولة، ويثبت مطاعم الاعداء»

فتتبادل الحقوق المتساوية. حياة المجتمع ود Hammam الامة، وازدهار الدولة بينما الاجحاف بهاموت المجتمع واحلال الفوضى والفساد وتحكم الأشرار، «وإذا غلبت الرعية واليها وأجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجحود، وكثُرت على السقوس، فلا يستوحش لمعلم حق عطل، ولا لمعلم باطل فعل! فهنالك تذلل الأبرار وتغز الأشرار»

#### النتيجة :

وجوب المحافظة على جميع الحقوق.

لما كانت الحقوق متساوية فلا يجري لأحد حق إلا جري عليه حق (عليه) ومتبادلة كذلك فلا يجري عليه حق إلا جري له حق. فالاحتفاظ بعدالة الحياة وحياة العدل هي التقابل بين الحق والحقن والتبادل بينهما فلا يُنزع حق إلا بإعطاء حق ولا يعطي حق إلا بأخذ حق، ويكون التساوي بين الحقوق والواجبات نسبي الحياة الدائمة وليقاوه إيقاف الدورة الدموية عن الجريان بعروق الأفراد، وبذلك يموت المجتمع وتسيطر معالم الجحود ويكثر

<sup>١</sup> خطبة ٤١٩.

<sup>٢</sup> حكم ١١١.

الفساد من عزة الأشرار وذلة الأبرار.

فوجوب المحافظة على جميع الحقوق شريان الحياة (الذي يضخ القلب به الدماء الطازجة المتداولة) بين الحق والواجبات.

«فعلمكم بالتناسع في ذلك وحسن التعاون عليه، فليس أحدٌ يبالغ حقيقة ما الله سبحانه عنه أهل من الطاعة له»

«ولكن من واجب حقوق الله على عباده، النصيحة ببلغ جدهم، والتعاون على إقامة الحق بينهم، وليس أمرٌ بفوق أن يعan على ما حمله الله من حقه»

فتجب المحافظة على الحقوق ليبق شريان الحياة ينقل الدماء لجسم الأمة وقد أخذها الله ميثاقاً بين أفرادها كما يقول(ع):

«وَمَا أَخْدَدَ اللَّهُ عَلَى الْعِلَمَاءِ أَلْبَارَوا عَلَى كَفْلَةِ ظَالِمٍ وَلَا سُبْتَ مَظْلومٍ»<sup>١</sup>

فواجب العلماء المحافظة على تبادل الحقوق والواجبات حتى يستمر رفق الحياة بسرى في أوصال الأفراد. فإن إقرار العلماء وعاباتهم الظالم قطع مادة الحياة عن المظلوم وألقاؤه، وخيانة حقوق الله وميثاقه.

## الأسلوب

اسلوب استنقاذ الحقوق لأصحابها من مقتضياتها يتدرج من مرحلة معالجة أسباب الاعتداء، إلى علاج الانفس وإثارة منابع الخير فيها لتغلب إرادتها دواعي الشر، ومع عدم جدوى ذلك فلابد من حسم الأمر بنفس الاسلوب الذي سبب الاعتداء على حق الآخرين.

فالظالم إنما ظلم بفضل قوته على المظلوم، جاعلاً منها معياراً يفرق فيه بين الحق والباطل، فاستطاعه حق، وما عجز عنه باطل، ولن يتنازع عن ظلمه ظالماً يجد لا استئصالها سبيلاً.

فاستنقاذ الحق منه في مثل حاله من أصعب الأمور مشقة وأشدّها خطورة اذ لن يتراجع عن اعتدائه إلا بقوة اعظم ترغمه على ذلك وهذا يقع التصادم وتثال دماء.

قال (ع):

«إن أحق الناس بهذا الأمر أقوامه عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شفب شاغب

استحب، فإن أبي قرون<sup>١</sup>

فالقوة كيما تعمد للاعتداء تسرخ لدفعه لأن الشاغب يستحب والسيف يلمع فوق رأسه، فإن أبي فضريه<sup>٢</sup> تعيد الحق لنصابه، وتردّ الظالم لصوابه.

«وَإِنَّمَا الْلُّوَاءُ لِأَطْهَافِنَّ الظَّالِمِ مِنْ ظَالِمٍ، وَلَا يُقْدِرُ الظَّالِمُ بِعِزَّتِهِ حَنْ أَوْرَدَهُ مَهْلِكَ الْحَقِيقَةِ<sup>٣</sup>  
وَإِنْ كَانَ كَارِهًّا<sup>٤</sup>»

فلaculaة إلا للحق ولا ذلة إلا للباطل.

فـ«الدليل عندي عزيز حق آخذ الحق له والقوى عندي ضعيف، حق آخذ الحق منه»<sup>٥</sup>

لقد عاد المعيار هو كما كان، والقوة تخدمه، وهوت المعاير الباطلة المستندة على القوة وهي الباطل في قدر سحيق إثر طعنها بخلافه أخرجت الحق من خاصرة الباطل.

«وَإِنَّمَا اللُّوَاءُ لِأَطْهَافِنَّ الظَّالِمِ حَنْ أَخْرَجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ<sup>٦</sup>

ثم أتبعه حق أعيده كما كان

«وَاللَّهُ لَوْ وَجَدَنِي قَدْ تَرَوَّجَ بِهِ النَّاسُ، وَمَلَكَ بِهِ الْإِمَامُ لِرَدَدَتِهِ، فَإِنِّي فِي الْعَدْلِ سَعَةٌ، وَمِنْ

طاقِي عَلَيْهِ الْعَدْلُ، فَالْجُورُ عَلَيْهِ أَسْقِيقٌ»<sup>٧</sup>

خطبة صارمة عادلة لا يمكن لسوها أن تعدل الموازين، فعندما يستضعف الحق يستطلع الباطل بقوته ويختزنه في جوفه، فيغدو رهين قوة مختزنة، ولا يمكّن إسارة إلا طعنها تقرّ بطن الباطل لتُخرج الحق من رهانه الخنزيرين، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق. إذ أن ظلمه قوياً ستشعر بباب الظلم أمام غيره ليغدو مظلوماً ضعيفاً، فليست القوة الظالمة وقفاً عليه، وانتقاماً لغيره سيجيشه مستضعفًا يرسف بضيق الجور الذي سنه نظاماً للحياة.

في العدل سعة العالمين، والباطل يضيق عن غير ذوى البطش والجبروت.

«فَلَمَنْ أَمِرَ الْبَاطِلُ أَقْدِيَ قَلْ، وَلَنَقْ قَلْ الْحَقَّ فَلَرَعَا وَلَعَلَّ»<sup>٨</sup>

فالحق لن يستعاد بالأمني والدعوات طالما صمت آذان الظالمين، وإنما السيف هو

١- خطبة -١٧٣.

٢- كلام -١٣٩.

٣- كلام -٣٧.

٤- خطبة -١٠٤.

٥- كلام -١٥.

٦- كلام -١٦.

الحكم العدل في إمارة المفسدين.

«فَانْأَبُوا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السِّيفِ وَكُنْ بِهِ شَافِيًّا مِنَ الْبَاطِلِ، وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ»<sup>١</sup>  
 وَانْ نَبَا السِّيفُ، فَالْحَقُّ لَا يَخْضُعُ، وَانْ أَخْضَعَ فَهُوَ لَا يُسْتَدِلُّ، وَانْ اسْتَدَلَ صَرْعٌ  
 وَانْ صَرْعٌ أَهْلُكَ فَاهْوَى بِالصَّرْعَوْ إِلَى النَّارِ  
 «مِنْ صَارِعِ الْحَقِّ صَرْعَهُ»<sup>٢</sup> وَ«مِنْ أَبْدِي صَفْحَتِهِ لِلْحَقِّ هَلْكَهُ»<sup>٣</sup> «وَمِنْ أَكْلِهِ الْبَاطِلِ  
 فَإِلَى النَّارِ»<sup>٤</sup>

وَانْ تَكَالَبَتِ الْأَكْلَةُ عَلَى الْحَقِّ، فَلَنْ تَجِدْ شَافِيًّا إِلَّا مُسْحَّ السُّوقُ وَالْأَعْنَاقِ.  
 «أَضْرَبَ بِالْمَقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ، الْمَدِيرُ عَنْهُ، وَبِالْمَاجِعِ الْمَطِيعُ، الْمَاعِصِي الْمَرِيبُ أَبْدَأَ حَقِّ  
 يَأْتِي عَلَيْيَ بِوْمِي»<sup>٥</sup>  
 غَيْرُ هَيَابٍ مِنْ ضَلَالِهِمْ وَتَكَالِبِهِمْ عَلَى الْبَاطِلِ وَلَوْ مَلَأُوا الْأَرْضَ عَدَا وَالْجَبَالَ جَنَدًا  
 فَالْحَقُّ أَنْسٌ وَحْشَتِي وَمَصْدِرُ فَوْقِي وَنَصِيرٌ وَحْدَتِي.  
 «أَلَا وَمِنْ أَكْلِهِ الْحَقِّ فَإِلَى الْجَنَّةِ»

«إِنِّي وَاللَّهِ لَوْلَقْتُهُمْ وَاحِدًا وَهُمْ طَلَاعُ الْأَرْضِ كَلَّهَا مَا تَابَتْ، وَلَا سَوْجَشَتْ، وَلَوْلَى مِنْ  
 ضَلَالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، وَلَهُدِي الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعْلَ بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَبَقِينَ مِنْ رَبِّي»<sup>٦</sup>  
 فَعَلَامُ التَّخَاذِلِ وَالْحَقُّ أَنْسِيسٌ وَنَصِيرٌ وَشَفِيعٌ؟ وَلَقَدْ حَدَثَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص)

فَقَالَ:

«بِئْرُنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَانِزِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَذْرٌ فَبِلَاقٍ فِي نَارِهِمْ، فَيَدُورُ فِيهَا  
 كَمَادُورُ الرَّحْنِ مِمَّا يَرْتَبِطُ فِي قُرْبَهَا».<sup>٧</sup>

#### النقطة الرابعة

##### ممارسة الأسلوب

«وَاللَّهِ لَأَنْ أَبْيَطَ عَلَى حَسْلِ التَّعْدَانِ مَهْدَأً أَوْ أَجْرًًا فِي الْأَغْلَالِ مَصْفَدًا، أَحْبَ

- ١- خطبة - ٢٢٠.
- ٢- حكم - ٤٠٨.
- ٣- حكم - ١٨٨.
- ٤- رسائل - ١٧.
- ٥- خطبة - ٦.
- ٦- رسائل - ٦٢.
- ٧- كلام - ١٦٤.

إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيمة ظالماً لبعض العباد، أو غاصباً لشئ من  
الخطام»<sup>١</sup>

تشبع ممارسة الاسلوب من إيمان عميق في النفس، وشعور حاضر باستمرار  
ويترجم الإيمان عملاً، والشعور التزاماً، والمجموع نظام حياة.  
ويتنصب عماد الحق معتمداً على أركانه الثلاث. إيمان وعمل والتزام.

«والله، ما أحكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأنهاهى  
قبلكم عنها»<sup>٢</sup>

ويغدو نظام الحياة يعيك بنفس المنوال، فتخصف نعلع عيقة غير ذي قيمة  
بمخزى الحياة الخالدة التي ترفعها فوق قيمة الحياة الامرة المتسلطة.

«والله لهم أحب إلي من إمانتكم، إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً»<sup>٣</sup>

ويصبح القائد العامل والقدوة، فتتساقط العاملون دون عمله، ويقتصر المقتدون  
عن اللحاق به ودائماً يرتفع العظماء حتى تضيق العظمة عن استيعابهم فتترشّف  
بالانتساب إليهم وينتعصبون مقاييسها.

«ألا وإن لكل مأمور إماماً، يقتدي به ويستحضر بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى  
من دنياه بعمره، ومن كل شيء بفرصه. ألا وإنكم لا تقدرلون على ذلك ولكن أعينوني  
بفتح وجهات، وعلمه وسداد»<sup>٤</sup>

وترتسم الخطى أسلوباً يضيئ معلم الطريق. وكان عهدها أن الأسلوب طريقاً  
يهدي معلم الحق.

لقد أصبحت الخطى مناراً يضيئ طريق الحق إذا درست معالله، وأصبح كل  
واحد منها يدل على صاحبه:

«فلي مع الحق، والحق مع علي، يدور معه حيث دار»  
فتقى افتقدنا واحداً اهتدينا إليه بالآخر فهذا جسد وروح وفي عالم الأحياء  
لا يفترقان.

«هيات أن يلتقي هواي، وبفؤدي جسمى إلى غير الأطعمه  
ـ ولعل باللحاظ أو اجامة من لاطمع له في القرص ولا عهد له بالثنيج».

-١- كلام -٢٢١-

-٢- خطبة -١٧٥-

-٣- خطبة -٣٣-

-٤- رسائل -٤٥-

«وَأَنْمِيَ اللَّهُ - بِعِنْدِهَا أَسْتَفِي فِيهَا بَعْشَيْةَ اللَّهِ - لَأَرْوَحَنِي رِيَاضَةَ نَوْسِيَّةِ مَهَا إِلَى الْفَرَصِ  
إِذَا قَدِرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُومًا، وَتَقْعِي بِالْمَلْجَ مَأْدُومًا»  
ومفسى الحق يشق طريقه الكفود وسط عجاج الباطل التائه، يعني آثار الحق  
ويمحو معالمه حتى استتمكن منه وحيداً يعزوه الناصر ويعذله المعين.

### جهاد الحق

«لَا يَحْمِلُ هَذَا الْقَلْمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّرْ وَالْمِلْمَ بِوَاضِعِ الْحَقِّ»<sup>١</sup>  
استفرد الحق في ساحر الجهاد، فاستلام السعادة بعيداً عن الجناء، فلقد خذل  
النصير وفارق الحريم وخان الرحم، وأشار المستضعفون برأي الاستضعاف.  
وانتفض الحق مزجراً كاللبيث المتصور ليتمحور حول نفسه، ويجمي عرينه الذي  
لا يضم. ويسفه رأي الاستضعفاف الذي يوثر السلامة والراحة على حساب الحقوق  
المشروعة.

«أَقْمَرْنِي أَنْ أَطْلَبَ النَّصْرَ يَأْجُورَ فِينَ وَلِيَتْ عَلَيْهِ  
وَاللَّهُ لَا أَطْلُرُهُ مَا تَسْتَرَ سَبَرُهُ، وَمَا أَمْ نَحْمَ فِي السَّاهِ نَحْمَا»<sup>٢</sup>  
فسوح الجهاد أبواب الجنان وهي أروى للغليل، من الخضوع للاستكبار، فلن  
اجتنبها طليباً للراحة سيم خسفاً وذلاً وصفاراً. وقضى اليامه تعباً ومشقة وشماراً.  
فلراحة أصاب، ولا خطاً أدرك، وأليس ثوب الذل والقيادة شأن كل النفوس  
الضعيفة.

وتعالت النفوس الكبار تسمو بالحق لمداره فدار يتمحور حولها إذ غدت وحدها  
المحور.

«إِنَّا أَهْلَكْنَا مَنْ كَانَ فِي لَكُمْ أَنْهِمْ مَنْعَاهُ النَّاسُ الْحَقِّ فَاشْتَرُوهُ، وَأَخْذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ  
فَاقْتُلُوهُ»<sup>٣</sup>

«إِنَّ الْحَقَّ تَقْبِلُ مَرِيٌ وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَفِيْهِ»<sup>٤</sup>  
وانطلق صوت الحق يدوي بعيداً في الافق (إذا شاهد مظلوماً يغضبه وحيداً، من  
أحب البلاد إليه إلى أبيغضها لنفسه) معلناً أن الاختهاد والنفي والإبعاد ليست  
مقاييس السعادة والوحشة فالسعادة سرور نفس، والوحشة ظلمتها، ولا ظلم نفس

تسمع بالحق، ولا تسعد نفس تخبط في ظلمات الباطل.

«فأترى في أيديهم ما ياخذونه عليه. واهرب منهم بما ياخذونه عليه... لا يؤمنك إلا الحق ولا يوحشنا إلا الباطل»<sup>١</sup>

فيزان الانس هو الحق ولو في الغربة والوحدة، والباطل وحشة في الأوطان.

«إما الناس لا تستوحشوا في طريق المدى لفلة أهله»<sup>٢</sup>

فإن الناس قد اجتمعوا على هاندة شتمها فغير وجوهها طوبى»

وقد فاتهم ما يخبيء لهم الدهر من ثأر وانتقام إذ:

«يوم العدل على العالم أشد من يوم الحور على المظلوم»<sup>٣</sup>

«فوالذي لا إله إلا هرئيف على جاذبة الحق، وإنهم على مزلة الباطل»<sup>٤</sup>

فلم يجد بدأً من الاحتفاظ بمحور الحق في مدخلمات الظلم كيلا ينفصل قطب البشرية عن رحاما.

«أفت لكم هل سُنَّ الحق في جواد التهْلِكَةِ، حيث تلتقطون ولا دليل، وتخليرون ولا تُمْلِيُون»<sup>٥</sup>

ولم يترك الباطل للحق مجالاً، فقد ضيق عليه الخناق متحفزاً لالتهامه، ودار الحق حول نفسه يرتأي بين الصول بيد جذاءَ والصبر على طغية عمياء مسترسلاماً في تفكير عميق فلم يسعه إلا أن يصول:

«ولقد ضربت أنت هذا الْأَمِيرَ وعيته، وقلبت ظهره وبطنه، فلم أرِ فيه إلا الفتان أو الكفر»<sup>٦</sup>

لقد بلغ السبيل الرزى. وأخذت على الحق مصالكه فلم يبق سوى حد السيف شافياً.

### استشهاد الحق والعدالة

«ألا وإن الشيطان قد ذُئْرَ حزبه واستجلب جلبه ليعود الجوز إلى أوطانه، ويرجم الباطل إلى نصابه»<sup>٧</sup>

- ١٣٠-. كلام.
- ٢٠١-. كلام.
- ٣١١-. حكم.
- ١٩٧-. كلام.
- ٦-. خطبة.
- ١٣-. كلام.
- ٢٢-. خطبة.

لقد حدد الحق موقنه من الأحداث فقال:

«وَاللَّهُ لَوْ أَعْطَيْتِ الْأَقْرَبَيْمُ السَّبْعَةَ عَا نَحْنَ أَفْلَاكُهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي مَلَكَةِ أَسْلَابِهَا  
جُلْبَ شَعِيرَةَ مَالْفَلْتِ»<sup>١</sup>

وحدد الباطل موقنه فقال:

إِنَّ اللَّهَ جَنِدَهُ مِنْ عَسْلٍ

وتهافت الذباب على العسل مسموماً تهافت على الجيفة النتنة  
«وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأُوهُ، وَسَيِّدُوهُ وَوَكِّهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أَشَوَّهُ،  
فَهَرَبُوا إِلَى الْأَرْقَةِ فَبَعْدَ أَنْ هَمَ وَشَحَّهَا»<sup>٢</sup>  
«إِنَّهُمْ - وَاللَّهُ - لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جُورٍ، وَلَمْ يَلْعَفُوا بَعْدًا»<sup>٣</sup>

واستصرخ الحق جنده فتخاذلوا واستثاروا الباطل أعنانه فبادروا من كل صوب  
وحذب.

«عَالَى أَرَاكُمْ أَشْبَاحًا بِلَا أَرْوَاحَ، وَأَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاحَ، وَنَسَاكًا بِلَا لَصَاحَ وَلَبِّا طَائِنَّهَا،  
وَنَاظِرَةَ عَبَاءَ، وَنَاطِقَةَ بَكَاءَ  
رَابِيَّهُ ضَلَالٌ قَدْ قَامَتْ عَلَى قَطْبِنَا نَكِيلُكُمْ بِهَا عَهْدَهَا، وَخَبَطُكُمْ بِيَا عَهْدَهَا، فَانْدَهَا خَارِجٌ عن  
الْمَلَكَةِ، قَامَ عَلَى الْهِبَلَةِ، فَلَابِقٌ مِنْكُمْ بِوْمَنِي إِلَانَفَةَ كَثْلَةَ الْقَدْرِ، تَمَرُّكُمْ عَزْلَهُ  
الْأَدِيمِ، وَنَدَوْسَلُمْ دَوْسَ الْحَسِيدِ»<sup>٤</sup>

لقد صمت الآذان وعميت الأبصار وران على قلوبهم ما كانوا يكبون  
«فَعَنِدَ ذَلِكَ أَخْذَ الْبَاطِلَ مَأْخِذَهُ... وَغَلَظَتِ الْعَاطِغَةِ وَصَالَ الدَّهْرَ صَبَانَ الشَّيْعَ  
الْمَقْوُرِ، وَتَوَاهَنَ النَّاسُ عَلَى الْفَجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَخَابُوا عَلَى الْكَيْبِ،  
وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصَّدْقِ.  
وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذَنَابَاً. وَسَلَطَيْهِ مِبَاعَةً وَأَوْسَاقَهُ مَكَالَةً، وَفَقَرَأَهُ أَمْرَانَا. وَغَازَ  
الصَّدْقَ وَفَاضَ الْكَيْبَ... وَصَارَ الْفَسْرُقُ ثَسَباً، وَالْعَفَافُ عَجَباً»<sup>٥</sup>  
وبي الحق يصول ويجهول، وينتسب الباطل في نصب الحبائل والكائنات له.  
«فَدَأَعْدُوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا وَلِكُلِّ فَاثِمٍ مَانِلًا، وَلِكُلِّ حَيٍّ فَاتِلًا وَلِكُلِّ بَابٍ مَفْتَاحًا،  
وَلِكُلِّ لَبِلٍ مَعْبَاحًا»<sup>٦</sup>

١- كلام - ٢٢١.

٢- رسائل - ٧٠.

٣- خطبة - ١٠٨.

٤- خطبة - ١٠٩.

٥- خطبة - ١١١.

«فليا هجباً! هجباً... والله... يحيى القلب وغسل المم من اجتماع هؤلاء القوم على

باطلهم، وتفرقكم عن حقكم»<sup>١</sup>

واستنكر الحق «فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيهَا تُنْكِرُونَ»<sup>٢</sup> واستعیض عنه بالباطل وقد عيّنا فعل

وأصبح الحق غريباً في أوطانه

«والذى نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن

لأنسراهم إلى باطل صاحبهم، وإبطالكم عن حق»<sup>٣</sup>

وازداد أنصار الحق تخاذلاً وإبطاء وتفرقًا حتى شنت عليهم الغارات وملكت عليهم الأوطان وحاول الحق النوروض بلا جناح فسقط كصاحب الجناح المهيض.

عاد يؤاسي جراحه بكبريائه المهدود:

«ولقد أصبحت الأمم تحاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيبي»<sup>٤</sup>

فنفسه تتمزق حسرات، كتمزيق الحق نفسه، فيها صنوان لا يفترقان.

وللإصلاح مجال ولكنه مشوب بمحاوزة الحق وهيئات أن يرتفع الحق بجرثومه فساده  
«كنا نقش الشوكة بالشوكة، وهو يعلم أن ضلعها معها»<sup>٥</sup>

«الذليل والله من نصرتهمه... وإلى لعام ما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكن لا أرى

إصلاحكم بإفساد نفسي»<sup>٦</sup>

أبي له كبرياؤه أن يتنزل لحظة عن رفع منزلته وبمحكم الابد.

«فالملايا في موتك قاهرٍ، والموت في حياتكم مقهورٍ»<sup>٧</sup>

واستحب ضياع النفوس الموت في الحياة على الحياة في الموت فرفضوا عيشة الذل  
والهوان وتفرقوا عن الحق أيدى سبا.

«وأشكركم على جهاد أهل البغي فما آتى على آخر فولى حتى أراكم متفرقين أيدى  
سبا»<sup>٨</sup>

ولم يبق سواه غريباً في أرضه وممضطهداً في أوطانه فاختار الحياة في الموت القاهر  
والختلود في الوطن الشادر.

١- خطبة ٧٧.

٢- خطبة ٨٧.

٣- خطبة ٩٧.

٤- خطبة ٩٧.

٥- خطبة ١٢١.

٦- كلام ٦٩.

٧- خطبة ٩٧.

## الرجل

«يا اشقاء الرجال ولا رجال!..

لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة - والله، جرت ندماً...  
قاتل لكم الله؟! لقد ملأتم قلبي قيحاً وشنعتم صدرى غيطاً وجرعتموني ثقب التهام  
أنفاساً، وأفسدتم على رأسي بالعصيان والخذلان»<sup>١</sup>

بعد هذه الحرققة الميتة، والغرابة المقيمة، لاما مقام لتباعدين ولا جوار المتنافرين  
وانتحى كل ينشد وطنه، واستحث الحق خطاه مستعجلة ساعة الوصول، وقاراً  
الباطل يتخطى في ديجوره.

«اللهم إني قد مللتكم ولطفت، وسمتمون وشموني - فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي  
شراً مني، اللهم بث فلوتهم كما يابات الملخ في الماء.  
أما والله لوددت أن لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم.

**هناك لودعوت أشاك منهم فوارس مثل أرمية الحممب»**

وارتحل الحق وحيداً في رحلته، سعيداً بأداء مهمته. مختلفاً بنوره المعطاء في عقول  
الرجال لما لم تسعها الأرض، متنتظرًا ايناعها بعد تفريغه،  
وما أسرع ماتفاعلت الأفكار ولبت نداء الحق، تحولت نطفاً تتغنى نداءه وتنمو  
على لبانه، وانطلقت كالمارد الجبار بهدر ويزار ويزغر

لبيك داعي الله، لبيك  
لقد أجيئ دعاوك فأبدلت خيراً من سمنت  
وأعطيت فوق ما طلبت

وددث ألف فارس من بني فراس بن غنم  
فلبائ عشرة ملبيون كلهم غنم مثل أرمية الحمير بهدون بصورت واحد  
كالصواعق: الله اكب الله اكب

قادهم ابنك الذي عاش محنتك فاللزم خطك «كأني بقوم قد خرجوا بالشرق  
يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيفهم على

عواتقهم، فيعطون ماسأله فلا يقبلونه حتى يقموها. ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم فتلهم شهداء. أما إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»<sup>١</sup>



١- من أبي جعفر(ع): الفتنية التمانية



# المرأة في الإسلام ومن خلال نهج البلاغة\*

الأستاذ لبيب بيضون

سوريا

\* هناك تعليقات للعلامة السيد جعفر منظري على هذه المقالة، أشير إليها  
 بالأرقام، ذكرناها في آخر المقال.



## الاهداء

الى من دك عروش الطاغوت والكفر، على أنقام الفتح والنصر.  
الى من طارد فلول الباطل والضلالة، ليبقى صرخة اليمان والكمال.  
الى باعث الأجداد، بالهم الشداد، على طريق الحق والسداد.  
الى أمين الأمة، وامام الكلمة.

روح الحق ورحماته، ورحمته ورضوانه  
(روح الله الخمبق)

الى رجال الحرب والجهاد، ودعاة العزة والحرية والرشاد، من أتباع علي والسبطين  
والسجاد، وأبي ذر وعمار والمقداد، الى البوتان الصامدات، والشريفات الفاضلات.  
حفيّدات فاطمة الزهراء، وزينب الكبرى، عقبة الماشييات، اللواتي شيدن  
حيداً للخلال والخلاص، في نفوس الشبان والاطفال، حتى قدموا للحياة الرجال  
والأبطال، ودفعوا بالليوث الى الوغى والأشبال، فلقتوا دروس الكراهة للاجيال،  
وأحيوا في القلوب جذوة الامال، الى من كُنَّ أحد أسرار انتصار الثورة الاسلامية في  
ایران، لأن الشعب من تربية الامهات يكتسب العقيدة والاعيان، كما ينطبع بمبادئ  
الشجاعة والبطولة أو الاذعان.

الى المرأة المسلمة التي تقدمت امام الرجال في الميدان تحطم سداً امبراطورية  
الطاویحة صاحبة السلطان، فأقرست بنهايتها مباديء العز لكل بني الانسان، حتى سارت  
بصيتها وأعمالها الحالدة الرُّكبانَةَ قدمت وما زالت تقدم للمجد مواكب الشجعان، لم يرِ  
الكونَ مثلهن فداءً ولا رأى التقلان.

الى شهداء الصدق الذين لم يسبقهم الى الحق إنس ولا جان، آثروا الموت ليبق الدين والاسلام راسخ البنيان، واستجابوا لنداء الله خالق اليرايا والاكون، الرحمن عالم القرآن، خلق الانسان، علمه البيان، الذي خلق الارض، ورفع السماء ووضع الميزان فالمجرم المعتمدي قرير الشيطان، تأكله النيران، وللشهيد مقتدٌ صدق عند ربِّه في الجنان.

لبيب

## عناصر البحث

- الفصل (١) – المرأة في مفهوم الاسلام
- الفصل (٢) – مناقشة جزئية – حول بعض كلمات الإمام علي (ع)
- الفصل (٣) – مقارنة بين صفات المرأة والرجل
- الفصل (٤) – نظرية الإمام علي (ع) إلى المرأة في سبع البلاغة



الفصل الأول:

المرأة في مفهوم الاسلام



بسم الله الرحمن الرحيم

#### (١) خلق آدم وحواء :

تمت كلمة الله ان يخلق له خليفة يعمر الارض، وأن يهبه من الخصال والقدرات ما يجعله أهلاً للسجود له، فأخذ حفنة مباركة من التراب، ونفخ فيها من روحه فتمثلت بشراً سوياً، ثم أمر الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا أجمعين.  
ولما أراد سبحانه لهذا المخلوق الكرم أن يتکاثر، خلق له من نفسه زوجاً يسكن إليها. يقول جل من قائل:

«الذى خلقكم من نفيس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منها رجالاً كثيراً ونساء...» (سورة النساء - ١)

فالنفس الواحدة هي آدم والزوج هي حواء.

#### (٢) البناء النفسي للانسان:

ويتضح من هذا أن الانسان مؤلف بحسب تكوينه من عنصرين اثنين: عنصر الجسم وعنصر الروح. فهو عدا عن كونه جسماً مادياً صرفاً، ينطوي على عالم آخر مجرد، عالم يضم جملة من الطبائع والتوازع النفسية، التي يشترك بها كل أبناء البشرية، مؤكدة وحدة النفس الأصلية التي خلقوا منها.

و هذه النفس رغم قوتها و فعاليتها في الإنسان إلا أنها طلس عجيب غريب، عجزت العقول عن إدراك كنهها واستكشاف حقيقتها، ومن أغرب ما فيها أنها تحوي المتناقضات من النوع والغرائز، فما فيها من رغبة طيبة إلا و تقابلها نزعة سيئة. وكانت قيمة هذا المخلوق الجديد مقرونة بما آتاه الله من إرادة في اختيار الأفعال، إذ أن قيمة المخلوق يابفعه من ذاته لا يجا يكون مقصورةً على فعله. ولتحقيق هذه القيمة كان لابد من أن يكون الإنسان محل اختبار وامتحان، ومن مستلزمات ذلك أن تكون دوافع الخير فيه على قدم المساواة مع دوافع الشر.

#### (٣) قيمة الإنسان:

وجاء القرآن الكريم يحدد قيمة الإنسان وفق هذا التصور الأصيل لمركب الإنسان، فقيمه تطلق من مدى استجابته لدعاوى الخير، و مجاهاته لدعاوى الشر، وهو ماعبر عنه بالتفوي:

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ» (سورة الحجرات - ١٣)

#### (٤) توزيع القدرات :

ومنذ قرار الله سبحانه مبدأ الزوجية في خلق الإنسان، قسم أعباء الحياة بين الزوجين تقسيماً متادلاً وفق مبدأ العدل، ونتيجة لذلك وزع القدرات والميول بينهما بشكل يتلائم مع الوظيفة المطلوبة منها. فكان كل من الرجل والمرأة بما آتاه الله من مواهب ونوانح أقدر على القيام بوظيفته من الآخر. ويظهر العدل الالهي مرة أخرى في أنه سبحانه لا يطلب من الإنسان إلا ما هو مُؤهل لفعله، مصداقاً لقوله تعالى:

«لَا يَكْلُفُ اللَّهُ فَضْلًا إِلَّا وُسْطَهَا» (سورة البقرة - ٢٨٦).

وانطلاقاً من هذا المبدأ أذاق الرجل بوظيفته وقامت المرأة بوظيفتها، حصلنا على المردود الأعظم لطاقة الزوجين، وعاش الناس في سعادة واستقرار.

من هذا المنطلق نجد أن التعريف الأعم لقيمة الفرد في مجتمعه، هو أن قيمة تكون بمقدار قيامه بوظيفته، وفق مواهبه التي من امكانيات لتحقيقها. وهو مذوى قول الإمام علي (ع):

«قيمة كل امري ما يحسن» أي ما يحسن فعله.

## (٥) تلاويم القدرات مع الوظيفة:

ويتجلى توزيع القدرات والرغبات بين الزوجين، أن أوكل بالمرأة أمر إنجاب النسل وتربيته، ولهذه الفائدة منع الله سبحانه المرأة وعاء الحمل، أعني الرحم، وأتاحتها من قوى التحمل للام الحمل والوضع، ثم الصبر على تربية الطفل وتندينه وتنظيفه. في حين أوجد فيها العاطفة الثرة للحنون عليه ومداراته والتلاطم معه، فهي حين تربية تكون مندفعه بتلك العاطفة دون أن تبالي بالتعب والقصب أو تشعر بالكلال أو الملل، وبذلك تكون قد حققت وظيفتها وقامت بدورها، واستنفدت طاقاتها لخدمة المجتمع وبناء نواهه الأساسية وهي الأسرة.

ومن دواعي تلك التربية للطفل ولتأمين الحفاظ عليه، أوجد سبحانه في المرأة طبائع ضرورية، لم يوجدها في الرجل، منها: قوة الجلد والرحة واللحواف، ف التربية الطفل تحتاج إلى صبر وتحمله، والطفل نتيجة ضعفه يحتاج إلى الرحة دون القوة، وعندما تخاف المرأة على طفلها تقوم بالصرفات التي تعبئه الاحتياط.

أما الرجل فقد كلفه حياة الأسرة التي يعيش فيها الأطفال في ظل أمهم، التي تنصرف إلى رعايتهم، ولهذا الغرض أعطاه البسطة في العقل والجسم، فبتفكيره البعيد يستطيع تقدير مصلحة الأسرة، وبقوته الفضيلية وغيرها يستطيع أن يذود عن كيان أسرته، كما يدافع عن كرامته وطنه وشرف عقيدته إذا ما حاول أحد التصدي لها.

وتلبية لنوازع الشرف في الإنسان، ورغبة في إقامة حياة اجتماعية سعيدة مستقرة، شرع الإسلام الزواج، الذي يتيجي على أساس واصحة بين الزوجين... وحتى تكون الزوجة متعة للرجل دون سواه، [٤٣-٤٤] وسعياً لتحديد عوامل الفسق، أمر المرأة بالحجاب ومنعها من الاختلاط المشبوه. في حين أكد على ضرورة تعليمها وثقيلها وتزويدها بتعاليم الدين والأخلاق حتى تقوم بوظيفتها التربوية على أتم وجه.



الفصل الثاني:

مناقشة جريمة



لستُ أخفي أن الذي دعاني إلى كتابة هذا الموضوع، مناقشةً حادة حصلت بيني وبين أحدى الفتيات الإيرانيات، إثر اختتام المهرجان الأدبي لنجف البلاغة، الذي العقد في طهران في الفترة من ١٦-١٢ رجب ١٤٠١هـ، الموافق ٢١-١٧ أيار ١٩٨١م. الذي أقامته مؤسسة (بنیاد نجف البلاغة).

فقد قابلتني أحدى الصحفيات، وكانت مثقفة وصربيمة وجريئة إلى أبعد الحدود، كما هي صفة المرأة الإيرانية.

وكان أول سؤال وجهته لي باعتباري من الباحثين في نجف البلاغة أن قالت: لماذا تتعامل الإمام علي(ع) على المرأة في نجف البلاغة، ولم يمدحها بكلمة واحدة؟ بل قال:

«المرأة شر كلها، وشر ما فيها أنه لا بد منها»

فصدمتُ مبدئياً من كلامها، وشرعت أحاديثها بالحسنى، حتى استبشرت واهتدت إلى الصواب، وقلت لها:

أولاً : أحسني ظليك بيامامك يا آنسة. فالإمام علي(ع) ليس عدوًّا لأحد، إنما هو صديق للحق وعدو للباطل.

ثانياً : أنت تعلمين أن كل رجل يعطي رأيه بالمرأة من خلال تجربته في حياته مع المرأة، أقصد مع زوجته. فإذا كانت زوجته سيدة ظنَّ أن كل النساء سيدات، وإذا كانت زوجته صالحة اعتقد أن كل نساء العالم صالحات. والإمام علي(ع) كانت زوجته (فاطمة الزهراء) سيدة نساء العالمين، وهي باعتقادنا معصومة عن الخطأ. فكيف يكون نظره إلى المرأة؟ لا بد أنه جيد جداً.

ثالثاً : ان النساء تشنن من درجة واحدة، ففيهن المؤمنة والكافرة، والتفية والفاشلة، شأنهن في ذلك شأن الرجال. وقد أوضح ذلك القرآن الكريم بشكل لا يقبل الشك ، حق أنه ضرب مثلاً للذين آمنوا زوجة فرعون التي كان زوجها من أكبر

الكافرين، بينما كانت هي من أعظم المؤمنين، واستحقت بذلك أن تكون في أعلى درجات الجنة. يقول تعالى:

«هُرَبَّ اللَّهُ مِثْلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُ نِسْوَةٌ وَّمَرْأَةٌ لَوْطٌ، كَانَا تَحْتَ عَيْدِينَ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَعَالَنَاهُمْ، فَلَمْ يُقْبَلْ عَلَيْهِمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، وَقَنْ أَدْخَلَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ» وَصَرَّتِ اللَّهُ مِثْلًا لِّلَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ أَمْرَأَةً فَرَعُونَ إِذْ قَالُوا: رَبُّ أَبْنَى لَنِي عَنْكَ بَيْنَ أَنْ فِي الْجَنَّةِ، وَتَعْجَبُ مِنْ فَرَعَوْنَ وَكَتَمَيْهِ، وَتَعْجَبُ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ». (آخر سورة التحريم).

فإذا كان الإمام على (ع) يعلم هذا كله، ثم بعد ذلك يقول في نهره «المرأة شر كلها، وشر ما فيها أنه لا بد منها»، أو يقول «السيدة حيال إيليس». فهو لا يقصد بالمرأة زوجته فاطمة ومشيلاتها من المؤمنات أمثال: «خدجية ومرع وأسبة»، وإنما يقصد بها المرأة الفاسقة الكافرة، التي هي كالشيطان، بل أسوأ من الشيطان، لأنها تطلق في اعمالها بداع من هواها وزنواتها وشهواتها، دون أن يكون لها أي ضابط أو زاجر.

\* \* \*

ثم انتقلت معها إلى مناقشة قول الإمام على (ع): «إن النساء ناقص العقول، ناقص المخطوط، ناقص الإيمان...» وبيتُ لها أن من يزد على هذه الكلمات لا يزد على الإمام على (ع) وإنما يزد على الله تعالى، لأن الإمام لم يتأت بها من عنده، وإنما قررها من القرآن، فمن المبادئ التي أنزلها الله في القرآن ولا ي مجال للشك فيها، أن شهادة الرجل كشهادة امرأتين في القضاء، وأن حظ الذكر كحظ الإناثين في الارث، وأن المرأة أثناء الحيض والنفس تقعد عن الصلاة والصيام.

وأن ذكر الإمام هذه الصفات هو من باب بيان الواقع، وليس من باب التوهين بقيمة المرأة. فالوظيفة التي انيطت بالنساء جعلهن يتصرفن ببعض الصفات. مثل: تغليب العاطفة على العقل (ناقصات العقول) ومثل:أخذ نصف الميراث (ناقصات المخطوطة) ومثل: القعود عن الصلاة والصوم حال الحيض (ناقصات الإيمان). وهذا حق، لأن المرأة التي يطلب منها تربية الولد تحتاج إلى العاطفة أكثر من العقل، ولأن المرأة التي لم يطلب منها الله تعالى إعالة أخيه حتى نفسها، يمكنها نصف الارث ويزيد؛ ولأن المرأة التي أوكل إليها إخبار أفراد البشرية لابد لها من الحبيب الذي يتفضل طهارتها ويحررها بعض الأيام من الصلاة والصيام.

وهذا النقص في بعض الأشياء لا يحيط من قيمة المرأة اذا مانظرنا اليها من خلال وظيفتها. فالرجل في مقابلها ناقص في أشياء أخرى. وفي مقابل كل ملكة للرجل

ملكةً للمرأة، مصداقاً لقول النبي (ص): «النساء شفائق الرجال». والفضل لا يكون بالملكات والقدرات، بقدر ما يكون في كيفية استخدام تلك الملكات، في الخير أم في الشر، وفي الاحسان أم في المدوان، مصداقاً لقول الامام (ع): «قيمة كل أمرىء ما يبعثه».

فإذا أحسنت المرأة استخدام قدراتها العالية التي خصها الله بها، كانت أفضل من الرجل. فثلاً اذا هي بعطفتها الوثابة انصرفت الى الاصلاح وتربيبة الاجيال، وليس الى الكيد والغيرة والفساد. وإذا هي بمعظها من المال قامت بفعل الخيرات والبرات، ولم تهدره بالظاهر والتبذير. وإذا هي في أثناء حلها صبرت وتحملت حتى أنيت طفلاً، تربى ليكون عنصراً بتابع في المجتمع... عند ذلك تكون صانعة الأبطال ومربيبة الأجيال ومضاهية الرجال.

وسوف نتكلّم بالتفصيل عن عوامل النقص الثلاثة السابقة عند المرأة، في فصل لاحق من هذا الكتاب.



الفصل الثالث:

مقارنة بين صفات المرأة والرجل



## (١) - المقارنة بين عنصر المرأة وعنصر الرجل:

على الرغم من أن النساء يختلفن من حيث المواهب والمشاعر، كما هو شأن الرجال، إلا أنه يمكن أن تُميز فيهن جلة من الصفات التي تُميّزهن عن الرجال. ولابد من ذلك أن توجد امرأة تتمتع بصفات الرجال أو تفوقهم فيها، إلا أن ذلك من النادر الذي لا يُستخدم قياساً. وهذا ما يدعونا إلى اعتبار «عنصر الرجل» الذي يتصرف بمعدل خصائص الرجال، وإلى اعتبار «عنصر المرأة» الذي يتصرف بمعدل خصائص النساء. والمقارنة عادة تتم بين هذين المنصرين الاعتباريين.

من هذا المنطلق نجد أن عنصر المرأة يتمتع بخصائص تختلف كلية عن عنصر الرجل، وذلك وفق الوظيفة التي أُسندت إلى كل واحد منها. وهذا الاختلاف ليس في النوع وإنما في الكم.<sup>٣</sup> فكل صفة في الرجل موجودة في المرأة، ولكن الاختلاف هو في الشدة.

## (٢) - تباين القوى النفسية :

كما أن المرأة تختلف عن الرجل في الصفات المضبوطة والجسدية، فهي تختلف عنه في الصفات النفسية والروحية. تلك الصفات التي تنبع عن البناء النفسي للإنسان. فهو مركب من الناحية النفسية من عدة قوى منها: التبييز والعلم والإرادة، وقوة الشهوة والشجاعة والغضب.

ولهذه القوى مراكز، منها: العقل والقلب، والنفس بأشكالها المطمئنة واللواحة والألمارة بالسوء.

## (٣) - قوى الروح:

وقد ذهب بعض الفلاسفة إلى القول بأنّ القوى النفسية خارجة عن الجسم، بينما قال آخرون بأنّها داخل الجسم. كما أن بعضهم ذهب إلى أن العقل والقلب والنفس والروح هي شيء واحد، بينما ذهب آخرون إلى التمييز فيما بينها، وإلى بيان العلاقة المستطرمة فيما بينها. فمقابل هؤلاء بأن الروح تتجلّى في الإنسان في عدة قوى مرتبطة بعضها هي:

- ١- النفس: وهي مركز الرغبات والغرائز الخيرة والشريرة.
- ٢- القلب: وهو مركز الإرادة والتقرير.
- ٣- العقل: وهو مركز التمييز بين الخير والشر والحسن والقبيح.
- ٤- الحواس: وهي مركز الاتصال بين الجسم والخارج.

وستدرج هذه القوى حسب الترتيب السابق في علاقتها ببعضها. فالنفس التي هي مركز الرغبات، توجّي للقلب بفعل الشيء، والقلب الذي هو مركز الإرادة، يسترشد بالعقل ليعرف خير ذلك الشيء من شره، فاما أن يقرر فعل ذلك الشيء أو يمتنع عنه، فإذا هو قرر فعله أمر الحواس عن طريق مديريها العقل، فتنتذه. وهذا قيل: العقل خادم القلب، والعقل أستاذ الحواس.

وسوف نتكلّم في بعض هذه القوى فيما يلي:

## (٤) - العقل:

أول ما ميّز الله به الكائن الجديد الذي خلقه من روحه وشرفه على الكائنات الأخرى، هو العقل. يقول النبي (ص):

«إن أول خلق الله عزوجل: العقل. فقال له: أقبل فأقبل. ثم قال له: أذير فأذير. فقال: وهزني وجلالي ما خالقتَ خلقاً هو أحسب إليّ منك ، بذلك أخذت وبك أغطي ، وبك أثيب وبك أحلف».

وعرف العلماء العقل بأنه: المعرفة المستعملة في تعرّي النعم وتخيّب الضرر، فيجعل صاحبه يتصرف وفق الحكمة والمصلحة التي لا تخترجه عن طاعة الله.

وقد اشتُقَّ معنى العقل من عقل الناقة أي شدّها وربطها، فهو بشّر المرء عن

متابعة هواه ويعتنه من الاتيان بالأعمال السيئة.

وقد عرف بعضهم العقل بأنه القوة المتبعة للعلم.

لكنه حسب التعریف الأول لا يقتصر على العلم، بل هو الدافع إلى العمل بمقتضى العلم، فإذا علم الخير دفع صاحبه إليه، وإذا عرف الشر نهاه عنه. وهذا هو المعنى الذي قصده الشارع وتفصنه الحديث النبوی السابق، وهو ما قصده الإمام (ع) بقوله: «العقل ما اكتسب به الجنة».

فكل عقلٍ مهما ملأ من قدرات في العلم والفهم والتبيّن والذكاء، ثم لم يوصل صاحبه إلى فعل الخير وأكتساب الفضائل التي تورده الجنة، فليس بعقل.

وقد ورد العقل بمعنى السبقين في القرآن والحديث.

فالي معنى الأول أشار النبي (ص) في الحديث النبوی السابق. والى المعنى الثاني أشار (ص) بقوله: «ما اكتسب أحدٌ شيئاً أفضل من عقلٍ جدّه إلى هدى أو برده إلى ردي».

وقال أمير المؤمنين (ع): «كفالك من عقلك ما أوضح لك شئٌ غبت من رشدك». أما في القرآن، ففي كل موضع يُفعَّل فيه التكليف عن العبد لعدم العقل، فاشارة إلى المعنى الأول.

وفي كل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فاشارة إلى المعنى الثاني..

كقوله تعالى:

«وَتَلْكَ الأَمْثَالُ نَضِرُّهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَقِيلُهَا إِلَّا مَا لَمْ يَعْلَمُونَ» (سورة العنكبوت - ٤٣)

وكقوله سبحانه: «إِنَّ شَرَ الدُّوَابَاتِ عِنْ الدُّوَابِ الصُّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (سورة الانفال -

(٤٢)

وكثيراً ما كان القرآن يُوَثِّبُ الكافرين بأنهم علّكون عقولاً ولكنهم لا يستعملونها. يقول جل من قائل:

«أَمْ غَسِبَ أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْلَمُونَ. إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سِيَّلًا» (سورة الفرقان - ٤٤).

ويقول سبحانه:

«وَلَقَدْ ذَرَأْنَا جَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْأَنْسِ، هُمْ قَلُوبٌ لَا يَفْهَمُونَ بَاهَا، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُصْرَوُنَ بَاهَا، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بَاهَا. أَوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ إِنَّهُمْ أَهْلُ لُؤْلُؤٍ، أَوْلَئِكَ هُمُ الظَّافِرُونَ» (سورة الاعراف - ١٧٨)

والمقصود بهذه الآية أن هم قلوباً وأعْيُنَا وآذانَا، ولكنهم لا يستخدمونها في الخير

والنفع، فهي معطلة عن غايتها التي أوجدت من أجلها.

وقال بعض الحكماء: إن العقل جوهر بسيط. وقال آخرون: هو جسم شفاف ومحله الدماغ. وقال بعض العلماء: إن محله القلب. ويستدل هؤلاء بأن العقل لم يذكر في القرآن بل ذكر محله القلب، كما في قوله تعالى: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَنَكُونُ هُمْ فَلُوْبٌ بِعَقْلَوْنَ يَا، أَوْ أَذَانَ بِسَمْعَوْنَ يَا، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» (سورة الحج - ٤٦).

ويؤيد هذا المعنى قول الإمام (ع): «العقل في القلب، والرحة في الكبد».

وعiken التوفيق بين المعينين السابعين للعقل بأن نعتبر للعقل معينين ومركيزين:

الاول: العقل بمعنى المعرفة والعلم ومركزه الدماغ.

الثاني: العقل بمعنى الإرادة والامر ومركزه القلب.

ويعتبر العقل الاول مركز العلم، بينما يعتبر العقل الثاني مركز الحكمة. والحكمة بالتعريف وضع الشيء في موضعه الصحيح. فكم من عالم عاقل، ولكنه لا يتصرف بالتصريف السليم، ولا يقدر عواقب الأمور، ولا يعمل لفائدة وصلاحه. فالقلب السليم هو الذي يصل صاحبه إلى السعادة في الدين والدنيا، وفي الآخرة والآولى. ولذلك قال سبحانه «إِلَّا مَنْ أَنْقَلَ اللَّهُ بِقْلَبِ سَلِيمٍ» (سورة الشعراء - ٨٩).

ومما أن القلب هو مركز الإرادة، فهو أفضل بقعة في الإنسان، اذا سار في الاتجاه القويم، الذي هو طريق الحكمة، ولم يقع تحت سيطرة الشهوات والتزوات التي تصرفه عن سبيل الحكمة، وتحرفه عن جادة الاعتدال.

### التبابين بين عقل المرأة وعقل الرجل:

وإذا كنا في صدد البحث في التبابين بين عقل المرأة وعقل الرجل، فانا نجد هذا التبابين في مستويات:

١- في مستوى التمييز بين الخبر والشروع والنافع والضار، فالتمييز في الامور الاساسية متساوي بين الناس مصداقاً لقوله تعالى: «وَقَرِيبٌ وَمَاصِلٌ هَا فَأَنْهَمُهَا فَجُرَوْهَا وَقَوَاهَا» (الشمس - ٨).

اما في الامور الفرعية والدقيقة فستوى التمييز يختلف من إنسان لآخر. وقد ورد في اخبار أن الله وزع العقل على الرجال، وبعضهم على مرتبة وبعضهم على مرتبتين وبعضهم على ثلاثة وبعضهم على اربع. والانبياء من هذه الناحية هم في أرفع

الدرجات. وكذلك ورثه على النساء على مراتب، وذلك مصداقاً لقوله تعالى «ورثنا بعضهم فوق بعض درجات» (سورة الزخرف - ٣٢).

وفي هذا المستوى نجد أن عنصر الرجل يتفوق قليلاً على عنصر المرأة، ولكن ذلك لا يمنع من امتياز بعض النساء على بعض الرجال، كقول النبي في رثاء أم سيف الدولة الحمداني:

ولوأن النساء كمن فقدنا لعَصَمْتِ النَّسَاءَ عَلَى الرَّجَالِ

٤- في مستوى الاستفادة من هذا التغير، في فعل الخير وتجنب الشر، وعدم الانصياع لرغبات النفس الامارة بالسوء، وهو ما نعيشه بالارادة التي مركزها القلب. ففيما أن المرأة عاطفية بفطرتها، فهي تنساق وراء رغباتها وأهوائها بسرعة دون أن تتحكم عقلها في كل أمر تقوم به فتفرضه على محك الشرع وتزئنه بميزان الحكمة. فيكون قلبها أقرب إلى الانحراف بتيار الشهوات من الانصياع لنداء العقل.

ونتيجة لهذا التباين في العقل بين المرأة والرجل، نجد أن الرجل يتميز بالحزم والتصلب في المبدأ الذي يتبناه، بينما نجد المرأة تميز بسرعة التقلب في التفكير وعدم الدقة في التعبير، وبشدة الحساسية وضيق التحمل. فهي تتأثر بسرعة لأقل طارئ، وتهار عزيمتها لأقل مخفة، وعواضاً عن تحكم عقلها للخروج من المأزق الذي تقع فيه، فاتها تبدأ بالبكاء والمويل.

ولكون المرأة عاطفية على هذا النحو، جعل الشارع الحكيم شهادة المرأتين كشهادة الرجل الواحد.

### ٥- العقل المحافظ والعقل المبدع:

أما إذا نظرنا إلى العقل من ناحية الذكاء، نجد أن ثمة فرقاً أساسياً من هذه الجهة بين الرجل والمرأة، وذلك حسباً حققه علم النفس الحديث.

في حين يساوى الجنسان من حيث مستوى الذكاء العام، فقد وجد أنها يختلفان من حيث طبيعة الذكاء، فهناك نظرية تقول إن العقل قسمان: قسم محافظ وقسم مبدع، والقسم المبدع يأخذ من المحافظ ليبدع. وقد وجد أن طبيعة العقل عند المرأة أميل إلى القوى المحافظة، بينما طبيعة العقل عند الرجل أقرب إلى قوى الإبداع. فناحية الذكاء نجد أن عند المرأة قدرة أكبر على حفظ المعلومات، بينما يتفوق الرجل

بالقدرة الفكرية على الابداع والاختراع.

وأما من الناحية النفسية والاجتماعية، فتتجلى الطبيعة المحافظة للمرأة في تمسكها بالعادات والتقاليد الموروثة وعدم تجاوزها أو تغييرها، وفي أنها تحاول أن تظهر دائماً بمحضر الفضيلة وحسن السيرة مستترة برداء من التوبيه والخش. بينما تتجلى طبيعة الرجل المبدعة في تحمله من العقائد والأخلاق، واتخاذه فلسفات جديدة في الحياة، وانطلاقه لاكتشاف العلوم النظرية والتطبيقية، دون أن يكرث بسمعته وبنظره الناس اليه. لذا قيل: ان المدنية هي من صنع الرجال وليس النساء.

ومن هذا المنطلق نجد في الدول التي أثاحت جميع الفرص للجنسين بالتساوي، أن عدد النساء اللواتي يتغوقن في الرياضيات والفيزياء قليل جداً بالنسبة للرجال. وكذلك الامر في الفلسفة والسياسة والموسيقى ونظم الشعر، والرسم والطب والهندسة وتصميم الازياء.

#### ٤. تطور العقل ونضجه:

وقد لاحظ العلماء فرقاً ملحوظاً بين نشاط عقل الرجل ونشاط عقل المرأة خلال مراحل الحياة. فان تأخر عقل الرجل في اكتماله عن عقل البنت بستين خلال فترة المراهقة، يجعله يستمر في نشاطه الى مدى أكبر. ويتافق هذا النشاط العقلي مع النشاط الجنسي، الذي يصبح محدوداً بعد الخمسين.

#### ٥. النفس :

وهي مركز العواطف. وتتأتي العاطفة كخاصة مقابلة للمعقل. فالانسان من حيث بنائه الروحي يتتألف من عقل وعاطفة. وما موجودان في المرأة والرجل ولكنها يختلفان في الشدة. فحين وزع الله سبحانه العقل والعاطفة على الرجل والمرأة، زاد في عقل الرجل على حساب عاطفته، وزاد في عاطفة المرأة على حساب عقلها، وذلك ليلاهم كل منها مع الدور الذي أوكل اليه في الحياة. ولذلك يكون التباين بينها سبباً للألفة والرغبة. وليس هنا يعني تفضيلاً للرجل على المرأة أو العكس. فما تفضيل لا يمكن في وجود الشيء في الانسان وإنما في مدى استخدامه في وجود الخير. في حين يمكن أن يستخدم الرجل عقله للمحيل والمكر، فيرتكب الجرائم والموبقات،

يمكنه أن يستخدمه في طرق الخير لحماية كيانه ومساعدة الآخرين، وكذلك الأمر بالنسبة للعاطفة، فيمكن أن تستخدمها المرأة في الكيد والخداع فتُحيط في الأرض فساداً، كما يمكن أن تستخدمها في العطف على زوجها وأولادها وحلفائهم، فتملاً الأرض سعادة وعفة.

وكما ذكرنا سابقاً فإن الله سبحانه حين يابن بين الرجل والمرأة فيها وزع عليها من عقل وعاطفة وغيرها من القدرات، فاما أجرى ذلك ليستطيع كل واحد منها القيام بدوره في الحياة ووظيفته في الوجود على أكمل وجه. ووجه التفضيل يبقى في مدى قيام الفرد بذلك الوظيفة واستخدام طاقاته الفطرية لتحقيقها.

### أهمية تربية المرأة:

ومن ثمرات كون المرأة عاطفية، أنها تستطيع أن تربى أولادها وتوجيههم وتغرس فيهم، ماتشاء من الحين فإذا أحستا توجيه المرأة من هذا الصفر، حصلنا على بنين غزير من الطاقات الخيرة، التي تستطيع بها أن تبني المجتمع الفاضل.

لذلك شدد النبي(ص) على أهمية تعليم البنات وتربيتها، حتى قال: «من كانت عنده بنتان، فأحسن تربيتها ومهنيتها كهفلت له الجنة». وفي هذا المعنى قال الإمام الخميني حفظه الله: «المرأة نصف المجتمع، ومرأة النصف الآخر» وذلك لبيان قيمتها في المجتمع، وأهمية تربيتها والعناية بها.

ومن هذه الوجهة نفسر مدى إكرام الأم والتوصية بها. فقد أوصى النبي(ص) كثيراً بالأم فقال «الجلة تحت أقدام الأمهات» وما ذلك إلا لفضلها الكبير على الإنسانية والبشرية، فهي الحاملة والوالدة والمربيّة والمحملة لصنوف العذاب واللام.

### التبابن بين نفسية المرأة والرجل:

ويذكر علم النفس فرقاً بيناً بين نفسية الرجل ونفسية المرأة، فقد بيّنت الدراسات أن نفسية الرجل «فاعالية» بينما نفسية المرأة «انفعالية». وهذا يفسر رغبة الرجل في الاعتداء على غيره، بينما يفسر رغبة المرأة في العيش في ظل رجل يؤمن حاليها وسعادتها. ولذلك وجد أن أغلب جرائم الرجال هي القتل والسرقة والاعتداء والبطش، بينما أغلب جرائم النساء هي الزنا.

## الجنس والأمومة:

ومن الفروق الأساسية بين طبيعة الرجل والمرأة، هو في الناحية الجنسية، فقد جعل الله سبحانه تسلسلاً بدليعاً مترباطاً في العلاقة بين عناصر الخلقة. فالرجل تستهويه المرأة فتشده إليها، والمرأة يستهويها الأطفال فتسعى ورعاهم، وبذلك يكتمل بناء الأسرة القوى، الذي يدفع الحياة إلى الاستمرار على الأرض... فنلاحظ أن من أهم ضرورات الرجل إشاع غريزته الجنسية، ويكون الدافع له إلى الزواج هو تأمين حاجته الجنسية وحفظ نفسه من الفسق، دون أن يفكر في موضوع الاتجاح والأولاد. أما المرأة فيضعف دافعها الجنسي أمام عاطفة الأمومة التي تسيطر على كيانها، فهي تتحذل الجنس وسيلة للحصول على الأولاد. وإذا كان اهتمامها وتعلقها ينصب في البداية على الزوج، فإن ذلك يتقلص مع انجاب الأولاد، الذين تربطها بهم رابطة أقوى من الجنس، هي رابطة الأمومة، فهي تشعر بأنهم قطعة من كيدها، لا بل أغلى من حياتها.

## ٦ - بعض مظاهر نفسية المرأة:

### وسوف نستجلي فيما يلي بعض مظاهر نفسية المرأة:

#### ١- الرقة والرحة:

تشير المرأة عن الرجل بمعطفها وحنانها، ورقة عواطفها ورفق أحاسيسها، وشدة تأثيرها وسرعة انفعالها، كما أنها تتميز بصبرها وجلدتها وقوتها تحملها. وهذه الخصال الرفيعة تناسب مع وظيفتها في الحياة. فتربية الطفل تحتاج إلى الرقة والحنان والمعطف والرحة، كما تحتاج إلى الصبر والتجلد والتحمل.

أما الرجل فيتميز بقوته وعنوانه وجيروته وبطشه، ولذلك قال تعالى في صفة الرجال (وإذا بعثتم بعثتم جيارين).

كما يتميز بحزم وعزم وشجاعته ورباطة جأشه. وهي خصال تفرضها عليه طبيعة المهمة التي أوكلت به، وهي تأمين حاجات الأسرة وحياتها من الخارج.

وقد اعطى الله المرأة أيضاً خصائصاً تناسب حاجات الأسرة والتربية، منها النظافة والاناقة وحب الترتيب، فتجد هذه الصفات مطبوعة في فطرة أغلب النساء. والرجل يخشوونه وقوته طبيعة وقلة رحمته، يحب المرأة التي تتوافقه بعض ذلك برقتها ووداعتها ورحمتها. فيجد فيها فيض الحنان والحب، الذي يُمْتَنَّ بينها وأواصر الزوجية، وبعدها يتبعان أولاداً طيبين.

## ٤. الاهتمام بالملوهر والسمعة:

ونلاحظ أن المرأة تهتم بالملوهر أكثر من الرجل، الذي يتم بالجوهر. فإذا راقبنا اهتمامات المرأة، نجد أنها منها بلفت من العلم والفهم، فهي مسيرة إلى الاهتمام بالاشكال والمظاهر، عانسيه زينة الحياة الدنيا. وقد غرس الله سبحانه هذه الخاصة في المرأة، لتكون المرأة متعة للرجل، يتمتع بزینتها وجاذبها، ويشم رائحتها وعبقها، فتسره إذا نظر إليها، وتُجْبِهُ النظر إلى غيرها. وهذا مصدقاق قول الإمام علي(ع): «المرأة زعانة ولبس بقهراة» والقهرمان هو الذي يحكم في الأمور ويتصرف فيها برأيه. فالإمام(ع) لايرغب أن تتصرف المرأة إلى الانشغال بتصريف الأمور العامة، مما يمنعها عن مزاولة وظيفتها الأساسية، وهي أن تظل في بيتها زعانة لزوجها وراعية لاولادها. و بما أن المرأة عاطفية، فإنها قد تنساق وراء هذه المظاهر، ولا تخرج لأشباع تلك الرغبة من السماحة في أوامر الشعع، فستستخدم تلك الغريرة في غير عملها الصحيح. فنعرضها عن أن تتزيين لزوجها، فإنها تقوم بعرض مفاتنها أمام الغرباء في الأزقة والطرقات، ولا تخفي مفاسد هذا التصرف في إشاعة الفحشاء والمنكر في المجتمع. أما من ناحية السمعة، فقد وجد أن المرأة تحاول المحافظة على سمعتها بين الناس، فهي إذا فعلت المنكر تفعله في الخفاء بعيداً عن أعين الناس، حتى لا يفتح أمرها وتهدر كرامتها. أما الرجل فهو حين يفتق عن ذكر ذلك أمام الناس، وربما تفاخر بفعل ذلك ، دون أن يبالي بسمعته وشهرته.

## ٥. الحب والكره:

إن المرأة بداعي عاطفتها الشديدة، إذا أحببت انساناً أحبته فوق التصور، وإذا أبغضته فانها لا تنسى بغضها له. وفي ذلك يقول الإمام(ع): «المرأة تكتم الحب أربعين

سنة، ولأنكم البعض ساعة واحدة» (الحكمة ٢٢٨ الملحقة بآخر تفسير ابن أبي الحذيف).

ومن أمثلة الصنف الاول حب خديجة(ع) للنبي(ص) وحب فاطمة الزهراء(ع) للأمام على(ع). ومن أمثلة الصنف الثاني بعض عائشة للأمام(ع) لأسباب لاجمال لذكرها هنا، حتى أن إيمانها لم يمنعها بداعف ذلك الكره من أن تحارب الإمام علياً(ع)، فيذهب بجرياتها خمسة عشر الفاً من الصحابة المسلمين<sup>٥</sup> وذلك في موقعة الجمل التي جرت قرب البصرة. خلافة بذلك أمر خالق الاتكون في محكمة القرآن، حين أمرها ب اللازمة بيتهما وعدم التدخل في أمور السياسة، وذلك في قوله تعالى عناطباً نساء النبي(ص) خاصة حيث يقول «وَقُرْنَّ فِي بَيْتِنَّ لَا تَبْرُجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى، وَأَطْلُنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» (سورة الأحزاب - ٣٤) أي أن خروج زوجة النبي(ص) من بيتهما هو خلافة لأمر الله وعدم طاعة للرسول(ص). وقد نظم هذا المعنى الشيخ كاظم الأزربي في تصييده المشهورة فقال:

حفظت أربعين ألف حديث ومن الذكر آية تساهلا

#### ٤- الكيد والمكر:

الكيد هو إرادة مضرّة الغير بشكل خفي، عن طريق المكر والاحليلة والخداعية. والمرأة السيدة تكيد للرجل لنفعه، كما يكيد الشيطان لبني الإنسان. ومن أبرز الأمثلة القرآنية على ذلك كيد امرأة العزيز ليوسف(ع) الذي ظل صامداً بتأييده ربه، وفضل السجن على ارتكاب الفاحشة. وذلك مصادقاً قوله تعالى على لسان العزيز: «فَلَمَّا رَأَى فِيهِنَّهُ شَدَّ مِنْ ذَرِيرَ قَالَ إِنَّمَّا كَيْدُنَّ كَيْدُنَّ، إِنَّ كَيْدَنَّ عَظِيمٌ» (سورة يوسف - ٢٨). وقوله على لسان يوسف(ع):

«قال: رب السجن أحب إليّ كيـدـ عـونـقـيـ إـلـيـهـ، وـلـاـ نـعـرـفـ عـنـيـ كـيـدـنـ أـضـبـ إـلـيـنـ وـأـكـنـ مـنـ الـجـاهـلـيـنـ» فاستجابت له ربة فصرف عنه كيـدـنـ إـنـهـ هـوـ السـعـيـعـ الـعـلـمـ» (سورة يوسف ٣٣ و ٣٤). وغير خاف أيضاً كيد المرأة للمرأة اذا تعارضت مصالح إحداهما مع الأخرى، وغالباً ما يحدث ذلك بداعف الغيرة.

<sup>٥</sup> ذكر الطبرى أن عدد القتلى في معركة الجسل عشرة آلاف من جيش عائشة وخمسة آلاف من جيش الإمام على(ع).

## ٥ - الغيرة :

تتجلى الغيرة في أبسط أشكالها عند المرأة في حب تقليدها لغيرها من النساء، وفي عاولة امتنالك كل شيء تملكه رفيقاتها. وهو مرض سار مردّه إلى حب الذات والعجب بها.

ويتدخل مفهوم الغيرة بهذا المعنى مع مفهوم الحسد، وهو شائع بين الرجال وبين النساء. ومن أمثلته غيرة هابيل من أخيه قابيل، حين حسده وادعى أنه أفضل منه. فلما احتجكا إلى الله فتقبل الله قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل، زادت غيرة قابيل، حتى سوت له قتل أخيه، فقتله.

ومن أحضر أشكال الغيرة أن تحب امرأتان رجلاً واحداً، فتتخاصمان للحصول عليه. وهو من الأمور الخطيرة، التي تؤدي إلى الحياة الزوجية وتجعلها جحيمًا لا يطاق. وبحدث الامر نفسه عندما يتزوج الرجل اثنين، فتغدار إحداهما من الأخرى وتکيد لها، وهو محرّم شرعاً. وهو ما عبر عنه الإمام بقوله:

«غيرة المرأة كفر، وغيره إيمان».

ويقصد بغيرة الرجل، غيرته على عرضه وحرمه وحفظهم من الشرور والاعتداء. وقد أوجب الله سبحانه على الرجل العدل بين نسائه، حتى لا يكون للمرأة عنده في غيرتها.

## ٦ - الفدر:

تتميز المرأة العاطفية بسرعة التقلب وعدم الثبات على رأي، فهي تحب اليوم وتكره غداً، وتحب شخصاً ثم تنقلب إلى غيره.

ولذلك قيل في المثل: «ونساوهم كهوانهم».

وقد وصفها النبي بالفدر وعدم الوفاء بالعهد حيث قال:

إذا غدرت حسته وقتلت بهدها فلن عهدتها أن لا يذموم لها عهد

وهذه الصفات أبعد ما تكون عن المرأة المؤمنة الملتزمة، أما المرأة الطائشة التي تتبع هواها وتتساقط وراء رغباتها، فهي تشجّع في نفسها وبنيها، ولا ترى أي ضير في نكث العهد، وعدم الوفاء بالوعد،

والهدر بصالحها عن قصد وعمد.

أما الرجل فهو أكثر اندفاعاً إلى العمل بما يعتقد، والثبات على عقيدة معينة، والدفاع عنها بوعي وتصميم، والوفاء بهذه مهلاً كلها ذلك. فإذا وعد اعتبر وعده ديناً في هفته، مصادفاً للقول المأثور: «وَعْدُ الْحَرَّةِ دَبَّنِ». ومن أشهر الأمثلة على ذلك وفاة السموءل، ملأ أودع عنده عدداً من الدروع، ففضل ذبح ابنه دون أن يسلمها لنير أصحابها.

#### ٧- افشاء السر:

وفي حين شدد الشارع القدس على حفظ السر وعدم الكلام إلا عند الضرورة، خوفاً للضرر وخوف الواقع في الخطأ، وأكمل على ترك الغيبة لأنها تنطوي على فضيحة المؤمن أو بيتها، نجد أن أغلب النساء لا يحفظن لسانهن بل يواصلن الكلام ويتناخرن بكشرته، ولا يتورعن عن الكلام على الغير بما فيه وما ليس فيه. وهذا من أكبر المعائب الأخلاقية... ويكفيانا للتتأكد من ذلك مراقبة النساء في مجالسهن، فبعض حديثهن عن أمور الدنيا وزينتها، وأغلبه غيبة وافتراء على الناس.

ومما أن المرأة عاطفية فهي لا تقدر عاقب الأمور، فإذا أغضى إليها أحد بسر، فإنها تتفشى به إلى رفيقتها وتوصيتها بكتمانه، وهذه تفشيه بدورها لغيرها بشرط الكتمان، حتى يشيع الأمر في كل مكان.

ومما أن المرأة لاتخفي سراً، فقد حظرت الحكومات زواج العسكريين من النساء الأجنبيات.

وفي هذا الصدد قال الإمام علي (ع) من خطبة له يعظ فيها أصحابه: «واجعلوا اللسان واحداً. وليخزن الرجلُ لسانه، فإن هذا اللسان جمجمة بصاحبه. والله ما أرى هبأً يستقي تشنفه حق يخزن لسانه. وإن لسان المؤمن من وراء قلبه، وإن قلب المنافق من وراء لسانه. لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبره في نفسه، فإن كان خيراً أبداه، وإن كان شراً واراه. وإن المنافق يتكلّم بما ألق على لسانه، لا يدرك ماذا الله وماذا عليه».

ولقد قال رسول الله (ص): «لَا يُسْتَقِيمُ إِيمَانُهُدَىٰ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ. لَا يُسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ... فَنَّ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى وَهُنَّ فِي الرَّاحَةِ مِنْ دَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمٌ اللِّسَانُ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ، فَلَيَفْعُلُ». (نهج البلاغة الخطبة ٦٧)

### قصة المتكلمة بالقرآن

وقد حفل تاريخنا الإسلامي العتيق بالعديد من النساء المؤمنات اللواتي إلزمن بالبروع والتقوى، حتى فُقِنَّ في ذلك الرجال الاقياء، وكمثال عليهن تلك المرأة التي أثربت أن لا تتفوه بكلمة واحدة إلا من القرآن، حتى لا تقع في خطأ أوريب، فسميت بذلك (المتكلمة بالقرآن) وظلت على تلك الحالة أربعين سنة.

قال عبد الله بن المبارك :

«خرجت حاجيًّا إلى بيت الله الحرام وزيارته نبيه (ص)، فبينا أنا في الطريق إذ أنا بسوداد، فلم يميز ذلك فإذا عجوز عليها درع (أي قبض) من صوف وخار، فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقالت (سلام قولًا من رب رحيم)، فقلت لها: رحلت الله ماتتصعن في هذا المكان؟ قالت (وَقَنْ بُهْلِلِ اللَّهِ فَاللَّهُ مِنْ هَذِهِ). فعلمت أنها ضالة عن الطريق. قلت لها: أين نريدن؟ قالت: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بَعْدَوْلِيَّاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى). فعلمت أنها قضت سجتها وهي تربى بيت المقدس. فقلت لها: أنت منذكم في هذا الموضوع؟ قالت: (نَلَاتْ لِيَالِ سُوَيْدَا). مأوري معلم طماماً تأكلين. قالت (هَرَبْتُ عَنِي وَتَسْفِين). فقلت: فبأي شيء تتوضئين؟ قالت (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَسْعِمُوا صَبَدًا طَبِيبًا). فقلت لها: إن معي طعاماً فهل لك في الأكل؟ قالت (نَمْ أَتَسْأَلُ الصِّبَامَ إِلَى اللَّيلِ). فقلت: قد أتيت لنا الإفطار في السفر. قالت (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

فقلت: لم لا تكلمي مثلما أكلمك؟ قالت (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدِيهِ رَقِيبٌ عَيْدِ). فقلت: فمن أي الناس أنت؟ قالت (وَلَا تَقْتُلْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمَعَ وَالبَصَرَ وَالْفَوَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا). فقلت: قد أخطأت فأجعليني في حلٍّ. قالت: (لَا تُشْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْرِرُ اللَّهُ لَكُمْ). فقلت: فهل لك أن أحلك على نافقي فتدركين القافلة؟ قالت (وَمَا تَقْدِمُوا إِلَّا فَسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ).

قال ابن المبارك: فاتخذت الناقة، فقالت «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَهْشُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ» فغضبت بصرى عنها، وقلت لها: اركبي... فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة، فزقت ثيابها، فقالت «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مَصِيرٍ فِيمَا كَبِيْتُ أَبْدِيكُمْ». فقلت لها اركبي. قالت «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا مَا كَانَ الْمُفْرِنُينَ أَيْ مُطْبِقِينَ إِنَّا إِلَيْهِ لَمُنْتَهَىٰ بِنَا». فأخذت بزمام الناقة، وحملت أسعى وأصبح، فقالت «وَالْفَصْدُ إِنَّمَا يَنْهَا مُشْكِرٌ وَاغْضَفُ مِنْ صَوْتِكِ». فجعلت أمشي رويداً رويداً وأترن بالشعر، فقالت «فَافْرُوا مَا تَبَرَّزُ مِنْهُ». فقلت: لقد اوتت

خيراً كثيراً. فقالت «وما يَدْعُكُلَا أَولَى الالْبَابِ».

فليا مشبتُ بها قليلاً قلتُ لها: ألك زوج؟ قالت «يا أباها الذين آمنوا لا أسألكوا عن اشياء إلَّا تَبَدَّلُ لَكُمْ سَرْكَمِي»، فسكتُ ولم أكلمها، حتى أدركتُ بها القافلة. قلت لها: هذه القافلة، فمن لك فيها؟ فقالت «الماش والبنون زينة الحياة الدنيا»، فعلمتُ أن لها أولاداً. قلت: وما شأنهم في الحج؟ قالت: «وعلامات بالنجوم هم يهدون». فعملتُ أنهم أدلاء الركب.

فقصدتُ المقباب والمعمارات، فقلت: هذه القباب، فمن لك فيها؟ قالت: «والخدّالة ابراهيم خليلًا» «وكثُم الله موسى نكلبا» «يا بخي! خذ الكتاب بفوءة»، فناديت: يا ابراهيم، يا موسى، يا بخيبي. فإذا بشبيان كأنهم الأقمار قد أقبلوا. فلما استقر بهم الجلوس، قالت «ابعنوا أحدكم بزيركم هذه إلى المدينة، فلينظر إليها أذكى طعاماً، فليأكلنكم برزق منه». فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يديه، فقالت «أكلوا واشربوا هنيئاً يا أسلفتم في الأيام الخالية».

فقلت: الان طعامكم على حرام حتى تخبروني بأمرها. فقالوا: هذه أنتا، لما منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن، خافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن. قلت: «ذلك فعل الله يُؤتيه من بناء، والله ذوالفضل العظيم».

الفصل الرابع:  
نظرة الامام علي (ع)  
الى المرأة في نهج البلاغة



سوف نتناول في هذا الفصل البحث في أقوال الامام علي(ع) عن المرأة، والتي وردت في نهج البلاغة، سواء في الخطب أو الكتب أو الحكم.  
ونثبت قبل الخوض في هذا البحث النصوص المتندة مع أرقامها، حيث وردت في كتاب (تصنيف نهج البلاغة) للمؤلف:

قال الامام علي عليه السلام:

١٥١      وإن النساء هنّ زينة الحياة الدنيا والفساد فيها.

٢٣٨      ح المرأة شرٌّ لكثير، وشرٌّ ما فيها أنه لا بد منها.

١٢٤      ح غيره المرأة كفر، وغيره الرجل إيمان.

٩١      ح المرأة عقربٌ خلوةُ اللذة.

٢٣٤      ح خبأٌ خصالي النساء، شراؤ خصالي الرجال: الزهو والغبن والبخل، فإذا كانت المرأة

منزهةً (أي فخورة) لم تتمكن من نفسها، وإذا كانت بخيلاً حفظت مالها وما يملكها، وإذا

كانت جبانةً فرقةً (أي فزحت) من كل شيءٍ يفرض لها.

٤٧٠      وقال (ع) في وصيته لابنه الحسن (ع) بعد انصرافه من صفين:

واباك ومشاورة النساء، فإن رأيتهن إلى أهلي (أي نفس)، وعزمهن إلى زعن، والكلفت

عليين من أبصارهن بمحابيك إياهن، فان شدة الحجاب أفق عليهم، وليس خروجهن بأشدة من إدخالك من لا يوثق به عليهن. وإن استطعت الآباء عزف عنك فافعل. ولا تُمْلِك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها، فان المرأة رعانية ولست بعمرانة، ولا تقد بكرامتها نفتها، ولا تطيفها في أن تشفع لغيرها. وإنك والش琶ير في غير موضع غيرة، فان ذلك يدعو الصحبة إلى الشفاعة، والبرية إلى الرب.

### جihad المرأة حسن البقل.

ح ١٣٦

ومن خطبة لها (ع) بعد فراغه من حرب الجمل، في ذم النساء وبيان نقصهن: ٧٨  
معاشر أئمتي، إن النساء تواضعُ لإيمان، فواضعُ المظلوظ، توافقُ العقول. فاما نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن. وأما نقصان عقولهن فشهادتهم اهاراتهن كشهادة الرجل الواحد، وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال. فاتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على خلقهن. ولا تطعنوهن في المعروف حتى لا يطعن في المنكر.

ومن وصية للإمام علي (ع) لمسكره قبل لقاء العدو بصفين: ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شئتم أعراضكم وسبّهنّ أمراءكم، فانهنّ ضعيفات القرى والآنفس والعقول. وإن كنّا لنتّور بالكلت عتهنّ واتهنّ لشركائنا. وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالغهر (سرجرد) به الجنون أو الهراء (العصا) فيغيرها وعفيفها بين بعده.

### بيان بعض حكم الإمام علي (ع) وأقواله:

من المصنفات السابقة، لاستغرب جلةً من الأقوال التي أفادها الإمام علي (ع)  
عن المرأة المنحرفة التي تعمل بها دوافعها تقيد ببدأ، كما هو حال كثير من النساء.  
يقول (ع):

ـ وإن النساء هُنّ زينة الحياة الدنيا والفساد فيها (الخطبة رقم ١٥١)

ـ المرأة شر كلها، وشر ما فيها أنه لا بد منها (الحكمة رقم ٢٣٨)

ـ غيرة المرأة كفر، وغيرة الرجل إيمان (الحكمة رقم ١٢٤). المرأة عقرت خلوة النسابة (الحكمة رقم

(٦١)

## (١) - هم المرأة:

فإذا تركت المرأة عقلها جانبًا، وألقت أوامر الشرع وراء ظهرها، لم يُعُد لها من هم في الحياة غير زينتها وزخارفها، والاتساق وراء شهوتها. فقال الإمام(ع): «وإن النساء هُن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها».

## (٢) - المرأة الفاسدة شر كلها:

وعندما تصبح المرأة شرًا كلها، على الرغم من حاجة الرجل والوجود البشري إليها. فقال(ع): «المرأة شر كلها، وشر ما فيها أنه لابد منها».

## (٣) - غيرة المرأة وغيره الرجل:

والمرأة بداع غيرتها على زوجها قد تنساق وراء عاطفتها، فتصور أن زوجها يمكن أن يتزوج عليها، فخير سبيل لتغفرد به هو أن تفتقره أو تمنعه من مقاومة الدار، أو تعيشه بالريبة في كل نظرة ينظرها، مما يسبب لها فساد حياتها الزوجية ويعود عليها بالضرر والسوء. ولذلك نهاها الإمام(ع) عن هذه النية المحرمة، واعتبرها كفراً بالنعم التي أنعم الله عليها<sup>٤</sup>. فقال(ع): «غيرة المرأة كفر». وهذه الغيرة مختلفة جداً عن غيرة الرجل التي تعني الحفاظ على زوجته وأهلها ضد أي اعتداء خارجي أو انتهاك لكرامتهم، فهذا واجب على كل رجل، وهو جزء من الإيمان، فقال(ع): «وغيثة الرجل إيمان».

## (٤) - غدر المرأة:

وفي الحكمة الرابعة بين الإمام(ع) جانباً من نفسية المرأة الشريرة، التي دأبها أن تغدر بزوجها، في حين تظهر له حُسْن معاشرتها وتصرفاتها، فهي كالعقرب التي تلدغ الإنسان بعد أن تعطيه الثقة والأمان، فقال(ع): «المرأة غذرت خلوة الملة»<sup>٥</sup>

## (٥). خيار خصال النساء:

ونتيجة التباين في خصال المرأة وفي وظيفتها عن الرجل، تعتبر بعض الخصال السيئة في الرجل، خصالاً جيدة في المرأة. وينفذ الإمام(ع) ثلاثة من هذه الخصال وهي: الزهو والجبن والبخل. فيقول(ع): ( اختيار خصال النساء، شرار خصال الرجال: «الزهُوُّ والجُبُنُ والبَخْلُ». فإذا كانت المرأة مزهوةً (أي فخورة بنفسها) لم تتمكن من نفسها، وإذا كانت بخيلاً حفظت مالها ومال بعلها. وإذا كانت جبانةً فرقةً (أي فرقت) من كل شيء، تعيش لها ) (الحكمة رقم ٢٣٤)

فالمرأة التي لا تسترين نفسها يدفعها اعجابها بنفسها إلى أن لا تتمكن أحداً من نفسها، وهي صفة جيدة في المرأة. على عكس المرأة الدينية التي تسلّم نفسها لكل طالب بلا مقابل.

ومما أن السعي وراء زينة الدنيا يحتاج إلى المزيد من المال الذي يرهق كاهل الرجل، كانت المرأة البخلة أفضل من المسرفة، لأنها بذلك تحافظ على مالها ومال زوجها وأسرتها.

أما الجبن والمخوف عند المرأة فهو من أفضلي الصفات، لأن المرأة التي تدعى الجرأة تضع نفسها في مواضع الخطر دون أن تخترق، وما أنها ضعيفة، فهي بذلك تعرّض نفسها للمهالك ، ولو كانت تخاف لتجنبت أماكن الخطر، ولحسبت لكل أمر أنت حساب.

أما الرجل، فلن أسمى خصالة أن يكون متواضعاً كرواً شجاعاً، على أن لا يتخرج عن حدود الشرع، فينقلب تواضعه إلى ذل، وكرمه إلى إسراف، وشجاعته إلى تهور.

## (٦). معاملة النساء والحفظ عليهم:

ولم يبخل الإمام(ع) عن إصداء بعض الارشادات الضرورية للرجال، في كيفية معاملة نسائهم والحفظ عليهم. فالمرأة التي تنساق عادة وراء عاطفتها، يجب أن تكون في ظل رجل يصونها من الشذوذ والانزلاق، ويتحمّلها النصيحة والرأي الصائب،

الذي يجعلها تفخر بسعادة الدنيا والآخرة.  
يقول الإمام(ع) في آخر الوصية التي كتبها لابنه الحسن(ع) عند انصرافه من صفين:

«وابايك ومشاورة النساء؛ فان رأيئن إلى أفن (أي نفس) وعزمهن الـ وفهي (أي ضعف). واكفت عليهن من أبصارهن بمحاجبات إياهن، فان شدة الحجاب أبغى علين. وليس خروجهن بأشد من ادخالك من لا يوقن به علين. وان استطعت لا تعرف غيرك فافعل. ولا تُقْلِّك المرأة من أمرها ما جائز نفسها، فان المرأة رعائية وليس بقهراء. ولا تندب بكرامتها نفسها، ولا تُطعِّمها في أن تشفع لغيرها، وإنما التفاير في غير موضع غيرة، فان ذلك يدعو المصحبة إلى الشتم، والبرهة إلى الزب» (الخطبة رقم ٢٧٠).

ويتضمن هذا النص الأمور التالية:

#### ١- مشورة المرأة :

في البداية بين الإمام(ع) أن تفكير المرأة مرتبط بعاطفتها ارتباطاً وثيقاً، ورأيها في الأشياء مرتبط باهتماماتها. فلا ينفي للرجل أن يشاور المرأة، فان رأيئا قد يضعف رأيه ويُبَطِّه همته. ولا يستشير النساء إلا العاجزُ من الرجال. يقول(ع): «وابايك ومشاورة النساء فان رأيئن إلى أفن، وعزمهن إلى وهن».

وأما اذا كانت المرأة ذات رأي قوم وعزم قوي، فلماذا لا يشاورها الرجل، ولا يكللها بجسم الاعمال والمهمات؟ كمامف الإمام الحسين(ع) حين كلف أخته سولاتنا زينب العقيلية(ع) بأن تتبع نهضته من بعده، وأن تبين للملأ أهدافها ومراميها، فقامت بذلك بكل ثبات ورباطة جأش، وحّمّت ابن أخيها الإمام زين العابدين(ع) وجميع السبايا، فكانت بذلك «بطلة كربلاء».

#### ٢ - تحجب المرأة وعدم الاختلاط:

ثم يؤكّد الإمام(ع) على أمر المشرع بحفظ المرأة، فان عدم اختلاطها بالرجال أحظى ما وهم. فقال(ع): «واكفّف عليهن من أبصارهن بمحاجبات إياهن)، أي إخججهن عن الغراء حتى لا تقع أبصارهن على ما يكون سبباً لفسادهن. ثم يقول(ع): «فإن شدة الحجاب أبغى علين» وليس المقصود بالحجاب هنا ما يوضع على الرأس والعنق والجلب، وإنما المقصود

به الاعتزال وعدم الاختلاط. وإن كان حجاب الرأس هو واجب أيضاً بنص القرآن الحكيم. يقول تعالى عن الحجاب الاول مخاطباً نساء النبي اللواتي هنّ قدوة المسلمات: «وَقُرْنَةٌ فِي بَيْرَتِكُنْ، وَلَا تَبْرُجْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى، وَأَعْلَمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» و يقول سبحانه عن حجاب الرأس «بِإِيمَانِهِنَّ فَلَمْ يَرْأُوهُنَّ وَنَسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيْنَ، ذَلِكَ أَدْلِيْ أَنْ يَعْرُفُنَّ فَلَابِدُهُنَّ» (سورة الأحزاب ٥٩).

ثم يؤكد على لزوم ستر العنق وما يليه من الصدر وهو الجيب فيقول «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَمْضِيْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَمُعْظَلُنَ فَرَوْجَهُنَّ وَلَا يَبْدِيْنَ زِينَتَهُنَ الْمَاطِهِرَهُنَّهَا، وَلِيَحْسِنْنَ بِحُمْرَهُنَّ عَلَيْهِنَّ جِبِيْنَ» (النور ٣٢)

**والقصد بالزيمة الظاهرة ماتظہرہ المرأة من جسمها حال الصلاة، وهو الوجه الوضفي واليدين الى الزنددين والقدمين الى الكعبين.<sup>٤</sup>**

ثم قال الإمام (ع): «وليس خروجهن باشداً من إدخالك من لا يوقن به عليهن» فهو (ع) يقول: «ان خروج النساء من البيت أهون من دخول شخص غير موثوق عليهن، لأن من تكون هذه صفتة يمكن من الخلوة معهن في البيت بدون رقيبه، بينما لا يمكن من ذلك إذا رأهن في الطريق.

ورغم ان المشرع الحكيم سمح للمرأة بالخروج من بيتها في حالات الضرورة وال الحاجة، فإن الإمام (ع) شدد كثيراً على هذه الناحية، لتقديره المفاسد الكبيرة التي تنشأ عن اختلاط النساء بالرجال، كما هو في عصرنا الحاضر، ولذلك قال (ع): «وان استطعت لا يعرفنَ غربتك فافقل». ورغم أن الخطاب في هذه الوصية هو للامام الحسن (ع) فهو غير موجه اليه بقدر ما هو موجه لامة المسلمين، لأن عقارات أهل البيت كُنْ أشد الناس تمسكاً وتطبيقاً لتعاليم الشريعة.<sup>٧</sup>

روى ابن شهرآشوب في المناقب أن النبي (ص) قال لفاطمة (ع): «أئي شيء غير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل. فقضتها اليه وقال: ذرها بعضاً من بعض».

وقد أثر عن زينب العقيلة (ع) أنها كانت لا تعرف من باب دارها غير وجهه الداخلي. وكانت عندما تضطر إلى مغادرة بيتهما، تخرج ليلاً عجبة ومعها الحسن (ع) عن بيتهما والحسين (ع) عن شمامها، وأبواها أمير المؤمنين أماهما.

وقد كانت مولاتنا سُكينة بنت الإمام الحسين (ع) شبيهة بجدتها فاطمة الزهراء (ع)، فكانت منقطعة إلى العبادة ودائمة الاتصال مع الله، لا تغادر بيته ولا تلتفت عن مسجدها. حتى أنه لما خطبها ابن عمها الحسن المثنى بن الإمام الحسن (ع) قال له أبوها الحسين (ع): «أعطيك فاطمة بنتي فهي كامي الزهراء في العبادة، أما

سکينة فلا تصلح لرجل، لأنها غالبًا عليها الاستغراف مع الله. ومن غريب الأمر، أن يذكر أحد المؤرخين وهو الزبير بن بكار في كتابه تسب قريش أن سکينة نفسها كانت تقيم مجالس النساء والشعر والغزل، وأن بيته كان منتدى للرجال والنساء. وفي هذا تزوير متمدد، للحط من قيمة أهل البيت في نظر الناس وتشكيكهم بهم، والحقيقة أن التي كانت تقوم بهذا الأمر هي سکينة بنت خالد بن الزبير، فقد كانت تجالس الشعراء ويتغزلون بها وبجمالها، فرفع ابن بكار هذه الوصمة عن آل الزبير وجعلها في آل البيت(ع)، لأن الوضع السياسي يناسب ذلك. وقد كشف هذا الافتراء أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني حيث قال: إن التي كانت تجالس الشعراء هي سکينة بنت خالد بن الزبير وليس سکينة بنت الحسين(ع).

#### ٣- المرأة رحمة:

ثم يؤكد الإمام(ع) أن وظيفة المرأة هي في ممارسة الاعمال المناسبة لها، ومن أجلها إنجاب أولادها ورعاية أسرتها، فهي لم تخلق لتتحمل المسؤوليات الشائكة والاعمال التي تضر بأئتها بل خلقت لتنظر وردة جيله ورحمة عطرة. فقال(ع): «ولا تُثْلِكِ المرأة من أمرها ما جاؤَتْ نفتها، فإنَّ المرأة رحمةٌ ولَيْسْ بِقُهْرَانَةٍ» وفي هذا إرفاق كبير بالمرأة يناسب مع رقتها وأنوثتها ولا يزيدتها أعباء فوق أعبائها. وقد شرحنا هذه القول سابقًا حين تكلمنا عن اهتمام المرأة بالظاهر.

ثم يقول(ع): «ولا تقدِّم بكرامتها نفسها، ولا تطعها في أن تشفع لغيرها» أي لا تتجاوز بacrامتها نفسها، فتُكْرِمُ غيرها بشفاعتها. وكل ذلك مبني على طبيعة المرأة في الانسياق وراء عاطفتها وتتجاوز حدود حقها إذا أسلس لها العنان. وإن تشفع المرأة للولد بشكل متكرر متسقةً وراء عاطفة الأمومة يسيء إلى تربيته.

#### ٤- المرأة لا تحكم:

ومن هذا المنطلق نهى النبي(ص) عن إمارة النساء، لأنها اذا حكمت تحكم بواها، فتشيع في الأرض الفساد، وهذا من علامات آخر الزمان وقيام الساعة. قال النبي (ص): «إذا كان أمراؤكم أخبازكم، وأغنياؤكم سمحًاكم، وأمراؤكم ضروري

بینکم، فظہر الارض غیر لكم من بطنها. واذا كان أمراؤكم أشراركم، وأغناوكم بخلاءكم، وأمركم الى نسائكم، فبغطن الارض خبر لكم من ظهرها».

وقال الإمام علي(ع): «ومن أمارات الساعة: إهارة النساء والصبيان وكثرة السراري وارتفاع

البنان، ولانقوم الساعة حق نشلل الرجال بالرجال، والنساء بالنساء».

ويقول الإمام(ع) في مستدرك نهج البلاغة ص ١٧٦: «يظهر في آخر الزمان  
واقتراب الساعة . وهو شر الأزمنة . نسوة كاشفات عاريات ، متبرجات من الدين ، داخلات في الفتن ،  
مائلات الى الشهوات ، مشرفات الى اللذات ، متعلات للمحرمات ، في جهنم خالدات».

#### ٥- خطر تمادي الرجل في الغيرة:

ثم ينتهي الإمام(ع) في موعظه حول معاملة المرأة، بنتي الرجل عن القادي في الغيرة على النساء والزوجة، فيبني الطن بين بدون سبب، فان ذلك يولد فيهن رد فعل سبيلاً، فغير الأمور الوسط، وكل شيء في عمله جليل. يقول(ع): «واياك والتغافل في غير موضوع غيرة، فان ذلك يدعوا الصحبة الى الشتم، والبرة الى الريب» فاداً كانت المرأة سوية بريئة فان شدة الضغط عليها قد يولد الانفجار، فتميل الى الشذوذ والى سلوك سبيل الريب.

#### ٦- جهاد المرأة :

نشتغل الان الى بيان جانب هام من وظيفة المرأة الفطرية، وذلك حين تكون زوجة صالحة.

ان سر نجاح الزواج كامن في علاقة الحب والالفة بين الزوجين، وفي التوافق النفسي والروحي بينهما. وتلعب هنا العلاقة الزوجية دوراً كبيراً.

لذلك أكد الشارع الحكيم على تقوية العلاقة ليصون الأسرة ويحمل بناءها قوياً متيناً. ووضع المسؤولية الكبرى في تمتين تلك الرابطة على الزوجة بالذات، لانها أوتيت الوسائل الالزمة لذلك ، واعتبر عملها هذا في تقوية تلك الرابطة مسؤولية كبيرة لا يجوز لها أن تستهين بها، وسمتها «جهاد المرأة» في مقابل «جهاد الرجل» الذي يقصد به مجاهدة الاعداء والسعى في تأمين ضرورات الحياة. وقد ترجم الإمام علي(ع) هذا المعنی بقوله: «جهاد المرأة محسن التبقل» ويقصد

باتباع إطاعة المرأة لزوجها وتأمين كل حاجاته المادية والعاطفية، حتى يظل مشدوداً إليها ومشغولاً بها عن مساواه، فتكون له وزراً يُجتثبه الحرام، وحافظاً يصونه من طوارق الأيام. وفي ذلك يقول النبي (ص): «ما استفاد امرؤ فاندأ بعد الاسلام أفضل من زوجة مسلمة، تسره اذا نظر اليها، وتطييعه اذا أمرها، وتحفظه اذا غاب عنها، في نفسها وماله».

#### ٧- خبر أسماء بنت يزيد الانصارية:

ولبيان الفرق بين جهاد المرأة وجهاد الرجل، وأن جهاديهما متكملاً، نورد قصة أسماء بنت يزيد الانصارية، وافنة النساء على رسول الله (ص).

وبعمل القصة أن أسماء أتت إلى النبي (ص) وهي أصحابه فقالت: يا نبي وأمي أنت يا رسول الله، أنا وافنة النساء إليك. إن الله عزوجل بعثك إلى الرجال والنساء كافية، فأمننا بك وبإلهك. وإنما عشر النساء محصورات محصورات، قواعد بيوتكم ومختضى شهواتكم وحاملاتكم أولادكم. وإنكم معاشر الرجال فصلتم علينا بالجتمع والجماعات وعيادة المرضي وشهود الجنائز واللحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عزوجل. وإن أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أنواعكم، وربينا أولادكم، أفادنا شاركم في هذا الإجر والخير؟ فالتفت النبي (ص) إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: هل سمعت مسألة امرأة قط، أحسن من مسألتها هذه في أمر دينها؟ فقالوا: يا رسول الله أي امرأة تهتمي إلى مثل هذا؟ فالتفت إليها النبي (ص) وقال: «إنهمي أيها المرأة وأغلمي من حلفك من النساء، لأن حُسنَ تبعل المرأة لزوجها وطلباً مرضاته واتباعها أمره، بعدل ذلك كله». (المجالس السنوية ج ٢ ص ١٤٣)

#### ٨- مظاهر نقص المرأة:

نعود الان للحديث عما ختنا به المناقشة الجريئة التي تمت مع الصحفية الإيرانية في طهران.

في بعض النساء يتهمن الإمام علي(ع) بالتعامل على المرأة لأنه وسمها بالنقص. ولكنني أقول ان كلام الإمام(ع) هو من قبيل بيان الحال، وليس مقصوده الخلط من قيمية المرأة تجاه الرجل. لكل شيء لا يعلمه الإنسان هو نقص فيه. وإذا كانت المرأة

ناقصة في بعض الامون، فان الرجل ناقص في امور أخرى، إلا أن الافضلية النهاية هي للرجل، لقوله تعالى: «الرجالُ قُوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَلَ اللَّهُ بِهِنَّمُهُمْ عَلَى بَعْضٍ»<sup>٨</sup> (سورة النساء - ٣٤) ولذلك جعل الله قيادة الاسرة يهدى الرجل.

وقد حدد الامام علي (ع) نقص المرأة في ثلاثة مجالات هي:

«نقص العقول ونقص الحظوظ ونقص الطهارة»

يقول الامام علي (ع) من خطبة له بعد فراغه من قتال عائشة في حرب الجمل، في بيان نقص النساء:

«عما ذكرنا، إن النساء تفاصُلُ الإيمان، تفاصُلُ الحظوظ، تفاصُلُ العقول. فاما نقصان إيمانهن فمودهن عن الصلاة والصيام في أيام حسيهن، وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد، وأما نقصان حظوظهن فوارثهن على الانصاف من مواريث الرجال. فانقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على خدر، ولا نطيروهن في المروي حتى لا يقطعن في المذكر»

وسوف نشرح فيما يلي مظاهر النقص السابقة وعواملها:

#### ١- نقص الطهارة:

وقد عبر عنه الامام (ع) بتفصيل الامان في قوله «إِنَّ النِّسَاءَ تَفَاقِلُ الْإِيمَانَ» ذلك أن العبادة التي هي لُبُّ الإيمان لا تستقيم بدون طهارة. وفي حين يستطيع الرجل ممارسة العبادات في كل وقت، نجد أن المرأة تقتصر عن الصلاة والصيام في أيام الحيض، وهي تتشكل نحوً من ربع حياتها. وسبب ذلك أن المرأة أثناء الحيض تعاني من تبدلات عضوية ونفسية تجعلها غير مهيأة لممارسة العبادات. يقول تعالى: «بِسَأْلُوكَ عَنِ التَّعِيْضِ قَلْ هُوَ أَذْعِي»، ويصبح ذلك بالنسبة للجُنُب من الزوجين، فالجنابة والحيض والنفاس يرافقها ظلمة تُغْشِي النفس لا تزول إلا بزوالها.

هذا وإن حالة الحيض لها تفرضه وظيفة المرأة المقدسة في الحمل والإنجاب والارضاع. فهو ليس منقصة للمرأة بل كرامة تعز بها. لأن المرأة بهذا التحول تكون مُنجية للأجيال وصانعة للابطال.

#### ٢- نقص الحظوظ:

ويقصد به حظ المرأة في الارث، فتضييق النساء على الانصاف من نصيب

الرجال، وذلك في قوله تعالى «للذكرين مثل حظ الأنثيين» وهذا في نظرى تكريم كبير للمرأة. ففي حين لم يطالب الإسلام المرأة بأية تفقة لاحق، نراه يعطيها نصف ما يعطى الرجل. بينما طالب الرجل بالاتفاق على أسرته ووالديه وحتى على إخواته إن كانوا عاجزين. فالتفريق في سهم الارث إنما هو من مستلزمات التباين في الوظيفة والتوكيل بين الرجل والمرأة. ولو أعطى الله المرأة كالرجل في تلك الحال لكان ذلك ظليلاً وجوراً.

وهذا النقص أيضاً ليس مداعاة للحط من قيمة المرأة، وإنما هو لتحقيق العدل والأنصاف، والتعادل بين الحق والواجب.

### ٣- نقص العقول:

وقد شرحنا جانباً من هذا النقص حين بتنا التفاوت بين المرأة والرجل من حيث توزيع العقل والعاطفة، ليقوم كل منها بدوره على أحسن وجه.

وقد ورد هذا النقص على لسان الإمام(ع) في موضع آخر من النجع، وذلك في وصيته لعسكره قبل لقاء العدو بصفين، حين وضاهم بعدم التعرض للنساء بأذى، وأن تقوهن بالفاظ السب والشتم. يقول(ع): «ولامبجوا النساء بأذى، وإن شمن اعراضكم وستبنن أمراءكم، فإنهن هميفات الفوى والأنثى والعقول».«

فن صفة النساء اذا أثيرت حفيظتهن، أنهن يسترسلن في التفوء بأنواع الكلام، دون أن يستطيعن كبح جاح أنفسهن وعاطفتهن. ولهذا السبب كانت المرأة في الماضي اذا تكلمت أمام السلطان أو الأمين، فلا يحاسبها كما يحاسب الرجل، بل يقول: أنها امرأة والمرأة تتكلم بعاطفتها.

ومعنى السبب اعتبار الشارع المقدس شهادة المؤتين كشهادة الرجل الواحد، لأن المرأة بدافع حاطفتها الغالبة عليها يمكن أن تُحقر مضمون الشهادة فتخربها عن حقيقتها، اضافة الى أنها كثيرة النسيان وقليلة الدقة المقلية.

ولا يبني ذلك تمنع بعض النساء بعقول ناضجة قد تفوق عقول الرجال. ومن أقرب الأمثلة على ذلك تلك المرأة المهزومة التي ناقشت عمر بن الخطاب في مهر النساء فأفهمته حتى قال: لا تتعجبون من إمام أخطأ وأمرأة أصابت، فاذلت إمامكم

## خبر أم البنين مع الحجاج:

ومن ذلك خبر أم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك حين جادلت الحجاج الشفني فأفحنته. فقد روى ابن قتيبة في (عيون الأخبار) أنه لما دخل الحجاج على الوليد بن عبد الملك ، وعليه درع وعمامة سوداء وقوس ، بعثت إليه زوجته أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان تسأله: من هذا الاعرابي المستثنى في السلاح عنك وأنت في غلالة؟ فأرسل إليها قاتلاً: هذا الحجاج. فأعادت الرسول إليه فقال: إنها تقول لك : والله لأن يخليوبك تلك الموت في اليوم أحياناً أحب إلي من أن يخليوبك الحجاج. فأخبر الوليد الحجاج بذلك وهو يازحه . فقال: يا أمير المؤمنين ، ذَعْ عنك مفاكه النساء بزخرف القول ، فاما المرأة ريحانة ، وليس بتقهرمانة ، فلا تُطلعن على سررك ولا تدخلهن في مشورتك .

فليما دخل الوليد على زوجته أخبرها وهو يمازحها بمقالة الحجاج . قالت: يا أمير المؤمنين ، حاجتي أن تأمره غداً أن يأتيقي مُستلماً . ففعل ذلك ، فلما أتتها الحجاج حجبته ، فلم يزل قائماً حتى أذنت له . فقالت: يا حجاج ، أنت المُستئن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وبقتل الرحمن بن الأشعث! أما والله لولا أن الله علِم أنك شرُّ خلقه ما ابتناك برمي الكعبة الحرام ، ولا بقتل ابن ذات النطاقين (أي عبد الله بن الزبير الذي أمه أسماء بنت أبي بكر) ، أول مولود في دار هجرة الإسلام! وأما نهيك بأمير المؤمنين عن مفاكه النساء وبلغه لذاته وأوطاره ، فإن كُنْ ينفرج عن مثلك فما أسمه بالأخذ منك ! وإن كُنْ ينفرج عن مثله فهو غير قابل ذلك .. ثم أمرت جوارها فأنحرجته.

(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد طبعة مصر ج ١٦ ص ١٢٦)

ومن أراد المزيد من هذه الأخبار الطريفة فليراجع الكتاب الجامع: آثار ذوات السوار جامعه محمد علی حامد حشيشو . طبع صيدا.

## ٤ - التحفظ في إطاعة النساء.

ثم يعقب الإمام (ع) بقوله: «فَأَنْفَقُوا شِرَازَ النِّسَاءِ، وَكَوْلَوْا مِنْ عِبَارَهُنَّ عَلَى خَذْرٍ»

ولأنه يعوّل في المعروف حق لا يطعن في المنكر». وفي هذا بيان واضح إلى أن النساء ليسن بصفة واحدة، فهن الصالحات وهن المؤمنات، ومنهن الشريرات وهن الفاسقات والكافرات.

وعلى المؤمن أن يجتنب النساء الشريرات، ولا يستسلم للنساء الصالحات، بل يكون حذراً من انتلاقهن إلى المحرام. وإذا كُنْ صالحات فلا يطعنن في كل شيء، لأن اطاعتهن في كل مطلب يُشجعنهن على القادي في الطلب، حتى يطلبن المنكر.

#### خامسة

وأختم حديثي بالقول: إن نظرية الإمام علي(ع) هي عين نظرية الإسلام، ونفس نظرية النبي(ص)، فهو الذي تربى في أحضان النبي(ص) وزقه العلم زقاً، حتى أصبح بباب مدينة العلم. وأضافة لعلمه الرحيب، فقد تبتهى ذلك العلم في أعماله وأفعاله، حتى أصبح القدوة الرائدة للمسلمين، فُسْمِيَ لذلك إماماً، دون غيره من الأنبياء. فتتمثل الإسلام في شخصه وفكرة نموذجاً حياً صادقاً، كما تمثل هو في ضمير الإسلام والمسلمين إماماً هادياً علينا.

ولاعجب في ذلك ، فالإمام عليه السلام هو القرآن الناطق في مقابل القرآن العصامت ، وهو أحد الثقلين مع القرآن ، اللذين لن يفترقا حتى تقوم الساعة ، مصداقاً لقول النبي(ص) في حديث الثقلين:

«وافي نارك فيكم ما ابنتم سنتكم به لن تصلوا بعدي أبداً، الثقلين: كتاب الله عزوجل وعترتي أهل بيتي، فلا تقدّمواها فتلهكوا، ولا تغتصروا عنها فتزهقوا، ولا تعلمونهم فائهم أعلم منكم، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنها لن يفترقا حتى يردا على المو尸. فانظروا كيف تحملوني فيها»  
ثم أخذ بيده على فرمها فقال:

«هذا على مع القرآن، والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا على المو尸».



تعليقات على هذه المقالة



## تعليقات على «المرأة في بحث البلاغة»:

- ١— هذا ليس هو السبب الرئيسي هنا، وما ذكره المؤلف بقوله: «(وسيماً) لتحديد عوامل السوق هو الأهم بالإضافة إلى أنّ الإسلام يسمى لتركيز عامل الثقة في ساينز الزوجين... إلى غير ذلك مثلاً مجال له هنا.
- ٢— أي ذلك الرجل الذي لا يستخدم قدراته في خدمة الحق والآنسانية.
- ٣— هناك بعض الاختلاف النوعي أيضاً، بلاحظة الدور الذي أهلت المرأة للقيام به... ويلاحظ ذلك في كلمات نفس المؤلف التالية أيضاً...  
«إذا كانت الغيرة تصل إلى حد تنسى معه الله سبحانه بـل وتحتمل معها أوامره تعالى وتواهبه بشكل على وسافر وعن سابق توجيهه واتصاله؛ فإنّها تعني أنها في حالة غيرة وفورة لا تعرف بسلطان الله سبحانه ولا تخضع لأوامره وزواجه... ولعل هذا أقرب إلى ما يرمي إليه الإمام علي (ع) من كلامه المأثور: «غيرة المرأة كفر».
- ٤— ولعل الأقرب إلى ما يرمي إليه أمير المؤمنين (ع) من كلامه هذه، هو أنّ المرأة كثيراً ما تؤذن الرجل عن محمد أو من غير عمد، ولكنها وبلاحظة وضمنها العاطفي والأثنيي الكثير له تحيل الرجل ليس فقط لا يجد الملبتها وإنما هو يبتئل بها أيضاً.
- ٥— البحث المختصر فهني، فيه الكثير من الأخذ والردة بين الفقهاء، وما ذكره المؤلف هنا هو مارأه مناسباً بحسب سياق بحثه هذا.
- ٦— لا ريب في أن من المثير للسراويل هو أن لا ترى الرجل ولا الرجل يراها كما قررته الصديقة القاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام في مقام جوابها لسؤال أبيها الرسول الأكرم (ص) لها من ذلك... ولكن ذلك ليس هو كل ما يتبين أن يقال في هذا المجال... وإنما... فإن المقامات والأحوال مختلف... فقد يفرض الواقع الموضوعي على المرأة أن تقف مع الرجل حينما لم جنب تسجيل موقفاً نسائياً ورسالياً يدفع اليه التكليف الشرعي وضرورة الحفاظ على حياة الإسلام وعلى حريته، وعلى حدوده وثغريه... ولأنه ذلك ثيد «فاطمة الزهراء» ومن بعدها ابنتها العقلية «زيتب» وسواها من عقائل الرسالة يشاركون في تسجيل موقف رسالية وسياسية علنية وفي ملأ من الناس... مع عدم التخلّي عن الالتزام بالمحاجبات وعدم الإخلال به... وإذاً فإن

من المناسب إلقاء نظر القارئ إلى أنّ الظروف تختلف وتتفاوت وبتماً ما يحصل الاختلاف والتفاوت في الوظيفة الشرعية الإلهية التي لا بدّ من إلتزام بها وأدانتها على النحو الأفضل والأكمل ...

٨ — هذه الآية ليست في مقام تقرير الأصلية النهائية والمطلقة للرجل على المرأة وإنّما هي مقام اعطاء الرجل حقّ القبومنة على المرأة وتقديره؛ أنّ القرار النهائي يرجع إلى لأنّه هو الذي يتصدى للإنفاق على المرأة ولأنّه هو الذي يملك قدرة أكبر على اتخاذ القرار الأنسب مادام أنّ عواطفه ليست بدرجة من القوة بحيث تهجن على عقله ولأسباب أخرى شرح جانباً منها المؤلف نفسه فيما تقدّم وفيما يأتي.

# من وحي نهج البلاغة

حسين مسعودي



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآلـهـ: أما بعد:  
كما أنه لا يقدر أن يصف نور السموات والارض إلا نور السموات والارض ولا يقدر  
أن يصف كتاب الله إلا كتاب الله فكذلك لا يستطيع أن يصف نهج البلاغة إلا  
نهج البلاغة. اللهم إلا كما يقال عن البحـرـانـ لـجـيـ أوـ الشـمـسـ إنـهـ مـضـيـةـ أوـ الكـونـ  
إـنـهـ فـسـيـعـ أـمـاـ إـنـ يـحـاطـ بـنـهـجـ الـبـلـاغـةـ اوـ تـرـدـكـ غـايـةـ اوـ يـسـرـ غـورـهـ اوـ يـلـغـ كـتـبـهـ فـهـذاـ  
ماـ الـيـسـنـىـ لـتـتـبـعـ وـلـيـتـهـاـ لـسـقـصـ لـأـسـتـشـيـ منـ ذـلـكـ عـالـمـ وـلـاجـتـهـدـ مـهـمـاـ عـلـاـ شـائـهـ  
وـرـسـخـتـ قـدـمـهـ لـأـنـ فيـ هـذـاـ الـكـتـابـ مـنـ الـعـلـمـ الـالـلـهـيـ وـالـكـوـنـيـهـ وـالـغـيـبـيـهـ وـالـرـيـاضـيـهـ  
وـالـتـرـبـوـيـهـ وـالـتـعـبـوـيـهـ.

مالاين رأت ولا دون سمعت ناهيك عنها اشتمل عليه من الاغراض النوعية  
الاخري كالبدنية والمعاشية والتعابيرية والاجتماعية والاقتصادية والاحتجاجية وما إلى ذلك  
من ترغيب يجعل لك الجنة بمحورها ولدانها ومن ترهيب يستثير عليك النار بمحورها  
وسعيرها فلو أن أمره أوثق فصاحة سجان وقس بن ساعدة مزدوجين لما قدر ان يعطي  
ناحية واحدة حقها ويلم بمحابرها ويقص عن مكتنواتها بما كان عليه أمير المؤمنين  
علي ابن أبي طالب عليه السلام واما تحليل بريق من هذه النواحي الخارقة في خطب  
نهج البلاغة هذا الكتاب القدسي الذي ألقه وجع أشتاته ومترفقاته الشريف الرضي  
السيد ابوالحسن محمد بن أبي احمد الحسين الموسوي طيب الله ثراه وهل من وهب

لطاقة الحسن وصفاء الذهن وصحة التعبير إلا أن يكون عيّنة اللسان ناضج البراع كليل النظر عن ان يتكلّم أو يخاطر أو يصور عظمة وسمو واسع نبع البلاغة الذي قيل عنه وهذا اصبح تعبير (انه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين) فكيف بواضع نهج البلاغة أمير المؤمنين علي(ع) الذي هو بباب مدينة العلم يغتني أهل التوراة بتوراتهم وأهل الانجيل بانجيلهم وأهل الزبور بزبورهم وأهل الفرقان بفرقائهم، إنه أمير المؤمنين في بلاغته وعلمه وفضله في فضائه وسبيقه في اسلامه وشجاعته في مواجهة انه أمير المؤمنين في قريبه من رسول الله(ص)، كهرون من موسى وشهادة النبي بأنه اليمان كله يوم برب لعمرو إنه أمير المؤمنين في رده الشمس واخباره بالغيبيات الى جانب تقاه وزهذه وغالص توحيده الذي لا ادل عليه من قوله - ما وحى الله من كثيرون ولا حقيقة أصاب من مثله ولا يباء عنى من شبهه ولا صدمه من أشار اليه وتوهّمه كل معروف بنفسه مصنوع وكل قائم في سواه معلول فاعل لا باضطراب آلة مقدرة لا بجهول فكرة غني لا باستفادة لا تصحبه الاوقات ولا ترفده الا أدوات سبق الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداه ازله بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له وعضاذه بين الأمور عرف ان لا ضد له وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لا قرين له خاده النور بالظلمة والوضوح بالبهيمة والجمود بالبلل والحرور بالصرد مؤلف بين متبايناتها مقرب بين متبايناتها مفارق بين متدايناتها لا يشمل بمحى ولا يحيى بعد واما تحد الادوات انفسها وتشير الالة الى نظائرها منعتها منذ القديمة وحثتها قد الأزلية وجنبتها لولا التكملة بها تحلى صانعها للعقل وبها امتنع عن نظر العيون لا يجري عليه السكون والحركة وكيف يجري عليه ما هو اجراء ويعود فيه ما هو اداء ويمتد في ما هو أحداثه اذا التفاوت ذاته وتتجزأ كتبه ولا متن من الاذل معناه ولكن له وراء اذ وجد له امام (ال آخرها) - الله اكبر، ماعلى وارفع وأرق وأسمى هذا النموذج التوحيدى وكم له في نهج البلاغة من أمثال وأشباه عز نظيرها وامتنع مشبهها ما أوجب على الشرييف الرضي ان يقول - كان أمير المؤمنين (ع) مشروع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه ظهر مكتونها وعنده أخذت قوانينها وعلى امثاله هذا كل قائل خطيب وبكلامه استمعان كل واعظ بلين وان كلامه هو الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبة من الكلام النبوى وليس كلامه إلا البحر الذي لا يسأجل والحمد الذي لا يحافل - كما حدا بابن أبي الحديد شارع النبع أجزل الله ثوابه ان يقول، وماذا اقول في رجل تعزى اليه كل فضيلة وتنتمي اليه كل فرقة

وتجاذب كل طائفة فهورئيس الفضائل وينبوعها وأبوعذرها وسابق مضمارها وجعل حلبتها كل من بنغ فيها بعده فعنده أخذ وله اقتني وعلى مثاله احتذى: وزاد على هذا بقوله في شعره:

(تفايلت افعال الربوبية التي عذررت بها من شك انك مربوب)

وهو مادعا الامام الشیخ محمد عبد رحيم الله في مقدمة شرحه للنیج ان يقول -  
 كلما انتقلت من موضع الى موضع في نبع البلاغة احسن بتغير المشاهد وتقول المعاهد  
 فسارة اجدني في عالم يغمره من المعانی ارواح عالية في حل من العبارات الزاهية  
 تطوف على النقوص الزاكية وتتدنو من القلوب الصافية توحی اليها رشادها وتقوم منها  
 مرادها وتُنفرد بها عن مذاخرن الزلل الى جواد الفضل والكمال: الى ان يقول:  
 وأحياناً كنت اشهد ان عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدانياً فصل عن الوكب الالهي  
 واتصل بالروح الانساني فخلصه من غاشيات الطبيعة وما به الى الملكوت الاعلى وما  
 به الى مشهد النور الاجل ... وآنات كأنی اسمع خطيب الحکمة ينادي بأعلیاء  
 الكلمة وأولیاء أمر الأمة يعرفهم موقع الصواب ويصرهم مواضع الارتیاب ويعذرهم  
 مزالق الاضطراب ويرشدhem الى دقاق السياسة ويهديهم طرق الكیاسة ويرفع بهم  
 الى منصات الرئاسة ويصعدهم شرف التدبیر ويشرف بهم على حسن المصیر.

اقول: وهل تعني هذه الاقوال من هؤلاء الرجال الاعلام ذوي الشأن والمقام في  
 عالم الرق الفكري والتحيص العلمي والتوجیه الاجتماعي والتنتقب عن الحقيقة في  
 مكانتها والكشف عن جوهريتها واخض عن صياتها إلا عن اهلها المقدرين قدرها  
 الآوين الى ظل نعمتها والموطنين النفس على اعتناق ايجيابياتها ونبذ سلبياتها. اتها  
 ولاشك تعطينا الشاهد العدل والقول الفصل على أن أمیر المؤمنین علی عليه السلام هو  
 لاغيره بعد النبوة المثل الاعلى للكمال الانساني والصفاء الروحي والعلم اللدنی  
 والوارث الاول والآخر لحكمة الرسول الاعظم(ص) وفصل خطابه ...

وهل التق عشوقي بحالقه. مثل ما التق به أمیر المؤمنین(ع) في نبع البلاغة علماً  
 وتوجهياً وتنزيهاً وزهداً وحكمة وصبراً وتسليمأً وأمراً معروفاً ونبيهاً عن منكر اذا كل  
 غريبة من غرائبها وكل مواعدة من مواجهة وكل حکمة من حکمه تضرب اليها آباط  
 الابل وتقص في ادراکها المسافات وتستفرغ لاجلها الجيوب. ولا مشاحة ولا جدال بان  
 من يحاول أن يعرف علياً(ع) من زاوية غير زاویته الخاصة المثلثة في منطق

نجح البلاغة ومسترشداً بأفعاله المؤيدة بعوادة النبوة لها ووقف تعاليم الاسلام ونظمه بازائتها فاغما يرجع من محاولته وعلى عينيه غشاء الخيبة وفي حقيبته حصيلة الافلاس - ولابد من القول بأن نجح البلاغة هو الجامدة الرحانية في الارض تتولى التدريس فيها ملائكة النساء فتخرج من بين جدرانها ومن على مقاعدتها أفواج العارفين الممتهدين المسترشدين برؤيه الحقائق البردة واللطائف المؤكدة فيحيون ويحيونون ويفنون فيفنون تاركين وراء ظهورهم مايذهب جفاء للمعتبرين الواهين ومقدمين مايتفع الناس ويعكث في الارض صدقة بين ايديهم للمتدبرين المتبعرين . فسلام عليك أيها النهج السوي والحليل المتن والعروة الوثقى والجامعة السماوية في الارض والسلام من السلام على من أنسى بنبيان هذه الجامعة ورفع قواعدها وضمن بقاعها وعظمتها وتخلودها هدانا الله صراط اسلامه وبصرنا بأنوار معارفه وجعلنا بهديه من الممتهدين .

وما يتافق مع ما نحن بصدده مسبق لي أنا العاجز أن قلته في غدير بيبي المستوحاة من أحد البيعة لأمير المؤمنين يوم الغدير ثامن عشر ذي الحجة الحرام

(منها) ...

ساق الشدیر علی الصراط مداما  
للمزتھی حقاً علیه لزاما  
جازت هناك المعد والأرقاما  
في جهنا الألباب والأقماما  
بهر العبوب واذهل الاحلاما  
الله اکبر مبنیاً ومراما  
وهما بهما الامراح والاجماما  
بده هبا كلها ثرى وحطاما  
وبصده عنہ مهاجن طفاما  
بتلقبه للوحش البدئي طعاما  
مل كان إلا للمعد حماما  
وضاعة عنها الفلال تعامي  
وأخذوا ووارث حکمة واماما  
إلا كما نثر الخضم غماما  
ولن بواليه هوى وغراما  
أعبر الملائك مجدداً وقباما

شائب ما فاز امرأً بصفه  
كلاً وليرف العمل من لم يجد  
ماداً أعدد من منافبه التي  
نجح البلاغة اغرت أمواجه  
ومغيبات العلم جلاها بما  
والشمس من بعد المذهب اعادها  
وبذى الفقار طفاه مكة فلها  
واللات والمرى هنا تلك غادرت  
من ذا سواه في فراث المصطنع  
من ذا العمرو غير فارس هاشم  
في كل ممنراك لنصرة دينه  
هو ذا أمير المؤمنين بصورة  
هو ذا أمير المؤمنين خليفة  
ليس الزمان بناشر من فضلاته  
بارب زدنا في الولاء لخبار  
واكتب لنا في يوم عبد غدبته

وأجعل لنا أرحام آل محمد  
صل وسلم ذوالجلال على الذي  
أزكى وعطر هبته الأنماط  
والحمد لله رب العالمين. وصل الله على محمد وآل



# الزهد في نهج البلاغة

عيسى سليمان حبيب

سوريه



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حداً يليق بجلاله، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله.

من مك الحثام في كتاب الله، وعزيز آية: قوله تعالى:

«أَتَيْمَ أَكْفَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعَمِي، وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنَكُمْ»

من كمال الدين أصولاً وفروعاً وبقيام حافظة، ومن تمام النعمة بالهدایة

والولاية، ومن رضا الله تعالى لنا تسلیم أمرنا للولي، من كل أولئك نود أن نستخلص

حقائقين:

- الاولى: أن الإسلام الذي ارتضاه لنا سبحانه مدرسة إنسانية شاملة لكل جوانب  
حياة الإنسان الروحية والمادية، وكل قضايا دينه ودنياه، ولا مراء في أن رسالة  
الإسلام أكمل نداء تلقت الأرض من السماء، وأجل حلقات دين التوحيد. وافصح  
رسالاته بإvana لصلة الإنسان بخالقه، والدنيا بالآخرة وأدفها وصفاً لكل من الطريق  
إلى حسن الثواب، والطريق إلى سوء المآل.

وإذا كان محمد صلى الله عليه وآله المعلم الأول في هذه المدرسة العظيمة، وكتابه  
(القرآن الكريم) أول كتب فيها، يليه حديثه الشريف «وما ينفع عن المرى إن هو إلا ذريء  
بوجي» صار واضحاً وسهلاً أن نستخلص الحقيقة:

- الثانية: وهي أنَّ عليًّا بن أبي طالب عليه السلام المعلم الثاني فيها، وخطبة الشريفة التي يضمُّ معظمها كتابُ (نوح البلاغة) هي الكتاب الثاني فيها.

على علبي السلام ربيب بيت النبوة، عرف التوحيد قبل المؤمنين بستين وعبد الله مع محمدٍ(ص) قبل الدعوة، وأُوتي من علم الكون تسعة أعشار وكلُّ الناس عشراء، لم يكن تنميذ النبي وابن عمّه فحسب بل كان منه كمال صلاة الله عليه والله:

«عليٌّ مني بعنزة وأبي مني جحدي»<sup>١</sup>

ولم يكن حافظاً للقرآن الكريم فحسب أو عالماً لأسراره يُؤثِّر سبعين جلاً من سورة الفاتحة فقط، بل كان

«علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علىَّ الموضوع»<sup>٢</sup>  
ولأنَّ بالغ إذا قلنا إنَّ الحديث الشريف لا يجعله تابعاً للقرآن بل صنوا له إذ كلَّا هما  
تابع متبع. وأمام هذا الحديث الذي (وما ينطق عن الهوى) يصرُّ قول الخليل بن  
أحمد:

(احتياج الكل إلى، واستنفاثة عن الكل، دليل على أنه إمام الكل في الكل)<sup>٣</sup>  
فلا عجب أن يكون الإمام على عليه السلام مدهشاً للدارسين على اختلاف  
عقائدهم ومشاربهم فايقادوا الواحد منهم يقترب من بحره حتى يقدم لدراسته أو كتابه  
بالتعبير عن شعور بالهيبة وكأنه أمام عيطة زاخر لا يعرف أني يخوض ولا كيف يخرج.  
بمثل هذا الشعور ستحاول قراءة (الزهد) كجائب من شخصيته عليه السلام من  
خلال خطبة واقواله التي يضمها كتاب نوح البلاغة الذي كان للشريف الرضي  
طيب الله ثراه. فضل جمه، وهو مازال فيما كتاباً لم نقرأه حقَّ القراءة، ونبراساً  
لم تستحضر به حق الاستضافة. محاولين التزام الكتاب دون التاريخ والاخبار، نظراً  
لوفتها ولأننا لن نستطيع الإتيان بشيء منها إلا مكرورا.  
ما مفهوم الزهد عنده؟ فهو خلق معجز لا نستطيع بلوغه؟ أم مدرسة نتعلم منها قدر  
ما تستطيع؟ فهو خصمٌ فلسفة؟ أم جادة صواب؟ أم ثورة روحية؟ أم وسائط؟  
ما يسمى به؟ ماغياته؟ أين الرهبانية والصوفية منه؟.

١- إمامه عن (ع) السنة ١٩٩ نقلًا عن ذخائر العقبي  
٢- إمامه عن (ع) السنة ١١٠ نقلًا عن كتاب معرفة الصحابة  
٣- نصيف، نوح البلاغة الصفحة ٧٠، بلا إساد

### ١- معنى الزهد وحدوده:

الزهد بالشيء - لغة - ضد الرغبة فيه، وعرفاً : الإعراض عن مباح الدنيا وملاذها أو منتهاها. فما الزهد في عرف الامام (ع)؟

«الزهادة: قيصر الأمل، والشكير عند النعم، والتزوج عند المحارم»<sup>٤</sup>

وجاء في شرح ابن أبي الحديد: (فسر عليه السلام الزهادة - وهي الزهد بثلاثة أمور... فقال لا يسمى الزاهد زاهداً حتى يبلغ هذه الأمور الثلاثة) ثلاثة مبادئ أو أركان يقوم الزهد بها مجتمعة: .

- أما قصر الامل فهو عدم الركون، إلى متع الدنيا لسرعة زواله وضآلته شأنه إذا ماقيس بمتاع الآخرة، ولأنه يشغل عنها ما يستزيده من رغبة الإنسان في الدنيا. ولذا قال المعلم الأول محمد صلى الله عليه وأله:

«لَا تَنْخُذُوا الضَّبْحةَ فَتَرْغِبُوا فِي الدُّنْيَا»<sup>٥</sup>

- وأما الشكر عند النعم فنجاة من البطر، وحفظاً على صلة لابس النعمة بواهبها وهذا بالتالي منجاة منه الركون إلى الدنيا ونسيان النعم الكريم.

- وأما الورع عند المحارم ففيه حفظ النفس وحماية لها من المعاصي : ومن الحيدة عن الحق.

«فإإن عزب عنكم فلا يغلب الحرام صبركم، ولا تنسوا عند النعم شكركم»<sup>٦</sup>  
 فإن عزب (أي بعد) أو شق عليكم بلوغها مجتمعة، فلتغاليبوا ما يسيبوا أنفسكم من حرام الدنيا وهذا يحتاج إلى صبر. وأديموا الشكر عند النعم كيلا تغلبكم الدنيا فهل تكون زهاداً بهذه الشرطين؟ قال ابن أبي الحديد: «أمران من الثلاثة لا بد منها وما الورع وشكر النعم جعلهما آكلاً وأهم من قصر الامل»  
 وخلافاً لرأي الشارح الجليل، لأنرى أن الزهد يبلغ بها ولا أن قصر الامل أقل منها أهمية، وقد أكدت خطب الامام (ع) وأقواله أهمية الاستهانة بالدنيا لبلوغ الزهد ومن ذلك قوله:

«أعنوف ما أخاف علىكم: اتباع الموى، وطول الامل؛ فاما اتباع الموى فقصد عن

٤- شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٨٢  
 ٥- رياض الصالحين ص ٢٢٧

الحق، وأما طول الامل فيبغي الآخرة<sup>٦</sup>

وما دام طول الامل ينسى الآخرة ولا زهد مع نسيان الآخرة، فلازهد بلا قصر الامل، ويزداد الامر وضوحاً ورسوخاً بقوله عليه السلام:

«الزهد كثرة بين كلمتين: قال سبحانه: «لکبلا تأسوا على مافاتكم»، ولا نفرحوا بما

اتاك من لم يأتى على الماضي، ولم يتحقق بالافي فقد أخذ الزهد بطريقه»<sup>٧</sup>

أفلا يعني هذا أن قصر الامل في الدنيا يشكل القاعدة الامامية التي يقوم عليها الزهد؟ إنه ليدركنا بتقسيمه للناس أمام الجنة والنار إلى ثلاثة: ساع سريع نجا، وبطيء رجا، وقصير هو.

أما الزاهد العابد الذي أخذ الزهد بطريقه فقد سعى إلى الآخرة سريعاً فنجا، وأما البطيء الذي عاقت الدنيا سعيه فراح يغالبها صابرًا شاكراً فقد رجا رحمة الله ومن لم يفر بشيء مما نشيق فقد هو.

مبادئ بسيطة يقوم عليها الزهد في مدرسة الامام المتقدمة من مدرسة إسلام اذا اجتمعت بلغ بها الزاهد مرتبة الكمال البشري وان لم تختم بلغ مادون ذلك . فليس الامر معجزاً، ولا هو وليد تأويلاً فلسفية كمسارى في الصوفية، بل هو مدرسة نتعلم فيها الاهداء إلى جادة العبور من الدنيا إلى الآخرة.

وبالبساطة نفسها يجلو الإمام (ع) الصلة بين الدنيا والآخرة:

«الدنيا دارُ عمرٍ، لا دارٌ مُقْرٌ»<sup>٨</sup> او «إنما الدنيا دارٌ مجاز، والآخرة دارٌ قرار، فخذلوا من

مذكركم لحرككم...»<sup>٩</sup>

الرحلة شاقة لما حقيقت به من بارج، والدرب كثيرة المزالق والمداخن. فمن اجتازها جاداً إلى قصده. لم يثنه جمال الشهيد عن طلب المaram ولم يشغله جمال الرياض والوان الجبال إلا يقدر ما يخفف من وعاء السفر ولم يعنجه فوتها مادام يقترب من القصد. أما من اجتازها بطيئاً فسوف يشغلها ماحق بها عن السعي الحاد.

«فإنه الدنيا مشتعلة عن غيرها، ولذلك يصعب صاحبها مهاشياً لافتتح له حرصاً عليها»<sup>١٠</sup>

٦ـ شرح محمد عبد المصفحة ١٠٠

٧ـ تصنيف نجح البلاحة ص ١١٦

٨ـ شرح محمد عبد ص ٥٩١

٩ـ شرح ابن أبي الحبيب ٣ ص ٢

١٠ـ شرح ابن أبي الحبيب ٤ ص ١٨٤

يمكن أن نعرف (الزهد) هنا بأنه ذلك النضج العقلي أو السمو الإنساني الذي بلغ بصاحبه ذروة من الكمال يُطلُّ منها على الدنيا فجده لعين عقله أقلَّ شأنًا من أن يشغله عن حقيقته الازلية وهي صلته بالخالق وشوقه إلى وجهه، أو بعبارة أبسط: يبدو كل مافيها وسيلة والآخرة هي الغاية، عملاً بالالية الكريمة:

«وابيتح في آناتك الله الدار الآخرة. ولا تنس نصيتك من الدنيا»

## ٢- من الزاهد؟

بعد أن نبيّنا جادة الصواب في الزهد، يجدربنا أن نبحث عن صورة حياة الزاهد في الدنيا، فرّما قدم لنا الوصف مزيداً من وضوح النجح أمامنا، وقد ورد في كتاب النجح وصف الزهد في أكثر من موضع ولكن أوجزه وأشمله ماجاء في:

«كانوا فرماً من أهل الدنيا وليسوا من أهلها، فكانوا فيها كمن ليس منها، عملوا فيها بما يبصرون، وبادروا فيها بما يخدرون، تقلب أبدانهم بين ظهوراني أهل الآخرة، وبرون أهل الدنيا يعطّلون موت أجسادهم، وهو أشد إعظاماً لموت قلوب أحيانهم»<sup>١١</sup>

الزاهد: من أهل الدنيا، يعيش جسدياً على الحبز والماء والهواء.

وليس من أهلها فيما عدا ذلك؛ فهو مشغول بالآخرة إنفاذهم بالدنيا. يفتدى بعقله (بصيرته) افتداءهم بأهواهم، يطلب الموت بمقدار ما يفرون منه لأنّه مطعن إلى مابعده وهم خائفون، عصم بذاته عن ملادها ونذرها للآخرة بقدر ما أعرفوا أبدانهم بالائع، فهان عنده موت الجسد بقدر ما عظم عندهم، واستعظم رسوخ قلوبهم في الدنيا بقدر ما غرقوا في الغفلة. وكأنَّ الغربة في الدنيا صارت شعبَة من شعب الزهد. وهذا مصدق الحديث الشريف:

«الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر»

ونقرأـ في هذاـ القاعدة الاساسية لحياة الزاهد لاجلة اخلاقه ومبادئه وفضائله التي ستعود إليها في بحث سمات زهد الامام(ع)

## ٣- نشأة الزهد:

كلُّ حلقات الدين السماوي، وجلّ العقادٍ الوثنية. حتى الإنسان على الخير

حسب مفهومها وأغلبها وعد الانسان بالثواب وأواعده بالعقاب، وأكثرها عرف لونا من الزهد أو جذراً من جذوره، وأقربها إلى إسلام زهد السيد المسيح عيسى بن مررم عليه السلام. وعرفت أطاف الجزيرة العربية قبل بعثة محمد (ص) صوام، وأديرة، انقطع فيها رهبان ونساك للعبادة القراءة وكان هولاً، يبشرون بظهور نبي تحدث عنه كتبهم (الراهب بحيرى)

ويحاول بعض المستشرقين أن يصلوا بين زهد أولئك وزهد مدرسة الإسلام وقد كثرت الآراء والأقوال في ذلك حتى أنها لا تستطيع تفنيدها في هذه العجلة إلا أن أمر رفض الإسلام للرهبانية التي ابتدعوها واضح في الآية الكريمة:

«ورهبانية ابتدعوها عليهم إلا ابتناء رضوان الله فأدارعواها حق رعايتها»

وعلى الرغم من تقدير الرسول الكريم (ص) لعلم المؤمنين منهم فإن حديثه (لرهبانية في الإسلام) مشهور، وما ذلك إلا لأن أهلها لم يربعواها حق رعايتها فتحولوا إلى هرب من الدنيا وتخل عن الواجبات والفرائض وهذا ماسنعود إلى تفصيله.

أما فصل الزهد في مدرسة الإمام فهو من صميم مدرسة إسلام العظمى تابع بالفطرة من عمق إيمان الإمام (ع) وتلامذته، وتطبيع تعاليم القرآن بصدق في حياتهم، وحملهم راية الإسلام عبادة ونوره. فكيف نشأ زهد؟

- كان الإمام (ع) أعمق المؤمنين مصلةً بالقرآن الكريم، فقد عبدالله مع النبي (ص) قبل أن يبعده أحد وسمع القرآن قبل أن يسمعه أحد:

«كنت أسمع الصوت وأبهر الشهوة مني سبأ»

وهو بعد غض الاهاب، مرهف القلب، متقد الفكر، مرهف المشاعر فنزل القرآن على قلبه نزول المداد على الرقة البيضاء

- نزلت السور القرآنية بيان ساحر ووصف مؤثر فحققت من شأن الدنيا أبلغ تحفه وعظمت شأن الآخرة بحالها جحيماً ونعمياً.

فإذا صور جهنم مرعبة ينخلع لها القلب، وترتعد الفرائض وتصفر الوجوه.

وإذا صور الجنة أخاذة رائعة بين سعادة روحية ونعم بدنى، ينشرح لها الصدر، ومحن النفس وينحرف الضمير إلى الثواب، حتى تندو النفس البشرية وكأنها زجاجة صافية مافيه إلا إشراقه العقل ووجيب القلب.

- ومن ثم جاءت موعظة الإسلام تضيّع جادة اليدين وتحذر من جادة الشمال فتصف المؤمنين في الدنيا بالورع والتقوى والإيثار والتواضع والرحمة والزهد في الدنيا وتصفهم في الآخرة متكثن على الأرائك تشع وجوههم نصرة ونقوسهم غطاء ينظرون إلى وجه الله وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وتصف الكافرين على النقيض من ذلك في الدنيا والآخرة

فإذا بأصحاب النبي (ص) الأوائل يشتعلون حماسة للقاء وجه ربهم ويتخذون أنفسهم بكل ما يقر بهم من صفات أسبغها القرآن الكريم على المؤمنين المقربين فإذا هم زهاد في الدنيا على أروع ما يكون الزهد حالاً وأمامهم في ذلك بعد النبي عليه عليه السلام يقرأون القرآن وكأنه نداء روحي يفجر في نفوسهم العجائب.

- وبعد غياب الرسول، وتحسن حال المسلمين وتلاطف أكثرهم على الدنيا صار الزهد ضرورة لابد منها فراح الصابرون منهم يتذمرون منه شعراً بل مبدأ ثوريأً في سلحمة الإسلام يرفعونه في وجه زعامة المسلمين التي تهاونت أو توأطات مع ذلك الانحدار الخطير في مسار رسالة محمد وراحت خطب الإمام (ع) تحفزهم وتنطلق باسمهم، ولعل أسماء سلمان الحمدى، وأبي ذر الغفارى وحنيفة بن العيان... وببدأ الزهد يستخدم طابع تيار ثورى ضمن مدرسة الإسلام وأخذت أسمه تبلور من خلال خطب الإمام (ع) وسيرته وأصحابه.

#### ٤- وسائل الزهد:

لم يأت للإمام علي (ع) جهداً في دعوة الناس إلى الزهد. وفي خطبة الشريفة أساليب متعددة لهذه الدعوة بين نصائح مباشرة أو دعوة إلى الاعتبار والبصر أو ذم للدنيا وتهوين شأنها في مقابل تعظيم الآخرة. ولكن أروعها اتخاذه من نفسه وسيرته نبراساً يضيّع لهم طريقهم. فن مواعظه المباشرة:

«أيها الناس! انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها، الصادفين عنها»<sup>١٣</sup>

«عبد الله! أوصيكم برفض الدنيا التاركة لكم، وإن لم تغيروا ترکها»<sup>١٤</sup>

ولعل القول الثاني يوضح المقصود من القول الأول، إنها ستركتنا غير عابثة بنا ولن

١٣- شرح ابن أبي الحبيب ٢ ص ١٩٦

١٤- شرح ابن أبي الحبيب ٢ ص ١٨٦

يرون علينا فرافقها إلا الزهد فيها ومبادرة الفراق قبل حلوله، فلنستقبلها بما تودعنا به من إعراض وقلة احتفال. وكيف يكون الرفض؟ هل هو رفض لكل مافيها وهروب من مسؤولياتنا فيها من عمل وجihad وطلب للعلم ونشر الدين الله؟

- إن الدنيا في خطب الإمام (ع) مثلها في القرآن الكريم والحديث الشريف،  
ليست نقىض الآخرة بل سبيل إليها، هي دار مر وابتلاء، وتزود ولذا كان يقول:

«إنما الدنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار، فخذلوا من عزكم لمركم، ولا نهكموا أستاركم

عند من يعلمُ أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم،

ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم»<sup>١٥</sup>

إنه رفضُ الخدر المتحرر من سلطانها، رفض من يريدها تسلس قيادها له  
ولا يسلس قياده لها، لأن إسلام القياد للدنيا مهلكة لأنها حافلة بألوان الغرور  
«حلوة حضرة، شلت بالشهوات، وتعيشت بالعاجلة، وراقت بالقليل، وغئت بالإمال  
وزرت بالغروب»<sup>١٦</sup>

إن في خضرتها الفتنة، وأن في شهواتها لقوة، تُعلي على الإنسان من كل باب  
وتعترض سبيله متبرجة، وتسعن له مع كل ساحة، حتى توقد الغرائز وتؤلب الاهواء،  
ونخدع البصيرة، فلا ينجو من غرورها إلا من أوى صبراً عظياً  
«كمثلي الحبة لبين سماها، والسم النافع في جوفها، يهو إليها الفراعنة وبخدرها  
ذواللبت العاقل»<sup>١٧</sup>

- لا ينخدع بها ذواللبت لأنَّه يدرك غدرها، وغدرها نتيجةً لسرعة تقبلاها،  
فاياكاد الإنسان يأنس بها ويستطيب طيبها حتى تفجعه بما استهوه وملك عليه لبُّه، لذلك  
أفاضت خطبة عليه السلام بعرض هذه الصفة من صفات الدنيا مخدرة ومكررة فهي  
نارة:

«لاندوم خيرتها، ولا تزقن فجتها، غرارة ضرارة، حائلة زائلة نافدة بائدة» تابع<sup>١٨</sup>

ومن صفاتها نارة أخرى:

«فإنها غداة غرارة خديع، معطية منع، مليئة نزوع، لا يدوم رحافتها، ولا يفشي

١٥. شرح ابن أبي الخطبيج ٣ ص ٢

١٦. شرح ابن أبي الخطبيج ٢ ص ٢٣٨

١٧. شرح محمد بنده ص ٥٨٧

عناؤها ولا يرتكب بلا وها»<sup>١٨</sup>

يكثر مثل هذا الوصف في خطب الإمام (ع) للدنيا، وفي مواضع كثيرة من نوح البلاغة ف يأتي بأدق الوصف وأعمق التحليل لأحوالها بأساليب بلاغية رائعة، وقد ورث ذم الدنيا فيها ينوف على حسين خطبةً أو حديثاً له عليه السلام، ونستطيع أن نجمل الصفات الواردة للدنيا ببايبل: الإغراء والغزو، إشرافها على الزوال، الخبر فيها مشوب بالشر، تریص دهرها بأهلهما، سوء عاقبة الركون إليها ووعرة مرركها صفر شأنها عند الله... الخ.

- ولكن الدنيا لا تصرق في مكافحة الإنسان العبرة والعلة: فـ

«ما أكثر العبر وأقل الاعتبار»<sup>١٩</sup>

وذم الإمام لها ليس هدفاً بل إيماناً في التنبية والتحذير وطلب العلة والاعتبار فهو يصفها لن يذمها قائلاً: «انتظر بالدنيا ثم تذمها؟» ثم يقول: «إن الدنيا دار صدقى لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ودار موعظ لمن أمعظ بها»<sup>٢٠</sup>

كل أولئك واجه فيها مبتغاها. روى ابن أبي الحديد عن بعض الكتب الالهية القديمة أنَّ الله سبحانه قال لها: «يادنيا من خدمتني فاخدهم ومن خدمك فاستخدمه» فهي لاتناصب خليفة الخالق العداء، ولا تنصب له شباك الملاك . ولكنَّ يراها ولا يصرها يقوده هواه فيقع في حبائلها.

«حقاً أقول: ما الدنيا غرِّك ولكن بها اغتررت، ولقد كاشفتك المظاهر، وأذنك على سواه، وهي - بما تعلمه من نزول الblade يحيطك، والنقص في فرنك. أصدق وأوف من أن تكذبك أو تفركك»<sup>٢١</sup>

إنها تقدم له العلة تلو العلة بما يبتلي به غيره أو مما يبتلي به هو، وما عليه إلا أن يقرأها كما يقرأ في الكتاب فيتعظ ويتعبر، فاغایة العلة؟

- يمكن أن يتمعظ بمصير السابقين وفيهم من بلغ من الفتن أو السلطان حدأً عالياً ليذكر أنه لاحق بهم لاعماله، وعندها يزهد في عرفيتها وبالزهد يزداد بصيرة.

١٨- شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٦٨٢

١٩- شرح محمد بن عبد الله ص ٦٦

٢٠- شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٣٠١

٢١- شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٧٨

«ازهد في الدنيا يبصرك الله عزراها، ولا تفعل فلست بمحفول عنك»<sup>١١</sup>

وهكذا فإنه «من اغتر بأبصره، ومن ابصر فهم، ومن فهم غلام»<sup>١٢</sup>

- تسلسل رانع يحمل الانسان على أخذ نفسه بالرياحنة، بالتدرب على الزهد.  
العبرة نقود إلى الزهد والزهد إلى البصيرة الواسعة، وال بصيرة إلى الفهم، فهم  
ما فطرت عليه الدنيا وفهم ثوابها وعقابها، ثم إلى العلم...!

- فإن لم يكف الانسان كل هذا ليعتبر فيبصر فأن أمامة من القدوة مايفتح القلب  
العمي، أتفطن إليها الانسان أن في الزهد مذلة؟ لو كان كذلك ما رضيه الله لأنبيائه وإن  
كان الزمن قد باعد بيننا وبينهم في الكتاب خبرهم وإن لم يردنا خبر الكتاب في  
سيرة النبي (ص) أحسن قدوة

«وقد كان - صل الله عليه وآله - يأكل على الأرض، وبخلص جلة العبد، وبخصف  
بيده نعلة، ويرفع بيده ثوبه...»<sup>١٣</sup>

وما سيرة الامام عليه السلام إلا استمرار لسيرة النبي (ص)، لهذا جعل منها درساً  
عظيماً شاملاً في المدرسة الشاملة وهذا الدرس يفرضه كونه في عمل قطب الرحمي من  
قيادة المؤمنين، ومولاهم جميعاً «اللهم من كنت مولاً فعلي مولاً» وهو مرجمهم بعد غياب  
النبي (ص)، وحجحة الله على خلقه.

وهو في ذلك كله المثل الأعلى لهم والقدوة التي لا تُدرك ، وقد حفلت كتب  
التاريخ والسيرة بأخبار زهذه المعجز، وحفلت خطبه بدرس الافتداء حتى أنه يصرح  
بواجب اقتدائهم بسيرته فهوهاذا يكتب إلى عثمان الانصارى عامله على البصرة:  
«ألا وإن لكل مأسوم إماماً يقتدي به ويستضي بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى  
من ذنبه بعذر وفقه ومن ظلمه بفرصه. ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك. ولكن أعينوني  
بزوع واجتهد وعفة وسداد»<sup>١٤</sup>

ها هي ذي سيرته قدوة لعماله ورجاله ولكن صبره معجز لا يستطيعونه، ولا يريد  
أن يحملهم على المشقة، فليأخذوا أنفسهم بما يحب أن يتصرف بها كل حاكم الورع عن  
الحرام لانه يصد عن الحق، والاجتهد في طلب العلم والثواب لكيلا بطول الامر،

٢٢- شرح محمد عبد ص ٦٦٦

٢٣- تصنیف نجح البلاحة ص ٣٨٩

٢٤- تصنیف نجح البلاحة ص ٢٨٦

٢٥- شرح محمد عبد ص ٥١٥

والتعفف عن الطعام لثلاثتهم الدنيا، وسداد بصيرة حتى لا يغبهم غرورها.

ومن رائعة سيرته في الزهد حديث (المدرعة) التي قال فيها:

«والله لقد رفعت مدرعي حق استحببت من رأيفها، ولقد قال قائل: ألا تندمها

عنك؟ فقلت: أخربت عنِّي، فهذا الصباح تحمَّدَ القومُ السرى»<sup>١</sup>

فإذا كان عليه السلام يرى الدنيا عرضاً فإنَّ السرى هو الرحلة عبرها، والصباح يوم الحساب وإنَّه يرى: «الناسُ في الدنيا وكُلُّ بسازِهم وهم نِيَامٌ» وحين يستيقظون سوف يعلمون ما كان يعلمه قبلهم فيحمدون ماراضن نفسه عليه قبل فوات الأوان، وهذا مادعا الرسول الكريم لأنْ يقول له:

«إِنَّ اللَّهَ - عَزَّوَجَلَّ - فَدِرِينَلَبِرِيزِنَةَ لِمَبِرِنَ العَبَادِ يَرِيَةَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْهَا، وَهِيَ: زِيَّةُ

الْأَبْرَارِ عِنْدَ اللَّهِ، الزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا، فَجَعَلَكَ لَا تَرِزَّ أَمْنَ الدُّنْيَا، وَلَا تَرِزَّ الدُّنْيَا مِنْكَ شَيْئاً،

وَقَبِيَّتِ إِلَيْكَ الْمَاسِكِينُ، فَجَعَلَكَ نَرِسِيَّ بَهْ أَبْيَاعَاهُ، وَبِرِسُونَ بَكْ إِمَامَاهُ»<sup>٢</sup>

فلا هو يصيب منها ولا هي تصيب منه مثلَّ من يعبر عنها فلا تبتلُّ نعلاه.

ولذلك يقول (ع):

«مِنْ أَحَبِّنَا - أَهْلَ الْبَيْتِ - فَلِبَسْتَهُ لِلْفَقْرِ جَلَابَاهَا»<sup>٣</sup>

## ٥ - سمات تيار الزهد الثوري الإسلامي:

صار لزهد الإمام والصحابة السابقين بقيادة الرسول (ص) ملامح مذهب ثوري، وتوضحت هذه الملامح بعد التحاق الرسول بالرفيق الأعلى بقيادة الإمام علي عليه السلام فليس الزهد بأنْ ينبع ونطري ولكنَّ بأنْ تزرو النفس ونرِي بها عن أنَّ تطلب ماليس ضروريًا لامساك الرمق. ول ليست الحياة مطلباً بل هي فرصة للاجتهداد (ونفهم في الاجتهداد: العمل، والعلم). ول ليست الدنيا تقىض الآخرة بل سبيلاً إليها. وقد رأينا أنهم لم يتأثروا في ثورتهم بغير القرآن الكريم.

وهكذا ثار الزهاد بقيادة الإمام (ع) على من يحاولون تمييع ثورية الإسلام وروحيته وتحويمها إلى سياسة وطبقات. كما ثاروا بقيادة النبي (ص) على وثنية

١- الإمام علي عليه السلام من ١٨٩<sup>١</sup> بلا إسناد

٢- الإمام علي عليه السلام من ١٨٩<sup>٢</sup> بلا إسناد

٣- شرح محمد عبده من ٥٨٦

الجاهلية وطبقاتها. وكأنهم بذلك يسون للعصر الحديث سنة (الثورة على الثورة). وقد جعلوا من الزهد قاعدة لثورتهم في حب الله ورسوله وأله، وأقاموا زهدهم على جانبين هامين من الاجتهد: (العمل في حب الله - وطلب معرفته)، وأمثالهم كان الإمام (ع) يصف

«طوف للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وزرائها فراتاً، وماءها طيباً، والقرآن شعراً، والدعاء دثاراً، ثم قرموا الدنيا (أى تركوها خلفهم) على منهاج المسيح»<sup>١</sup>.

ولعلنا نستطيع أن نلمح في هذا القول الشريف - الذي جمع بين الزهادة والانقطاع إلى العبادة - بذرة من بذور التصوف الإسلامي الذي سنشهد له القرون التالية.

#### - الزهد والمصوفة:

فتح مثل هذا الباب الواسع في مقالنا يخرجنا من ميدانه، لكن الموقف يتضمن أن نشير إلى أهم ما يميز زهد الإمام (ع) وأصحابه عمّا سمي من بعد بالتصوف الإسلامي فننحو نرى أنّ زهد الإمام تصاعد مع التاريخ مواجهًا لإمعان القيادة السياسية في طفليتها فإذا جئنا إلى هذا إخفاق تورات أهل النبي استطعنا أن نغير تراجع الجانب أو الوجه العملي الثوري من الزهد وتصاعد الوجه الروحي من معايدة النفس إلى تنظيم للرياضة الروحية وإمعان فيها طلباً لمعرفة الله. وهكذا تطور مبدأ رفض ما يفتتن الحواس إلى رفض حياة الحواس، لأن كل حسي استداح للطبيعة وحياة الحواس ارتبط بالطبيعة وهو بالتالي نفي للأخلاق، فالأخلاق تنافض ضد الطبيعة بقيادة العقل ومثل هذا الكلام يشير إلى أنّ تعبير الفلسفة وأقيمتها قد دخلت التصوف من بابه الإمامي أما زهد الإمام (ع) فقد كان مبنياً على البساطة في المبدأ والصدق في الموقف.

#### - الزهد والرهبانية:

على الرغم من قول الحسن البصري: (رحم الله عليه، كان رهباً في هذه الأمة) فإن بعد ما بين الزهد والرهبانية يبقى وجود صلة تأثير بينها إلا أن يكون رهباً فيها من حيث إحاطته بالعلم الذي لم يحيط به غيره أو أن يكون التعبير لا يقصد به الدقة العلمية.

- ونقطات البيان واضحة يمكن اختصارها عاليٍ:
- الرهبانية تكتب الفطرة البشرية للنفس والإسلام يرفض ذلك ويرفض الرهبانية، وزعد الإمام من صميم الإسلام.
  - الرهبانية تقوم على الانقطاع إلى التعبد والتأمل وبذل تنفي الجانب العملي من العبادة. والزهد عبادة وعمل: عمل في رزق يمسك الرمق، وعمل في حب الله.
  - الرهبانية هرب من شرور الدنيا، والزهد مواجهة لها، وكفاح لاحقاق الحق. فهو زهد هيادي تربوي لللامام والأئمة والمقدود.
  - ونتيجةً لما سبق تبدو الرهبانية كما ابتدعواها غير ملائمة لروح العصر. لسلبيتها سلوكاً وعلماً. أما زهد الإمام فهو صالح أساساً لكل ثورات الامم الحديثة المكافحة لتحقيق الحق والسلام. بل هو خيرُ اسماً.

#### ٦ - غاية الزهد:

إذا كان هدف كلّ من الصوفية والرهبانية إنقاذ النفس البشرية (الذات) من مدارض الدنيا تقرباً إلى الحائق، فإن غاية الزهد ليست فردية ذاتية فقط، بل إننا نستطيع أن نلمس فيه الهدف الذاتي والغاية الغيرية العامة، وأهمُ ما يرمي إليه:

- عصمة النفس: «إنما هي نفسي أروضها بالتفوى، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر» وليس هذا إدلالاً لإنسانيتها بل ارتقاء بها عمّا يحيط دون خلودها. ومن نافلة القول أن نذكر أنَّ العصمة عن طريق الزهد غير النجاة السلبية الماربة بالرهبانية أو التصوف

- العدل: العدل أسمى ماتريد الشعوبُ أن تستظلَّ به في حياتها السياسية والاجتماعية وترويض النفس بالزهد خيراً وسيلة لتسلیح الإنسان بالقدرة على إقامة العدل واحقاق الحق - وهذا هو الهدف العام للزهد. وقد كان الإمام عليه السلام خيرَ قدوة في ذلك فإنَّ زهده لم يضعف قوته في القتال، وما عرف عنه أنه سكت على باطل، أو توأى في قيادة المؤمنين في سبيل الله. وما الإمارة في نظره إلا وسيلة لإقامة الحق ودفع الباطل فهو يقول في نعل يخصفها: «كُنْ أَخْثُرَ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنْ أَقِمْ حَقًا أَوْ أَدْفِعْ باطلاً»<sup>٣٠</sup>

وهو عليه السلام يرى إقامة الحق أمانة في عنقه بعد الرسول(ص) وهو منه متنزلاً هارون من موسى. أو متنزلاً الرئيس من الجسد.

#### ٧- خاتمة:

هذا غيضٌ من فيض ماجاء في خطب الامام علي عليه السلام في الزهد: سواء ما كان تفسيراً له وبياناً لسبيله واظهاراً لفضل أنهه. أم ذمّاً لمنابع الدنيا وتعجباً لثواب الآخرة.

ولم يكن غرضنا إحصائياً بل كان تلمس ميزان هذا السلوك الإنساني السامي الذي صارت بارزاً أو مذهباً ثورياً في تاريخ المسلمين كان له الفضل الكبير في الحفاظ على قدسيّة رسالة محمد صلى الله عليه وآله، ولن يشقّ على دارس كتاب نهج البلاغة أن يختار مزيداً من الأقوال ذات المعنى الجليل أو التوجيه العميق إلى الزهد قد تجاوزناها لكفاية ما انتقينا منها.

بهذا الزهد قامت رسالة محمد(ص) وبفضلها ثم الفتاح، وظلّ المنارة الضيّة في ليل أهوانهم وأنوائهم. نذر أصحابه أنفسهم لحماية الدين ونشر أحكامه، وإحقاق الحق، ونصرة الله. وإن الله والحق لا يفترقان.

فما أحوجنا - اليوم - وقد مزقت رياح الاهواء شراع الرسالة، وطفأ المسلمين على أمواج التاريخ كفثاء السيل، ووقف بنا العالم على شفا حفرة من نار. ما أحوجنا إلى زهد مثل زهد مدرسة الإمام، يعصم نفوسنا من الميل إلى الباطل ويروضنا على إحقاق الحق، ويقيينا شر طول الأمل واتياع الموى علينا نعيid لرسالة الحق سيرتها الظافرة، والله ولـُّ التوفيق.

المراجع

- ١- نج البلاغة شرح ابن أبي الحميد
  - ٢- نج البلاغة شرح محمد عبده
  - ٣- تضييف نج البلاغة للسيد لبيب يصفون
  - ٤- الامان على عليه السلام للسيد جعفر علي الموسوي
  - ٥- بيمامة على عليه السلام للسيد محمد جبار مصطفى
  - ٦- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للمربي



# الفقر أسبابه وعلاجه

الأستاذ لبيب بيضون

دمشق - سوريا

• وهناك أيها تعليلات على هذه المقالة من قبل السيد جعفر مرتضى،  
المشار إليها بالأرقام.



الفصل الاول:

ما هو الفقر؟



## تعريف الفقر والفقير:

الفقر في اللغة هو ما يكسر فقار الظهر، والفقير هو المكسور فقار الظهر.  
والفقير الشرعي هو الذي لا يملك قوت سنته له ولعاليه، لاقوة ولا فعلة. نقصد  
بالقوة اذا كان له مرتب شهري أو مورد يأتيه على دفعات خلال العام.  
وتسمى الحالة بين الفقر والغني: الكفاف، وهي أن يكون الانسان مكتفياً بدون  
زيادة.

والمحروم لا يكون من المال فحسب، فهو يطلق أيضاً على فقر المعلم وفقر النفس  
وفقر الدين وفقر القوة، وكلها تعني فقد الشئ وال الحاجة اليه.

## درجات الفقير:

وردت في القرآن آيات كثيرة تذكر الفقير والمسكين، منها آية الزكاة التي تبين  
مصارف الزكاة حيث تقول:  
﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ (التوبه ٦٠)  
ما يدل على أن الفقر غير المسكين.  
وقد اختلف في الفرق بينهما وأيهما أكثر خصاصة وعززا.

وفي مجمع البحرين ج ٣ (مادة فقر) يقول الشيخ الطوسي في النهاية: ان المسكين أسوأ حالاً من القبيح، لقوله تعالى (أو مسكننا ذا قبربة) وذوالتربة هو المطرود على التراب من شدة احتياجه.

وليس أوضح في الدلالة على الفرق بين الفقير والمسكين مما روى في الصحيح عن عبدالله بن مسakan عن أبي بعثير، قال: قلت للإمام جعفر الصادق(ع) في قوله تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمسكين...) فقال(ع): «الفقير الذي لا يسأل الناس، والمسكين أحوج منه، والبائس أجدهم».

فالفقير هو الذي لا يملأ ولا يسأل، مصداقاً لقوله تعالى:  
 (لِلْفَقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْسَبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا يَسْتَطِعُونَ هُزُزًا فِي الْأَرْضِ، يَعْتَشُهُمُ الْجَاهِلُونَ أَغْنِيَاءَ إِنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ، تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ، لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلَّا حَافَّةً، وَمَا تَنْتَفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ) (البقرة ٢٧٣)

والاول، أي الفقير العفيف الذي لا يسأل، هو أول بالعطاء من غيره، لذلك ذكر في آية الزكاة قبل المسكين الذي يسأل.

وفي زماننا الحاضر لأنجد الفقر العفيف إلا في النادن لا بل إن أكثر من يسألون ويتظاهرون بالفقر هم مختلفون أو أغنياء.

### النسبة في الفقر:

تحتختلف حاجات الإنسان في الحياة مع تقدم الحضارة والرفاهية. فاليوم أصبح المنزل المستقل من حاجيات الفرد، كما اتسعت الحاجات المنزلية حتى أصبحت تضم الفتالة والبراد وما إلى ذلك.

وفي حين كان الأولاد لا يتكلّفون أباهم نفقة تذكر، أصبحوا اليوم عبءاً كبيراً عليه. والامام علي(ع) يقول: «فِلَةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْبَارِزِينَ». وبما أن الفقر هو الذي يكون مورده أقل من مصروفه، فلا يبعد اليوم أن نعتبر الموظف وكل من يتلقى أجرًا مقطوعاً: فقيراً، اذا كان يعيش عدة أولاد.<sup>١</sup>

### معانٍ الفقر:

ورد الفقر في القرآن والاحاديث معانٍ مختلفة. ويمكن حصر معانٍ الفقر على أربعة وجوه هي<sup>\*</sup>:

- (١). وجود الحاجة الضرورية، وذلك عام للإنسان وللموجودات كلها. يقول تعالى (أَنْفُسَهُمْ يَرْهَدُونَ إِلَيْهِ اللَّهُ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ). (سورة فاطر - ١٥).
- (٢). عدم المقتنيات، وهو المذكور في قوله تعالى (لِلْفَقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْبَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...). (البقرة - ٢٧٣).

وهم الذين منهم عملهم في سبيل الله عن الكسب.

- (٣). فقر النفس: وهو المعنى بقول النبي (ص): «كاد الفقر أن يكون كفراً».
- (٤). الفقر إلى الله تعالى، كما في قول موسى (ع): (رَبِّنِي لَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ) (القصص - ٢٤).

وهو المشار إليه بقول النبي (ص): «اللَّهُمَّ أَغْنِنِي بِالافتخارِ بِكَ، وَلَا تُنْقِرْنِي بِالاستفهامِ عَنْكَ».

### الفقر المذموم:

من الوجوه السابقة يتبين أن من الفقر ما يكون مننما، ومنه ما يكون محموداً ممدواحاً.

والضرر بالمحاط ذاته كفر، لكنه اذا اقترن بالصبر أصبح عبادة وزينة للمؤمن. والسبب في أن الفقر ذاته كفر، أن الإنسان إذا لم يكن ورعاً واثقاً بربه ثقة تامة، فإن فقره قد يدفعه لاستخدام كل وسيلة للحصول على المال، دون أن يتقييد بالشرع، فيبتتصب ويسرق ويحتال، وقد يفعل غير ذلك من المحرمات، فيفضل ويكفر. ولذلك قال النبي (ص): «كاد الفقر أن يكون كفراً». وقال (ص) في الإمام علي (ع): «لو تقتل الفقر لعلى رجل لا يقتل له». وهو الذي عبرنا عنه «بفقر النفس» لأن غنى النفس يدفع

الانسان الى التتفق عما في ايدي الناس، يقول الامام(ع): «الفن الاكبر، اليمس عما في ايدي الناس» (الحكمة ٣٤٢ نهج).

قال بعض أصحابنا: جاء في دعاء النبي(ص): «نعودك من الفقر والقلة». قيل: الفقر المستعاذه منه إنما هو فقر النفس الذي يُفضي بصاحبها الى كفران نعم الله ونسيان ذكره، ويدعوه الى سُوء الخلة (أي سُوء حاجته) بما يتدنس به عرضه ويُثلم به دينه. والقلة تُحمل على قلة الصبر أو قلة العدد.

وقال الامام علي(ع) لابنته محمدبنت الحنفية: «يا بني، إني أخاف عليك الفقر، فاستمد بالله منه، فإن الفقر منقصة للدين، تذهب للعقل، دائمة للفت» (الحكمة ٣١٩ نهج).

وفي الخبر أنه (ص) تعود من الفقر، وقال: «الفقر ساد الوجه في الدارين»، ثم قال في موضع آخر: «الفقر فخري وبه افتخر على سائر الانبياء»، وقال(ص): «اللهم أحجني مسكنينا وأمنني مسكنينا واحشرني في زمرة الماكنين». فكيف توقف بين القولين؟ يمكن ذلك بلاحظ أن الفقر الذي تعود منه هو الفقر الى الناس، والذي دون الكفاف، والذي افتخر به(ص) الفقر الى الله تعالى.

وسؤال الفقر لم يرد في الادعية، بل ورد في اكثراها الاستعاذه من الفقر الذي يشق به الانسان، وعن الفن الذي يصبر سبباً لطغيانه.

### فقر الدين:

ومن أدق معاني الفقر «فقر الدين» وهو الفقر الحقيقي، لأنه يورد صاحبه الى النار والى غضب الجبار. وفيه قال الامام علي(ع): «الفقر الموت الاكبر».<sup>٤</sup>  
عن الامام جعفر الصادق(ع) قال: «الفقر الموت الاحر». فقلت له: الفقر من الدينار والدرهم؟ قال: «لا، ولكن من الدين».<sup>٥</sup>

وفي ذلك قال الامام علي(ع): الفقر والفن بعد العرض على الله» (الحكمة ٤٥٢ نهج). وهو نظير ما أشار اليه النبي(ص) بقوله: «أندرون ما المفلس؟» فقيل: المفلس فيما من لا درهم له ولا متساع له. فقال(ص): «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيمة بصلوة ورثابة، وبأن قد شتم هذا وقذف هذا وأكل ماذا وسفكت دم هذا وهرس هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسنانه، فإن فيتّ حسنانه قبل أن تقضي ماعليه، المخذل من خطابا لهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار».

### الفقر المدحوب:

في الخبر المأثور: «من أحبنا أهل البيت فليُمْدَد للضرر جلباباً»<sup>٥</sup> وعن الإمام الصادق(ع) قال في مناجاة موسى(ع): «ياموسى اذا رأيت الفقر مقبلًا فقل مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلًا فقل ذنبٌ لم يُغتَلَت عقوبته»<sup>٦</sup> وعن الإمام الصادق(ع) قال النبي(ص): «طون للمساكين بالصبر، وهم الذين يرون ملوك السموات والارض».

فالفقر المدحوب هو الذي يقترب بالتعفف والصبر، والفقير المدحوب هو من لا يجد إلا القوت من التعفف، ولا يوجد من هذه صفة في ألف الف واحد. وفي ذلك يقول الإمام علي(ع): «الفقر أذن للمؤمن من العذار على خد الفرس. وإن فقراء المؤمنين ليتلذّبون في رياض الجنة قبل أعيانهم بأربعين خريفاً»<sup>٧</sup> وقيل للقرآن ثلاثة أحوال هي:

أولها: الرضا بالفقر والفرح به، وهو شأن الأصفياء.  
ثانيها: الرضا به دون الفرج، وهذا له ثواب ولكن أقل من الأول.  
ثالثها: عدم الرضا به والكره في القسمة، وهذا لا ثواب له أصلًا.  
هذا وإذا كان الغنى مدعاه للبغون، كان الاكتفاء مع العفة أفضل بل مقارنة.  
يقول الإمام علي(ع): «والجرفة مع العفة، خير من الغنى مع الفجور» (الخطبة رقم ٢٧٠ نهج)

### الغنى المدحوب:

غالباً ما يكون الغنى بالنسبة للإنسان استدراجاً له وامتحاناً لامانه وتقواه. يقول الشاعر تحت عنوان (الدرهم تمحك الاقباء):  
 لا يُمْرِئُكَ من المهر رداء رفقة  
 وقبصَ فوق ساق الكعب منه رفعه

<sup>٥</sup> - الكافي للكليني ج ٢ ص ٣٦٣

<sup>٦</sup> - مستدرك نهج البلاغة لشیخ المادی کاشف الغطاء ص ١٨١

وجبين لاح فيه أثر قد قلبه أره الدرهم تعرف غيه أو وزنه  
فان هو شكر رب، بأن أخرج الحقوق من ماله، فواسى بها الفقراء، ولم يدفعه  
غناه الى التكبر عليهم، ولم يشغل بعنه عن واجباته الدينية، ولم يتسعه غناه الى الفجور  
خرج من امتحانه ناجحا، والا كان ماله وبالا عليه وخسر خساراً مبينا.

يقول الامام علي(ع): «العفاف زينة الفقر، والشكرازينة الغنى» (الحكمة ٦٨ نهج).  
ويقول (ع): «ما أحسن تواضع الاغباء للقراء طلباً لما عند الله! وأحسن منه ته القراء  
على الاغباء انكلا على الله» (الحكمة ٤٠٦ نهج).

وعن الامام الصادق(ع): «لا يحب فيمن لا يحب جمع المال من حلال، ينكر به وجهه،  
ويقطني به دينه، ويصل به رحمه».

وغالباً ما يقصد المال الغنى عن طاعة الله، فيغريه الشيطان بارتكاب المحرمات، ولو  
ظل فقيراً لكان خيراً له. وفي ذلك يقول تعالى: «أَرْزَقْنَا النَّاسَ حُبُّ الشَّهْوَاتِ مِنَ النَّسَاءِ وَالْبَنِينَ  
وَالْفَنَاطِيرِ الْمُنْفَطَرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفَضْلَةِ...» (سورة آل عمران - ١٤).

ويقول الامام علي(ع): «المال مادة الشهوات» (الحكمة ٥٨ نهج).  
لذلك وردت في الادعية الاستعاذه من الغنى الذي يصير سبباً لطغيان الانسان،  
مصداقاً لقوله تعالى:  
«إِنَّ الْإِنْسَانَ لِبَطْنِي \* أَنْ رَأَهُ أَسْنَفَ» (العلق - ٦).

### الفقر ذلة:

وليس أذل للانسان من أن يصبح محتاجاً الى الناس، فالفقير في نظر صاحبه ضمة  
وذلة، وفي نظر الناس استهانة واستخفاف.

فالفقير الذي لا يجد قوت يومه، يشعر بالهوان وعدم القيمة في هذه الحياة، لانه  
لا يستطيع أن يعمل شيئاً بدون مال... فإذا هو صبر على ما ابتلاه الله كان له مثل  
أجر الصائم القائم، وإن هولم يصبن، وشرع باستعطاف الناس كانت مأساته ذلاً أكيراً  
لا سيما إذا كان الذي سأله قادرًا على سد حاجته، ولكنه رقة خائباً، فهو في هذه الحالة  
يتمنى الموت على ذلك .

عن الامام الصادق(ع) قال: قال رسول الله(ص): «باعلي، إن الله جعل الفقر أمانة  
عند خلقه، فمن سرره أعطاء الله مثل أجرا الصائم القائم، ومن أفسنه الى من يقدر على فداء حاجته

فلم يفعل، فقد قتله، أما أنه ماقله بسيف ولارمع، ولكنه قتله بما نكأ من قلبه»<sup>٥</sup>. ونكا القلب جرحة أو قتله.

ومن أبشع صور ذل الفقير أن يتذلل إلى انسان مثله مجرد كونه غنياً، مستيناً بعزة الاعان.

يقول الامام علي(ع): «ومن أنى غنياً فتواضع له لغناه، ذهب ثنا دينه» (الحكمة ٢٢٨ هج).

ويقول(ع): «ما أبغض المخضع عند الحاجة، والجلاء عند الغنى» (الخطبة ٢٧٠ نهج) وتبلغ نظرة الناس إلى الفقير مبلغاً من الاحتقار تجعله يغرس عن إبداء حجته التي لا يصفي إليها الناس، فإن تكلم بحق أسكنه الناس و كذبوا، وإذا أخطأوا امتكروا خطبيته. ولم يُعْثِرْ أحد على ضعفه و مسكنته، فتشعر أنه غريب وإن كان يعيش في وطنه، ولا يرقى من بعيد إلا صورة من يأتي ليطالبه بتدينه أو بأجرة بيته.

لذلك قال الامام علي(ع) في أبلغ عباراته: «الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة» (الحكمة ٥٦ هج).

وقال (ع): «الفقر يُغرس الفقير عن حجته، والمُغَيَّلُ غريب في بلدته» (الحكمة رقم ٣ نهج).

وقال (ع): «إذا أقبلت الدنيا على أحد أحقرها محسن غيره، وإذا أدركته سنته محسن نفسه» (الحكمة رقم ٨ نهج).

أما الغني فكل الناس تُعْظِمُه وتُسْلِمُ عليه و تتطلب القرب منه، وإذا جلس في مجلسه تُجلوه، وإذا تكلم بكلام سخيف عظيمه، وإذا أخطأوا أغلقوا خطأه... حتى إذا ماذهب ماله وقل خيره إنقضوا من حوله، كالشجرة المثمرة إذا انتهى موسم ثمرها وسقطت أوراقها لم يأتها أحد. وما احسن ما قيل في ذلك :

المرء في زمان الأقبال كالشجرة	والناس من حولها مادامت الشجرة
حق اذا راح عنها جملها رحلوا	وخلفوها تقاسى الحر والبرد
ثبا لابناء هذا السهر كلهم	حق ولا واحد يصفو من العثره
وقال احدهم:	

يُسْفِطِي عبوب المرء كثرة ماليه

## شَعْمَأْهُ الْأَقْوَامُ وَهُولَبِبُ

شَفَّافَةُ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ فَنَالَ  
وَرَأَيَّهُ بَنْ الْوَرَى مُخْتَالَ  
لِرَأَيَّهُ أَزْرِي الْبَرِّيَّةِ حَالَ  
فَالَّذِي صَدَفَتْ وَمَا نَظَفَتْ مُحَالَ  
فَالَّذِي كَذَبَتْ وَأَبْطَلَوْا مَا فَنَالَ  
تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَلَالَ  
وَهِيَ السَّنَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَنَالَ

وَيُزَرِّي بِعَفْلِ الْمَرْءِ قَلَةُ مَالِهِ  
وَقَالَ آخَرُ:

مَنْ كَانَ يَمْلِكْ دِرْهَمَيْنِ تَعْلَمَتْ  
وَنَقْدَمُ الْأَخْرَانَ فَاسْتَمْعَوْهُ  
لِسْلَا دِرَاهْمَهُ الَّتِي فِي كَيْسِهِ  
إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا نَكَلَمْ بِالْحَطَّا  
إِنَّ الْفَقِيرَ فَإِنَّهُ تَكَلَّمْ صَادِقًا  
إِنَّ الدِّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلُّهَا  
فِي الْلَّانِ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً  
وَهَذِهِ النَّظِرَةُ هِيَ عَكْسُ النَّظِرَةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْحِّحةِ الَّتِي تَقْيِيمُ وَزْنَ الْإِنْسَانِ عَلَى  
مَقْدَارِ تَقْوَاهُ وَفَعْلِهِ وَلَيْسَ عَلَى مَالِهِ وَجَالِهِ.

## الْمَسْأَلَةُ ذَلِكَ أَكْبَرُ

وَمِنْ سُوءِ الثَّقَةِ بِاللهِ أَنْ يَسْأَلُ الْفَقِيرَ النَّاسَ وَلَا يَسْأَلُ خَالِقَ النَّاسِ وَمَعْطِيهِمْ. وَلَذِكْ  
نَهِيُ الشَّاعِرُ عَنِ السُّؤَالِ وَالْمَسْأَلَةِ لِغَيْرِ اللهِ، وَاعْتَبَرَهَا هُوَانًا وَذَلِلاً لَا يَنْتَسِبُ مَعَ مَنْزَلَةِ  
الْمُؤْمِنِ وَعَزَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْإِمامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (ع) :

«مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِينًا فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللهِ سَاخِطًا، وَمَنْ أَصْبَحَ بِشْكُورٍ مُصَبِّيَّةً نَزَلتْ بِهِ فَقَدْ  
أَصْبَحَ بِشْكُورٍ بِهِ» (الْحَكْمَةُ ٢٢٨ نَهْج).

وَيَقُولُ النَّبِيُّ (ص) : «لَا تَنْزَلَ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَقَّ بِلْقَانِ اللهِ وَلَيْسَ بِوْجُوهِهِ مَرْعَةٌ لَهُ». وَيَقُولُ الْإِمامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (ع) : «وَمَرَادُ الْأَيُّلُوسْ خَيْرُ مِنَ الْطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ» (الْحَنْظَلَةُ ٢٧٠ نَهْج)  
وَيَقُولُ (ع) : «مَا يُجْهِكُ جَامِدٌ بِقَطْرِهِ السُّؤَالُ، فَانْظُرْ عِنْدَهُ مِنْ نَقْطِرِهِ» (الْحَكْمَةُ ٣٤٦ نَهْج).

وَإِذَا كَانَ الْغَنِيُّ الَّذِي اسْتَعْطَاهُ الْفَقِيرُ لِثِيَّمَا، شَعَرَ الْفَقِيرُ بِمَرَارَةِ الْعِبُودِيَّةِ، وَأَنَّهُ  
أَصْبَحَ كَالْأَسِيرِ فِي يَدِ الْغَنِيِّ يَتَحَكَّمُ بِهِ كَيْفَ يَشَاءُ، وَمَا أَجْلُ مَا قَالَ الْإِمامُ (ع) فِي هَذَا  
الْغَنِيِّ :

أَمْئُلُ عَلَى مَنْ شَتَّتْ تَكَنْ أَمْيَرُهُ  
وَاحْتَفَى مَنْ شَتَّتْ تَكَنْ أَمْيَرُهُ  
وَاسْتَغْنَى عَنْ شَتَّتْ تَكَنْ نَظِيرُهُ

### القناعة هي الغنى:

وأشد مانع عنه الشارع الحكيم أن يسأل الإنسان وهو غير محتاج، فهذا عدا عن إهانة نفسه، فهو يحرم الفقراء المحققيين منأخذ حقوقهم.

يقول الإمام الصادق (ع): «من سأله عن غير فقر، فاما يأكل الجمر».

وفي الوقت نفسه حضر الشارع على الزهد بالدنيا، والقناعة بما قسم الله، وعدم المحرص على المزيد من الدنيا. فالإنسان يشبعه المُرْص ويسْتَرِه الظُّمُر، وفي المثل: «من عدم القناعة لم يُفْدِه المال غُنْي». وقد توعّد سبحانه من يسأل ولا يقنع، بالغدر الذي لا يزول.

يقول النبي (ص): «من استغنى أغناء الله، ومن فتح على نفسه باب مسألة فتح الله عليه سبعين باباً من الغدر لا يُسْأَلُ أدناها شيء».

ويقول (ص): «ارض بما فسده الله لك تكون أغني الناس».

ويقول الإمام (ع) في وصيته لابنه الحسين (ع): «أي بي، عز المؤمن غناه عن الناس، والقناعة مال لا ينفك، ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا بالسير» (تحف العقول ح ٦).

ويقول (ع): «الغنى الأكبر، البأس عافي أبيدي الناس» (الحكمة ٣٤٢ نهج).

ويقول (ع): «ولا يكتز أغني من القناعة، ولا مال أذهب للهافة من الرضا بالقوت. ومن افترى على بلغة الكهف فقد انظم الراحة، ويتَّوَهَّ خفَّضَ الدَّعَة» (الحكمة ٣٧١ نهج).

ويقول الترمذى:

وَجَدَتِ السُّقْنَاعَةَ أَصْلَ الْفَتْنَى  
فَصَرَّتْ بِأَذْيَالِهَا مُمْتَكِنَةً  
فَلَا ذَا يَرَانِي عَلَىٰ بَابِهِ  
وَلَا ذَا يَرَانِي بِهِ مُنْهَمِكَ  
وَعَشْتَ غَنِيًّا بِلَادِ رَهْسِمَ  
أَثْرَ عَلَىٰ النَّاسِ شَبَهَ الْمَلِكَ  
وَيَقُولُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ (ع) : «أَرْسَلَ عُثْمَانَ إِلَى أَبِي ذَرْ مُولَيْنَ لَهُ وَعِهْمَا مائِنَةَ دِينَارٍ فَقَالَ  
لَهُمَا: انْطَلَّا إِلَى أَبِي ذَرْ فَقُولَا لَهُ: أَنْ عُثْمَانَ يَقْرُنُكُمُ الْسَّلَامَ وَيَقُولُ لَكُمْ: هَذِهِ مائِنَةُ دِينَارٍ فَاسْتَمْعُنَّ بِهَا  
عَلَىٰ مَا نَاتَكُ . فَقَالَ أَبُو ذَرٍ: هَلْ أُعْطِي أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلًا أَعْطَانِي؟ قَالَا: لَا . قَالَ: إِنَّمَا أَنَا  
رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَبْعَنِي مَابِعُ الْمُسْلِمِينَ . قَالَ لَهُ: أَنَّهُ يَقُولُ هَذِهِ مَنْ حَلَبَ مَالِي ، وَبِاللَّهِ الَّذِي  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا خَالَ طَهْرًا حَرَامٌ، وَلَا يَبْعَثُ بِهَا إِلَيَّكُ إِلَّا مِنْ حَلَالٍ .  
فَقَالَ أَبُو ذَرٍ: لَا حَاجَةٌ لِي فِيهَا وَقَدْ أَصْبَحْتُ يَوْمِي هَذَا وَأَنَا مِنَ الْأَغْنَى النَّاسِ . قَالَ لَهُ: عَافَكَ

الله وأصلحك، ماترى في بيتك فليلا ولا كبراً مما يُستمتع به. فقال: بلى تحت هذا الأكاف الذي ترون رغفا شمير، قد أتني عليهما أيام. فما أصنع بهذه الدنانير؟

### الحرص فقر:

وكم يخطئ من يجمع المال ويحرص على تكثيره وعدم نقصه، بدعوى أنه سيغنيه ويؤمن مستقبلاً، فإذا هو في لحظة واحدة قد ادركه الموت، فتحمل إلى قبره، لا مالاً أحد ولا مالاً صرف، فعاش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب على ماله حساب الأغنياء.

يقول الإمام علي (ع): «عجبت للبعيل يستجول الفقر الذي منه هرب، وبطونه الغنى الذي إياه طلب. فيعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء» (الحكمة ١٢٦ نهج)

ومنه أحد المتنبي المعنى حيث قال:

ومن يُشق الساعات في جمع ماله مخافة فقر، فالذي فعل الفقر  
ويقول الإمام علي (ع): «إن أحسن الناس صفة وأخيهم سعيًا، رجل أحلق بدهنه في طلب  
ماله، ولم تساعد له المقابير على إرادته، فخرج من الدنيا بحسرته، وقديم على الآخرة ببنته»  
(الحكمة ٤٣٠ نهج).

كما يقول (ع): «يا ابن آدم، ما كسبت فوق قبورك، فأنت فيه خازن لغيرك» (الحكمة ١٩٢  
نهج).

ويقول يحيى بن الفضل الاندلسي:

جمعت مالاً ففكز هل جمعت له	ساجاقع المال.. أيام أثفرقة
المال عندك مخزون لوارثه	ما المال مالك إلا حين تنفقه
ويقول أبوالحسن علي المنجم في ذم الحرص:	
وذه حرص تراه يلتم وفراً	لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصبي يمسك وهو طار	فريسته لسباكله سواه
ويقول أحدهم:	
دمع الحرص على الدنيا	وفي العيش فلاتظم مع

فلا تجتمع من مال  
لسان الرزق ملة  
فتقبر كل ذي حرص  
فنى العقيقى هو العبودية لله وحده:

المؤمن يستمد غناه من الله، ويتوثق ذلك كلما ازداد يقينه بالله.  
وتبدو النوازع التي تسيطر على نفس الإنسان وفق اتجاهين:  
نوازع تدفعه نحو الله، ونوازع تدفعه نحو المادة والشهوات. وبقدرت حرر الإنسان  
من ربعة الشهوات وارتباطه بالله يصبح غنياً، لأنّه يستغني عن كل شيء في الوجود  
ما خلا موجد الوجود. وتصبح كل الأشياء في نظره حقيرة أمام الله تعالى، وتلك هي  
العبادة الحقة.

يقول الإمام علي (ع): «إِنَّمَا يَنْهَا عَنْهُ مَنْ عَطَّلَ جَلَّهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْهِبَتِهِ  
مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْنُرْ عَنْهُ كُلَّ مَوْسَوَةٍ» (المخطبة ٢١٤ نهج).  
وليس من فرق بين من يعبد الأواني الحجرية، ومن يعبد أصنام المادة والمال،  
يُكَرِّس حياته لخدمتها، ويرى أنها هي التي تتسع وتضر، حتى يصبح أسيراً لها،  
تحكم به دون أن يتحكم بها. فكلّا هما يحمل حقيقة الشرك والتبعية لغير الله، كما  
قال الشاعر الكبير أقبال:

بيان في الشرك هذا عابد ذهباً يسمى الى جممه، أو عابد وثنا  
ومثل هذا الإنسان وان كان ظاهره الغنى الا أنه من أفتر الفقراء،  
وفي مقابل ذلك من يكسب الاموال ليتفقها في سبيل الله، ويدفعها الى  
الفقراء والمستضعفين، ولا يمسك منها غير قوت الكفاف، فهذا وان كان في  
ظاهره فقيراً، الا أنه أعظم الأغنياء.

ولا ينفي هذا أن يكون المؤمن غنياً، فالشارع حض على الغنى، ولكن المحرم  
أن لا يكون الغني عبداً لماله، بل أن يكون المال عبداً له. ويحدث ذلك عندما  
يعرف المؤمن ربه حق معرفته، ويبلغ في نظره من العظمة حدّاً تصرّ دونه كل  
الأشياء.

يقول الإمام علي (ع):  
«إِنَّمَا يَنْهَا عَنْهُ مَنْ عَطَّلَ جَلَّهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْهِبَتِهِ  
مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْنُرْ عَنْهُ كُلَّ مَوْسَوَةٍ»

مساواه، وإن أحقٌ منْ كان كذلك لمن عظمتْ نعمَةُ الله عليه، ولطفَ احسانَه إلَيْهِ. فانه لم تُعْظَمْ نعْمَةُ الله عَلَى أحدٍ إلَّا ازدادَ حُقُّ الله عَلَيْهِ عَظَماً» (الخطبة ٢١٤ نهج).

وفي هذا المعنى تروي القصة التالية:

ان شخصاً سمع بزاهد فأراد أن يزوره، ولما قدم عليه وجده يعيش في قصر فخم، ومن حوله الرياش والخدم. فقال له: عجبت من أمرك ، وقد سمعت أنك زاهد، وما أرى آثار ذلك عليك . قال الزاهد: ليس الزهد أن لا تملك المال، وإنما الزهد أن لا يملّك المال. ولقد أنعم الله علي بهذه الخيرات التي ترى، وأنا أعمل على إيفاقها في سبيل الله، وأسخرها لقضاء حوانج المؤمنين، وأرى أن وجودها لعدم وجودها عندي سيان.

فقر الصالحين:

يسعى الفقر الذي لا يكفيه الإنسان فيه مفتقرًا إلى الله (فقر الصالحين) وهو أرقى درجة يبلغها المؤمن في معراج الفضيلة والصلاح والسمو والصلاح، حيث يتربع على عرش موتّرات الدنيا المأباهي، راهداً بمعظمهما ومتّهمها.

ويحصل هذا الفقر في آخر درجات تربية النفس، تربية تسير بها إلى العبادة الحقة والفضيلة الإنسانية، حيث يدرك الإنسان المؤمن أن المال وسيلة لاغية. وسيلة للاكتفاء والترفع عن حاجة الناس، ثم وسيلة لمواصلة الآخرين ورفع البؤس عنهم.

وليس يعني هذا القعود عن العمل والتواكل على الغير، بل انه ينطوي على العمل والجهاد، لتسخير الوجود كله لخدمة الانسان، ونشر العدالة والسعادة بين كل بني الانسان.

انه اقتداء طريق العارفين، وارتواه القلب من عين اليقين... انه عزة للنفس  
واباء، يوصلان الى الجزاء، وتوحيد صادق الله خالص من كل رباء.

وفي ذلك يقول الفيلسوف الاسلامي الكبير الدكتور محمد اقبال:

ماه والفقير المغنى الارفع  
وازتواء القلب من عن اليقين  
مامه البرزاء من ادق خطا  
با عبيد الماء والطين اسمعوا  
هو عرفان طريق المعرفين  
ذلوك الفقر عزيز في غنا

ليس غيرا الله في الكون إلا  
لبس سكر النفس في موت الرجاءَ  
فقرنا معناه تسير المهدأ  
بنجل الشمس وينزى بالقمر  
انه زلزال تكبير المحبة  
فمن وأبلغ نوره للعالمين  
وعلى هذا الصراط سار سائر الانبياء وخاتم الرسل محمد(ص)، كما سار رب  
النبوة الامام علي(ع) وتلامذته المخلصون كأبي ذر الغفاري(رض)، فكانوا أزهد أهل  
زمامهم.

### الزهد صفة المارقين:

فأما نبينا محمد(ص) فقد ولد يتيمًا فقيراً، في حين كان أعداؤه يرتعون في نعيم العيش ولذات الدنيا، وقد أمره تعالى أن يلازم القراء من أصحابه لأنهم يذكرونه بالله، حيث قال: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالهدا والغيث بريدون وجهه، ولا تندع عنكما عليهم، تربى زينة الحياة الدنيا» (الكهف - ٢٨). ولقد عرضت عليه الدنيا فأباً أن يقبلها، خرج من الدنيا خيضاً، وورد الآخرة سليماً، لم يضع حجراً على حجر، حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه.

وأما موسى (ع) كليم الله، فقد خاطب ربها قائلاً (رب إني يا أزلت إلي من خير فقير ولم يسأله إلا خبراً يأكله، لأنه كان يأكل من يقول الأرض. ولقد كانت خُضرة البقل تُرى من شفيف صفاق بطنه لهزالة وتُثقب لحمه.

وأما داود(ع) صاحب المزامين فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول جلساً: أبكم يكتفي بيها، ويأكل قرص الشعير من ثمنها.

وأما عيسى (ع) روح الله، فلقد كان يتوكد الحجر ويلبس الخشن ويأكل التحشيب. وكان إدامه الجوع، وسراجه في الليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض وغارتها، وفاكهته وريحانه ماتنت الأرض للبياثم.

### مثال الامام علي(ع):

أما الامام علي(ع) فقد ضرب أروع مثل على التحرر الوج다اني والطهارة النفسية، لاسيما وأنه أحد الخمسة أصحاب الكفاء الذين قال الله فيهم «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ عِنْدَكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُقْتَهِرُ كُمْ تَطْهِيرًا» (الاحزاب - ٣٣).

وإذا تصفحنا سيرة الامام(ع) وجدناها تتبع بالحرية وتفيض بالتحرر الوجدااني الرفيع. لابل انه لم يكتف بتحرير نفسه وتطهيرها من كل علاقة المادة والدنيا، بل قام بعمل جاهدا طوال حياته ليذخر من عرق جبينه الدراما، ليشتري بها العبيد فيمتعهم لوجه الله تعالى، حتى توفي ولم يختلف درها فقط. وكان لا يفتأ يلبس الخشن ويأكل القديد وهو الخنزير اليابس.

ومن أبلغ أقواله التي تدل على زهده وتحرره ومشاركته لكل فرد في دولته بالمكانه والحرمان، كتابه الذي وجهه الى عثمان بن حنيف الانصاري عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دُعى الى ولبة قوم من أهل البصرة فقضى إليها، وفيها يقول:

«ألا وإنَّ لَكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَقْنَدُهُ بِهِ وَبِسْتَضْنِي بِنَرِ عَلَمِهِ، أَلا وَانِ إِمَامُكُمْ فَدَاكِنَّ فِي دُنْيَاكُمْ  
بِطَمْرِهِ (أي نوبه البالين) وَمِنْ ظُلْمِهِ بِفَرَصِهِ (أي رغبة الشعور)، أَلا وَانَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ،  
وَلَكُنْ أَعْنَيْتُ بِرَوعَ وَاجْتِهَادَ وَغَفَّةَ وَسَدَادَ، فَوَاللهِ مَا كَنْزَتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبَرَا (أي ذهباً) وَلَا ادْخَرْتُ مِنْ  
غَنَامَهَا وَقَرَاء، وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي نَوْفِي طَمْرَا...» إلى أن يقول(ع):

«وانما هي نفسي أروضها بالتفوي لتأتي آمنة يوم الخوف الاكبر، وتبت على جوانب العزلق، ولو  
شئت لافتديت الطريق الى مصلى هذا العمل، ولباب هذا القمع، وسائج هذا الفرز، ولكن هيبات أن  
يغلبني هواي أو يفودني جشعى الى تغيير الاعنة، ولعل بالمحاجزة او بالمامدة من لاطع له في الفرصة ولا  
عبد له بالشيء. أو أويست ميطنانا وحولي بطنون غرئي وأكباد حرزي! أكون كما قال الشاعر:  
وحشك داء آن تبى ببطة وحولك أكباد تجعن آن القد  
آتفع من نفسي يأن يقال هذا أميرا المؤمنين، ولا أشاركم في مكاره المدمر، أو أكون أسوأ لهم في  
جثوبة الميش؟ فما خلقت ليشلنني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة همتها علها، أو والمرسلة شغلها  
تقسمها».

فالامام عليه السلام لم يكن ليرضى أن يكون هه في الحياة وشغله الشاغل، المتع  
باللذائذ المادية والطيبات من الطعام والشراب، كما هو حال الحيوانات والبهائم، لابل  
ان الانسان أرفع من ذلك ، فلقد خلق ليحمل مبدأ وينشر رسالة، وتلك هي رسالة

### الحق والمعدل والمساواة.

لقد اكتفى الإمام (ع) من ذياء كلها بثوبه البالين وبرغيفيه الشعير يقيم بها أوزده، وماذا يزيد بعد ذلك من خطام الدنيا ولذائذها. لقد رفض نفسه على القناعة والزهد والتقوى، مما لا يستطيع غيره أن يفعله أو يصبر على تطبيقه، وحري به أن يكون بهذه المنزلة من التحرر الوجوداني والسمو النفسي، لانه هو القدوة لجميع المسلمين، وهو الإمام جل جميع الانام.

لقد كانت تختت تصرفه (ع) كل أصناف النعم وكل أنواع الطيبات، من العمل الصدق والخبز الطازج والحرير الناعم، ولكنه مع ذلك آثر أن يكون حظه من هذه الماديات كحظ أقل فرد من رعيته، لأن من أبرز مبادئ رسالته التي قام بنشرها ويطبقها، المساواة بين الناس ونشر العدالة بينهم، وتأمين القسط الإنساني الضروري لحياتهم، والرفع من سويةتهم المعيشية، ليصبح الجميع مكتملين وأحياء، لا يحتاج أحد منهم إلى أحد.

### مثال أبي ذر الغفارى:

وعلى هذا المنوال الرائد سار الصحابة الأوائل رضوان الله عليهم، الذين لم يبتذلوا ولم يغروا، ولم يلهمهم سلطان ولا مال، عن تطبيق ما عاهدوا الله عليه، ونشر ما وظفوا أنفسهم عليه، ومن أعظم أمثلتهم الصحابي الجليل أبوذر الغفارى.

لقد آمن أبوذر بالرسالة الجديدة إيماناً عميقاً، حتى اضطررت الحقيقة في قلبه، وتجلجل صدره بأنوار التحرر واليقين، فأصبح يرى كل شيء في هذه الدنيا رخيضاً أمام مبدئه ودينه، فوهب لعقيدته كل مaimلک ، وكل ما أوتي من قوة وعزيمة.

ها هو أبوذر يطوف في ربوع مكة المكرمة، مجاهراً بمبدئه الحق، معلنًا حربه على العبودية والاستغلال والجهل والضلالة.

لقد قام بمحذرة الناس من مغبة كنز الأموال<sup>٧</sup>، ويدعوهم إلى البذل والعطاء والسماحة والمشاركة، دون أن يضع في حسابه خوفاً من سلطة أو رهبة من قوة.

لقد بدأ أول مبادأً بنفسه يطبق عليها مبادئ هذا البذل والعطاء والمساعدة والمشاركة والعدالة والمساواة. فاتفق كل مالديه على الفقراء والمساكين، ثم سار في أرجاء البلاد يدعو الناس إلى مادعا نفسه إليه، بكل صمود وتصميم وإيمان ويقين.

فلما جاء عهد الخليفة عثمان وأخرب الناس عن مبادئ الإسلام وحقائق الائمه، قام أبوذر يعلمنا حرباً شعواء على كل منحرف ومعاند، قد استوطه الحياة ومادياتها، حتى صرفته عن دينه وانسانيتها. فلم يترك مسجداً ولا حلقة ولا مجلساً إلا استغلها للتوجيه الناس والملاهب عواطفهم الطيبة ونبذ عاداتهم السيئة. دون أن يساوره خوف أو هلع، أو يقُّتُ في عضده وهُنَّ اضعف. ومم يخاف؟ وهو الذي لا يملك مالاً فتأخذنه الدولة، ولا أرضاً فستمكها، ولا داراً فتصادرها ولا وظيفةً فتصرفه عنها. انه لا يملك من حطام الدنيا شيئاً فيخاف عليه، فعاد لا يخاف إلا الله. لقد قطع عن نفسه كل علاقة المادة فأصبحت نفسه حرّة بكل معاني الصفاء والتحرر.

انظر اليه وقد قام خطيباً في الناس يصور ما آلت اليه الامور في عهد عثمان، ويسكر مظاهر الانحراف التي حصلت، فيقول: «القد حدثت أعمالاً ما أعرفها. والله ما هي في كتاب الله ولا ستة نبيه. والله إني لأرى حقاً يطغى، وباطلاً يعيَا، وصادقاً مكذباً، وأثرة بغير ثقى. يا معاشر الأغباء وأسواء القراء. وبشر الذين يكترون الذهب والفضة ولا ينفونها في سبيل الله بسكاوة من نار، تكري بها جياهن وجنوبيه وظهرهم».»

«اتخذتم سترو العبر ونضائد الدبياج، وتالتم الاستطague على الصوف الاذنبي، وكان رسول الله (ص) بنام على العصبي، واختلقت علبكم بألوان الطعام، وكان رسول الله (ص) لا يشبع من خبز الشمير».»

وعاش أبوذر طوال حياته، ينفق ماله على اليتامي والمحرومين، ويوزع حصيلة أتعابه على الفقراء والمعسرین، وقد وقف نفسه لخدمة المساكين والمحاجين، يدافع عن حقوقهم ويتعرض نفسه للهلاك من أجلهم، حتى ثُني إلى صحراء (الرَّبَّةَةَ)، وهي سكان بين المدينة والشام. فعاش هناك تحت خباء خيمته وحيداً فريداً مع زوجته. وصدق فيه قول النبي (ص): «يا أبوذر، نعشى وحدك ، وعموت وحدك ، وبئعت وحدك ».»

فكان فقره هذا أعظم الغنى، وكانت فاقته تلك هي أعظم السعة. وكان وهو في سجنه في منفاه، أعظم إنسان حر عرفه البشرية. ولذلك حال من ينسليخ من علاقته المادة والتراب، ليصبح نوراً متألقاً فوق السحاب.

وحانت من أبي ذر التنانة إلى زوجته، وقد أدركه الشُّغُورُ الآخر، فلطفق يبكي. فقالت له زوجته: أجزعًا من الموت تبكي يا أبوذر وأنت الصادق الصدق؟! قال: لا يا أمّة الله، ولكنني تذكرت وصيّة رسول الله لي، حين قال: «يا أبوذر إياك أن تموت وقد تخلفت قيراطين»! فنظرت زوجته إلى ماحولها لنرى ماترك زوجها في خيمته، فلم تجد غير حصيرة بالية وابريق يشرب منه وآنية يغسل بها.

### المال مال الله

تنطلق نظرية الاسلام الى المال من حقيقة عميقة، وهي أن المال هو في الأصل مال الله، وكل مال في أيدينا قد أعطاه الله لنا على نحو التوكيل وليس التمليل . فالمؤمن موظف على ماله ليستخدمه فيما أمر الله وأراد، فإذا هول يستخدمه وفق ذلك فقد أساء التصرف، وعلى الجماعة المسلمة ممثلة في الحاكم الشرعي أن تمحى عليه، وتمتنعه من التصرف به، وتقيم على المال وكيلًا عنه. وهذه الطريقة لايفسح الاسلام للسائل أن يستخدم في الظلم والاستغلال والباطل. فالشرع يحمي المالك طالما هو يتندأ الخطة الاممية المرسومة له، فإذا هو شدّ عن ذلك نزع حاليته عنه.

### المال وسيلة وليس غاية:

ومن هذه النظرية الرفيعة لوظيفة المال يتبين أن الاسلام يعتبر المال وسيلة لغاية، فهو في الدرجة الاولى وسيلة للاكتفاء الشخصي حتى لا يحتاج الانسان الى سواه، وهو في الدرجة الثانية وسيلة لبناء المجتمع السليم وتأمين الحياة الانسانية لكل فرد فيه، في جوبيتع لكل فرد الفرصة العريضة ليعمل وبجد وتحقق كل طاقاته ومواهبه.

وعندما ينحرس دافع الدين من قلب المؤمن، ينسى علاقته الاساسية بالله، فينكتب على جمع المال شفّقاً بالمال، فلا يعود له غير ملء حصالته من النقود، فلا يبالي من أين جمع المال ولا النهاية من جمعه، فيصبح عبداً للمادة دون أن يستفيد منها أو يفيد أحداً من المحتاجين اليها. وتندفع قيمته في الجماعة كلما قدم المجتمع الفائدة منه، مصداقاً لقول الامام (ع): «قيمة كل امرئ ما يحبه».<sup>١</sup>

وبالنسبة للمخطط التكاملي للمجتمع يعتبر مثل هذا الفرد سرطاناً، لانه ينتص كل الطاقات من حوله، دون أن يعطي شيئاً، فإذا لم تخلص الجماعة منه أتى عليها: لذلك حرم الاسلام الربا والاحتياط والاستغلال والجشع.

ومن ذلك ما ورد في كتاب الامام (ع) لمالك الاشترين ولأبي مصر. يقول (ع): «فامنع من الاحتياط، فإن رسول الله (ص) منع منه. ولتكن البيع بما سمح، بموازن عدل، وأمساك لا تجحف بالفريدين، من البائع والمتاع. فمن قارف تحكرة (أي احتكاراً) بعد نهيك إياه فتحكل به، وعاقبه في غير اسراف» (الخطبة ٢٩٢ نهج).



الفصل الثاني:

أسباب الفقر



## أسباب الفقر

أسباب الفقر متعددة، منها من الخالق سبحانه و منها من المخلوق، ومنها من الفرد ومنها من الجماعة. وسوف نتناول هذه الأسباب في هذا الفصل، علماً بأن الإسلام كنظام لم يقرّ الفقر في مجتمعه، بل وآدَه في مهده عن طريق نظامه التكاملِي.

### أولاً : الأسباب التكوينية:

وهي الأسباب الناتجة عن تكوين الله سبحانه للإنسان. فالناس منذ أن يختلفوا يختلفون في المواهب والقدرات، والاستعدادات والأمكانيات. ويتناول هذا التفاوت الصفات النفسية والفكرية والجسدية. فهم يختلفون في الصبر والشجاعة، وفي قوة العزيمة والأمل، ويختلفون في حدة الذكاء وسرعة البديهة، وفي القدرة على الإبداع والاختراع. ويختلفون في قوة العضلات وفي ثبات الأعصاب، إلى غير ذلك من مقومات الشخصية الإنسانية التي وزعت على الأفراد بدرجات متفاوتة. ويلغى هذا التباين حداً يستحيل معه، أن تجد شخصين متساوين في الذكاء والفهم والعاطفة والعقل والجذد والاجتياح والشعور والاهتمام.

وحكمَة هذا التفاوت والاختلاف أن الحياة تحتاج بطبيعتها إلى أفراد متفاوتين، يناسبون حاجات الحياة المختلفة، وإلا لاستحالَت مسيرة الحياة وتكاملها. فثلا إن نسبة من لديهم القدرة على التخصص العلمي للاكتشاف والابتكار والتطوير

والاختيارات في حدود ١٠٪، بينما بقية الناس ينصرفون إلى تأمين مراافق الحياة المختلفة والانتاج، كل حسب ميله إلى الزراعة أو الصناعة أو التجارة. وتعمد الحياة مرتدة في فوائدتها على الجميع.

وينشأ عن هذا التفاوت في القدرات والانتاج تفاوت في الكسب والتحصيل.

#### الدنيا دار ابتلاء:

ومن الاسباب التكويينية المرتبطة بمفهوم الدين، أن الله سبحانه خلق الانسان مرتبطاً برسالة جاء إلى الدنيا ليؤديها، فهو لم يخلق عبشاً، ولم يوجد باطلاً. فالدنيا بالنسبة له دار امتحان واختبار، تتكامل في مقصودها مع الآخرة التي هي دار الحساب والجزاء. ومقتضى هذا الاختبار أن يكون الناس عمداً متفاوتين في الامكانيات وأن يكونوا متفاوتين في الرزق والمعطاء.

وقد أكدت النصوص القرآنية والاخبار الشريفة على هذه الحقيقة الاساسية، يقول سبحانه:

«الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أثلكم أحسن عملا» (الملك ٢)

ويقول الامام علي(ع) من كتاب له: «فَقَاتَ اللَّهُ شَبَحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لَا يَمْدُهَا، وَابْنَهَا أَهْلَهَا، يَطْلَعُ أَهْلَهُمْ أَحْسَنَ ثَمَلاً. وَتَسْنَا لِلْدُنْيَا خَلْقَنَا، وَلَا بِالسِّعْيِ فِيهَا أَمْرَنَا، وَلَا يُضْعِنَا فِيهَا لَبِيلَهَا» (الكتاب ٢٩٤ نهج).

ويقول الامام(ع): «فَلَمْ يَسْتَنْصِرُكُمْ مِنْ ذُكْرِهِ، وَلَمْ يَسْتَفْرُضُكُمْ مِنْ قُلْبِهِ. اسْتَنْصِرُكُمْ وَلَهُ جَنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَاسْتَفْرُضُكُمْ وَلَهُ خَزَانَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. وَأَغْرِيَ أَرَادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ أَثْلَكُمْ أَحْسَنَ عَمَلاً» (الخطبة ١٨١ نهج).

ويقول الامام الصادق(ع): «مَا أُعْطِيَ عِبَادُنَا الْدُّنْيَا إِلَّا اعْتِبَارًا، وَمَا زُوِيَّ غَنَهُ إِلَّا اخْتِبَارًا».

#### الرزق مفروم:

وقد امتحن الله عباده بما قسم لهم من الرزق، فالرزق مقدر من الله تعالى. يقول سبحانه:

«أَهْمَ يَقْسِمُونَ رِحْمَةَ رَبِّكَ، خَنْ قَسْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

درجات» (الزخرف - ٣٢).

ويقول الامام علي(ع): «أما بعد، فإنَّ الامر ينزل من السماء إلى الأرض كفطرات المطر، إلى كل نفيٍ يقام لها من زيادة أو قصان» (الخطبة ٢٣ نهج).

وقال (ع): «وقدِّر الارزاق فكثُرها وقلَّها، وقسمها على الفقير والسعّة» (الخطبة ٨٩ نهج).

وقال (ع): «الرزق رزقان: رزق نطلب ورزق بطلبك، فإنْ أنت لم تأته أفالك» (الخطبة ٢٧ نهج).

ويقول الشاعر:

الرزق كالغيمث بين الناس منقسم  
هذا غرمٌ وهذا بشيءٍ المطر  
وقال آخر:

لا الأمرُ أمرٌ ولا التقدير تقديري  
لَا الشؤون التي تجري بغير تقديري  
لي خالق رازق ماشاء بفضلِي  
أحاط بي علمه من قبل تصويري  
وقد تكفل سبحانه وتعالى برزق العباد جميعاً، حتى الحيوانات والدواب. يقول  
سبحانه:

«وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها، كلُّ في كتاب مبين» (هود - ٦).

ويقول الامام علي(ع): «عماله الخلق، ضئيل أرزاقهم، وقدر أفواههم» (الخطبة ٨٩ نهج).

ومن شعر الأصم قوله:

وكم من أحسن الفقير والله رازق  
ورازق هذا الخلق في العمر والبر  
نケف بالارزاق للخلق كلهم  
واللهشت في البساداء والموت في البحر  
وللتقدير الارزاق حكمة لا يعلمه إلا الله. فكم من عالم عاقل وهو فقير وكم من  
جاهل خامل وهو مزدوج، أو كما قال القيراطي:

وكيف أحسف الفقير والله رازق  
ستكمل العقل، مُقلَّ عديم  
وكيف جهول مكثر ماله  
ذلك تقدير المزدوج المعلم

الرزق مشروط بالعمل:

صحيح أن الرزق مقسم من الله تعالى، ولكنه مشروط بالعمل وعدم التواكل.

يقول تعالى:

«هو الذي جعل لكم الارض ذرولاً فامشو في مناكبها وغلوا من رزقه وذلبه الشهور» (الملك - ١٥) و يقول سبحانه: «لَا يَكُلُّونَ مِنْ ثُمَرٍ وَمَا عَمِلْتُهُ أَيْدِيهِمْ، أَفَلَا يَشْكُرُونَ» (سورة يس - ٣٥) ويقول النبي (ص): «إِعْقُلْ وَتُوَكِّلْ» (أي إِرْبَطِ الدَّابَّةَ حَتَّى لَا تَشْرُدْ ثُمَّ تُوَكِّلْ عَلَى الله).

وقال الإمام (ع): «فَدَنْكَلْ لَكُمْ بِالرِّزْقِ، وَأَمْرَتُمْ بِالْعَمَلِ» (الخطبة ١٤ نهج).

والرزق شأن كل قادر الله تعالى، وكتبه في اللوح المحفوظ، يكون أحد نوعين:

- ١- الرزق المحتوم: وهو يأتي على أي حال، وهو ما عبر عنه الإمام (ع) بقوله: «ورزق بظلك، فإن لم تأتك أثلاك».
- ٢- الرزق المحرر: وهو مشروط بالعمل أو بغيره من الاسباب، فإذا قام الإنسان بشرطه استحقه.

وهذا كان على الإنسان العمل، ثم تسلیم أمره إلى الله.

يقول الإمام علي (ع): «وَلِيُسْ لِلْعَافِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصًا إِلَّا فِي ثَلَاثَاتِ: مَرْقَةٌ لِمَاعِشِ، أَوْ خَطْرَةٌ فِي مَعَادِ، أُولَذَّةٌ فِي غَيْرِ حُرْمَمِ» (الحكمة ٣٩٠ نهج).

فتراء (ع) يعتبر الرزق من خصال المؤمن الحميدة، ويقرن بينه وبين العبادة لله. لكنه من النباء مكان أن يتكلّب الإنسان على العمل والثقب، ظناً منه أن رزقه مناسب مع ذلك ، لا بل ان شدة الحرث وكثرة السعي يورثان الفقر. ومفاد ذلك ماورد في الاخبار، أن الذي يأتي إلى السوق أول من يأتي، وينصرف منه آخر من ينصرف، ينقص ذلك من رزقه. وما أجمل الاعتدال في كل الأعمال.

يقول الإمام علي (ع): «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْمُعْدِ وَإِنْ عَظَمْتْ حِبْتُ وَاشْتَدَتْ قَلْبَتُهُ وَقُرْبَتْ مَكْيَدَتُهُ، أَكْثَرُ مَا سَتَى لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ (أي اللوح المحفوظ). وَلَمْ يَمْلُأْ بَيْنَ الْمُعْدِ وَقَلْبِهِ حِيلَتُهُ وَبَيْنَ أَنْ يَلْعُجَ مَا سَتَى لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ» (الحكمة ٢٧٣ نهج).

ومن كتاب الإمام (ع) إلى عبد الله بن العباس: «أَمَا بَعْدُ، فَانْكَ لَسْتَ بِسَابِقِ أَجْلِكَ، وَلَا مَرْزُوقٌ مَالِبِسٌ لَكَ . وَاعْلَمُ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ . وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ ذُؤْلٍ، فَاَكَانَ مِنْهَا لَكَ أَثْلَاكَ عَلَى ضَعْفَكَ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ» (الخطبة ٣١ نهج).

### الابتلاء بين الفقر والغنى:

ولقد جعل سبحانه وجود الفقر والغنى، كل منها ابتلاء للآخر. فوجود الفقراء هو

امتحان لسماعة الأغنياء وشكراهم وعدم تعلقهم بالدنيا وما دياتها. كما أن وجود الأغنياء هو امتحان لعفة القراء وعزتهم، فكم من فقير بالمال غني بالنفس، وكما قال سبحانه: «بِحَسْبِمِ الْجَاهِلِيَّةِ أَغْنِيَاهُ مِنَ التَّعْفَ» (البقرة - ٢٧٣). وهو سبحانه في كل الحالين عادل في حكمه.

**يقول الإمام علي(ع): «فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَكْتُبُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنفُسِهِمْ، بِأَوْلَادِهِ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَعْيُّهُمْ» (الخطبة ١٩٠ نهج).**

وقال (ع): «وقدر الارزاق فكتّرها وقلّلها، وتقسّمها على الضيق والاسعة، فمدّل فيها ليثني من أراد بيسورها ومعسّورها، وليختبر بذلك الشّكر والصّبر من غنّيتها وفقرّها» (الخطبة ٨٩ نهج وما أن كلا من الغنى والفقير امتحان، فعل الغنى أن يعذر الغنى الذي صار فيه، ويفهم أنه استدرج وامتحان، تماماً كما على الفقير أن يتّحسب من فقره، ويعلم أنه ابتلاء واختبار.

يقول الإمام علي(ع): «ورث ثقفي عليه مصندرج بالمعنى، ورب مثيل مصنفع له بالبلوبي» (أي أن بنيته هي معروفة أسداء الله اليه) (الحكمة ٢٧٣ نهج).

وقال (ع): «أهـا النـاس، لـيـرـكـم اللهـ منـ النـعـمةـ وـجـلـينـ، كـماـ يـراـكمـ مـنـ النـفـقـةـ فـرـقـيـنـ (أـىـ فـرـقـيـنـ)ـ! إـنـهـ مـنـ وـسـعـ عـلـيـهـ فـذـاتـ بـدـهـ فـلـمـ يـرـ ذـلـكـ اـسـتـدـراـجـاـ فـقـدـ أـمـيـنـ عـوـفاـ، وـقـنـ هـبـيـقـ عـلـيـهـ فـيـ ذـاتـ يـدـهـ فـلـمـ يـرـ ذـلـكـ اـخـبـارـاـ لـقـدـ ضـبـعـ مـأـمـوـلاـ» (الـحـكـمـةـ ٣٥٨ـ تـبـعـ).

وتساوير الشكوك المؤمن الضعيف اليمان، في سبب ابتلائه بالفقر دون الغنى، ولو علم أن تبعية الغنى أشد وطأة من الفقر لا طلب غير ما قدر الله له.

وفي الحقيقة إن الله سبحانه عبده وبوافر علمه، يختار ما فيه الصلاح لعبده.  
فإن كان العبد مؤمناً فقره لعلمه بأنّ غناه سيخرجه عن تقواه، أو أغناه لعلمه بأنّ فقره  
سيخرجه عن طاعته. وقد قال النبي: «لو اطلعت على الغيب لاخترت الواقع».  
ومن يدرى أن الله قد يبستلي المؤمن بالعسر والبلاء ليكون صبره عليه كفارة  
لذنبه، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيبة.

أما الكافر الذي أقام الله عليه الحجة مراراً وتكراراً، وهو يربط في كفره وعناده، فانه يعترض بالغنى ليزيده كفراً، أو بالفقير ليزيده إثناً، مصداقاً لقوله تعالى: «ولاحسبيَّ الذين كفروا إنما يلْهُنَّ لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنَّهُمْ يُنْهَى هُمْ لِيَزْدَادُوا إِنَّمَا يَنْهَى عَذَابٌ شَدِيدٌ» (آل عمران – ١٧٨).

ولقوله جلّ من قائل: «وَبِمَذْكُورِهِمْ يَعْتَهُونَ» (البقرة-١٥).

ويتخرج من ذلك أن الله حين خص عبده بالغنى لم يفضله على الآخر الذي اختصه بالفقر، وإنما هو الابتلاء بشكليه. ولو لم يوجد في الدنيا فقير لم يستوجب الإغبياء التواب.

يقول الإمام الكاظم(ع): إن الله عزوجل يقول: «إن لم أغنى الذي لكرامة به علي، وإن أفقير الفقره لموانع به علي، وهو ما ابتليت به الإغباء بالفقراء، ولولا الفقراء لم يستوجب الإغباء الجنة»<sup>\*</sup>

### عقوبة الاستخفاف بالفقراء:

ان مقتضى الاخبار أن الفقر والغنى كل منها نعمة من نعم الله تعالى، يعطي كلاً منها من شاء من عباده، بحسب ما يعلم من مصالحة الكاملة. لابن ان بعض الفقر هو مما يختص الله به عباده المقربين الذين أحبهم، وفي ذلك يقول الإمام الصادق(ع): «المصابون يفتح من الله، والفقير عند الله مثل الشهادة، ولا يعطيه من عباده إلا من أحب». فقد قرن منزلة هذا الفقر منزلة الشهادة في سبيل الله، وهي مما يختص الله بها المقربين من الخاصة.

وقد روی أن رسول الله(ص) لما وردت المدينة نزل في دار أبي أيوب الانصاري، ولم يكن بالمدينة أفقير منه مازل عنده.

وعن النبي(ص) عن الله تعالى في ليلة المعراج قال: «يا أَحَدَ عِبَّادِيَ الْفَقَرَاءِ وَقَرِبَتْ مَعْلُومَهُمْ مِنْكَ، أَلَيْكَ! وَيَقِيدُ الْأَغْبَيَاءِ وَيَقْدِمُهُمْ مِنْكَ، فَإِنَّ الْفَقَرَاءَ أَحَبَّانِي»<sup>\*\*</sup>.

وقد ذكرنا سابقاً عدداً من الاحاديث التي تبين مرتبة الفقير الصابر. ومن المسلم به أن الفقير الصابر أكثر ثواباً من الغني الشاكر. وأسلم الاحوال من يعيش عيش «الكافف» فهو ليس بالفقير ولا بالغنى. ولذا ورد في أكثر الادعية طلبه، وقد سأله النبي(ص) لاله وعترته.

وقد ورد النبي عن الاستخفاف بالفقيرين لأن ذلك يعني استخفافاً بالله سبحانه. قال النبي(ص): «ألا ومن استخف بالفقير مسلم، فقد استخف بحق الله. والله يستخف به يوم القيمة إلا أن يتوب».

\* - الكافي ج ٢ ص ٢٦٥  
\*\* - ارشاد القلوب ص ٢٧٩

وعن الامام الرضا(ع): «من لقى فقيراً مسلماً فلم عليه خلاف سلامه على النبي، لقى الله عزوجل يوم القيمة وهو عليه غضبان»  
ويقول النبي(ص): «لا تستخفوا بقراء شيعة علي وصرته من بعده، فان الرجل منهم ليشفع في مثل ربعة وعشر». ولله در من قال:

**لَهُ نَحْنُ قَبَابُ السُّرْشِ طَائِفَةٌ أَخْفَاهُمْ عَنْ عَيْنَنَا إِجْلَالًا  
لَمْ يَسْلَطْنَا فِي أَطْمَارِ قَسْكَنَةٍ جَزَرُوا عَلَى الْمُلْكِ الدُّوَارِ أَذْيَالًا  
وَيَقُولُ الْإِمَامُ السَّجَادُ(ع) مِنْ جَلَةِ دُعَائِهِ:**  
«واعصمني من أن أظلن بيدي قلتم خاصة، أوأظل بصاحب ثروة فضلا، فان الشريف من شرفه طاعتكم، والعزيز من أمرته عبادتك».

#### ثانياً : الاسباب الشخصية:

في مقابل الاسباب التكوينية التي منشؤها من الله سبحانه، نجد عوامل ذاتية لللقر والغنى منشؤها الانسان نفسه.  
فالرزق كما ذكرنا تابع للزيادة والنقصان، وقدирه مرتبط بعوامل محددة تماماً، كيا هو الامر في الآجال.

#### بعض عوامل زيادة الرزق:

فنـ جهة العوامل التي تزيد في الرزق، ذكر الامام(ع) في نهج البلاغة أهمها، وهي تنطلق من نية الانسان وسريرته، ومن تقواه وطاعته لربه، الى أخلاقه وحسن معاملته للآخرين، الى الشكر وصلة الرحم، الى الدعاء والاستغفار، الى التصدق ودفع الم حقوق... ويكون اجمالاً في مسائل:

«طاعة اللهـ الشكرـ الاستغفارـ الدعاءـ صلة الرحمـ دفع المخروقـ الصدقة»

يقول الامام علي(ع): «واستمروا فيهم الله عليكم بالصبر على طاعته واجتنبه لمصيته»<sup>١١</sup>  
(الخطبة ١٨٦ نهج).

و يقول سبحانه: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَا زَيْدَنَّكُمْ» (ابراهيم - ٧) و يقول الإمام (ع): «ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر، ويُغلق عنه باب الريادة» (الحكمة ٤٣٥ نج)

ويقول (ع) من خطبة له في الاستقاء:

«أَنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّبَّةِ بِنَفْسِ النَّفَرَاتِ، وَجِبْسِ الْبَرَكَاتِ، وَاغْلَالِ الْخَزَائِنِ الْحِبَرَاتِ، لِبَتْوَبِ قَاتِبِ، وَيَقْلُعُ مَقْلَعَ، وَيَتَذَكَّرُ مَذَكَّرَ، وَيَرْدُجُرُ مَرْدَجَرَ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سَبَاحَهُ الْإِسْتَغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرُوحَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ سَبَاحُهُ: (إِسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَاراً)، يُرْسِلُ السَّاهِ عَلَيْكُمْ مَذَارِداً، وَيُنَذِّدُكُمْ بِأَهْوَالِ وَبَنِينَ، وَيَتَعَلَّمُ لَكُمْ جَنَابَاتٍ، وَيَحْلِمُ لَكُمْ أَهْنَاداً، فَرَحْمُ اللَّهِ امْرَأَهُ أَسْطَبَلَ نُونَهُ، وَاسْتَقَالَ خَطْبَتِهِ، وَبَادَرَ مِنْهُهُ» (الخطبة ١٤١ نج).

ويقول (ع) في وصيته لابنه الحسن (ع): «واعلم أنَّ الذي بيده خزانة السموات والارض قد أذن لك في الدعاء، وتتكلل لك بالإجابة، وأمرك أن تأسأه بمعظلك، وتسأله ليحرثك» (الخطبة ٢٧٠ نج).

وعن الإمام الصادق (ع): «دعاء الرجل لأخيه بظاهر الغيب ينذر الرزق ويدفع المكره».

ويقول النبي (ص): «صلة الرحم تزيد في العمر وتمني الفقر».

ويقول الإمام الصادق (ع): «صلة الرحم قنطرة في الأجل، قنطرة في المال، متعة في الأهل».

ويقول الإمام علي (ع): «إذا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقَّا، فَإِنَّ أَذَاهُ زَادَهُ مِنْهَا» (الحكمة ٢٤٤ نج)، مع اختلاف في الملفظ).

ويقول (ع): «إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقه» (الحكمة ٢٥٨ نج).

ويقول النبي (ص): «أَسْتَرْلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ، وَالْكُورْمَارُكَ بِزِيدِهِ فِي جَمِيعِ النِّعَمِ خَصُوصًا الرِّزْقَ، وَمُشَنِّنُ الْخَطَّ مِنْ مَفَاتِحِ الرِّزْقِ، وَطَبِيبُ الْكَلَامِ بِزِيدِهِ فِي الرِّزْقِ».

ومن أقوى الاسباب الجالبة للرزق إقامة الصلاة بالتعظيم والخشوع، وقراءة سورة الواقعة بالليل وقت العشاء، وقراءة سورة يس وتبارك وقت الصبح، وحضور المسجد قبل الاذان، والمداومة على الطهارة، وأداء شعيرة الفجر والوتر في البيت، وأن لا يتكلم بكلام اللغو».

### بعض عوامل نقص الرزق:

كما ذكر الإمام علي(ع) بعض العوامل التي تنقص الرزق أو تقطعه، وهي تنصب على بعض الذنوب والكبائر، منها:

(الذنوب - الزنا - أكل المال الحرام - منع الحقوق)

يقول تعالى: «ولوأن أهل القرى آمنوا وأفروا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض» (الأعراف - ٩٦).

ويقول سبحانه: «وَسَرِبَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ قَرْبَةَ كَانَتْ آمِنَةً مُطْبَعَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا زَقْدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَكَفَرُتْ بِأَنَّمِمَ اللَّهَ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجَوْعِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» (الحل - ١١٢).

ويقول الإمام علي(ع): «وَإِنَّ اللَّهَ مَا كَانَ قَوْمٌ فَطَّلُ في عَهْنَ نَعْمَةٍ مِّنْ عَيْنِ فَرَازٍ عَنْهُمْ، إِلَّا بِذَنْبٍ اجْتَرَحُوهَا، لَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ. وَلَوْأَنَّ النَّاسَ حِينَ نَزَلَ بِهِمُ النَّعْمَ، وَنَزَلُوا عَنْهُمْ، فَزَعَوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصَدِيقٍ مِّنْ نَيَّاهُمْ، وَوَلِيٍّ مِّنْ قَلْوَاهُمْ لَر٣ عَلَيْهِمْ كُلُّ شَارِدٍ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلُّ فَاسِدٍ» (الخطبة ١٧٦ نهج).

ويقول الإمام علي(ع): «تَوَكُّلُ الذنوبِ، فَإِنَّهُ مِنْ بَلَىٰ وَلَا تَعْصِي رِزْقٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، حَقُّ الْمَخْدُشِ وَالْكَبُوْرِ وَالْمَصْبِيَّ».

وعن الإمام الحسن(ع): «ترك الزنا، وكس النساء، وغض الإناء، مجلبة للذلة» °

وعن الإمام الصادق(ع): «كترة السحت بمحنة الرزق».

ويقول الإمام علي(ع): «إِنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ نَعْمَةٍ حَتَّىٰ فِي أَدَاءِ حَفْظِهَا، وَمِنْ قَصْرِ عَنْهُ خَاطِرٌ بِزَوْلِ نَعْمَتِهِ» (الحكمة ٤٤ نهج).

ويقول(ع): «إِنَّ اللَّهَ عَبَادًا يَخْتَصُهُمْ بِالنَّعْمَ لِنَافِعِ الْعِبَادِ، فَيُبَرِّئُهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا يَذَلُّوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَىٰ غَيْرِهِمْ» (الحكمة ٤٢٥ نهج).

### أسباب أخرى تزيد في الرزق:

في الروايات أن من حَسُنتْ نيته زاد الله في رزقه.

وأن غسل اليد قبل الطعام يزيد في الرزق  
وأن التسخن بالياقوت والمعيق والغيرة وزج وقراءة سورة التوحيد حين دخول البيت  
ينفي الفقر.

ويقول الإمام الصادق (ع): «حسن الجوار يزيد في الرزق».  
وفي الروايات:

أن غسل الرأس بالخطمي يجلب الرزق وينفي الفقر  
وأن من أطلى فتدلك بالحناء من قرنه إلى قدمه نفي عنه الفقر  
 وأن المشط يجعل الرزق

وتقليم الأظافر يوم الخميس يذرأ الرزق دراً  
والسراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ويزيد في الرزق.  
وعن أمير المؤمنين (ع) في ذكر ما يزيد في الرزق، وعد منها:

«الجمع بين الصلاتين والنعقاب بعد الفداء وبعد المضر، وصلة الرحم ومواساة الآخ، والبكور في طلب الرزق، واستعمال الأمانة وقول الحق، وإجابة المأذن، وترك الكلام في الحلاوة، وترك المحرص،  
وشكر النعم، واجتناب الإيمان الكاذبة، وغسل اليد قبل الطعام، وأكل ما يسقط من المفوان، ومن سبع  
الله كل يوم ثلاثين مرة دفع الله عنه سبعين نوعاً من البلاء أيسراها الفقر»<sup>٠</sup>

### أسباب أخرى تورث الفقر:

روى عن الإمام علي (ع) أن من الأسباب التي تورث الفقر:  
ترك نسخ المنكوبات في البيوت  
والبلول في الحمام (يقصد بالحمام البركة التي يستحم الناس عندها)  
والأكل على الجناة  
والتشطط من قيام  
وترك القمامنة في البيت  
والإيام الغائرة  
والزنادقة  
والظهار الحمرص

والنوم بين العشرين وقبل طلوع الشمس  
واهتماد الكذب  
وكلة الاستماع إلى الفناء  
وردة السائل  
وزرك التقدير في الميالة  
وقطعية الرحم.

وروي عنه (ع) أيضاً:  
القيام من الفراش للبول عرضاً  
وزرك فسق البدن عند الأكل  
واهانة الكسرة من الخبر

واحرق قشر الثوم والصلص  
والغمد على أسكفة البيت (أى على عنبة الدان)  
وكنس البيت بالليل  
وفسق الأعضاء في موضع الاستجاه  
ويسع الأعضاء المفسدة بالذيل والكم (كما يفعل من بتوضأ ثم يمس وجهه ويدبه به كده أو يطرف  
رداشه)

ويسع الفصاع والأوابي غير مسلولة  
ويسع أوابي الماء غير مملطة الرؤوس  
والاستخفاف بالصلة

ونجبل المزوج من المسجد  
والبكور إلى السوق وتأخير الرجوع عنه إلى المئذني  
وشراء المثبر من القراء  
والعن على الأولاد

وخياطة النوب على البدن (المقصود بها خياعة الإنسان ثوبه وهو على بدن)  
وأطفاء المرأة بالنفس (أى بالتنفس عليه)  
وعن النبي (ص) قال: «الفقر من خمسة وعشرين شيئاً، وذكر منها:  
التقدم على المشايخ  
ودعوة الوالدين باسمها

والنخلل بكل خشب (أي تخليل الاسنان بكل عود من الخشب)  
 وتفسيل اليدين بالطين  
 وترك القصارة  
 وخياطة الثوب على النفس  
 ومسح الوجه بالذيل  
 والأكل ناما  
 ودعاء السوء على الوالدين  
 وقص الاظفار بالاسنان.

وذكر المحقق الطومي في آداب المتعلمين فيما يورث الفقر:  
 كثرة النوم  
 والنوم عرضا  
 والمشي أمام المشايخ  
 والجلوس على العتبة  
 والاتكاء على أحد زوجي الباب  
 والكتابة بالقلم المغود  
 والامشاط بالمشط المكسور  
 وترك الدعاء للوالدين  
 والنعم قاعدا  
 والسرول قاما (أي ليس البتطل من قيام)  
 والبعض والتغبر والامسايف  
 والكسل والتواقي  
 والتهاون في الامور.

### ثالثا : الاسباب الاجتماعية

ومن عوامل الفقر الظلم بأنواعه، ظلم السفرد للفرد، وظلم طبقة في المجتمع  
 لطبقة، وظلم دولة في العالم لدولة. مما مجده شائعا في الدول والمجتمعات.  
 فمن الظلم الفردي ظلم رب العمل لعامله واستغلاله وعدم اعطائه حقه من  
 الاجر.

يقول النبي (ص): «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجت هرفة».

ويقول النبي (ص): «من ظلم أجيراً أجره، أحبط الله عمله، وحرّم عليه ريح الجنة» ومن الظلم الجماعي استبداد طبقة التجار بالمستهلكين من الشعب، وبيع السلع بالارباح الفاحشة. ومن هذا الظلم استثمار الأغنياء بالمال وعيشهم عيشة البذخ والرفاهية، دون أن يعطوا المغرومين حقهم من العيش الكرم.

يقول الإمام علي (ع): «إِنَّ اللَّهَ سَبَّانُهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَفْوَاتَ الْفَقَرَاءِ، فَاجْعَلْ فَقِيرَ إِلَّا يَجْأَمِعَ بِهِ غَيْرُهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَأَلَهُمْ عَنْ ذَلِكَ» (الحكمة ٣٢٨ نهج).

ومن الظلم الدولي تحكم الدول الرأسمالية والصناعية<sup>١٢</sup> بثروات الدول الفقيرة وفرض الحصار الاقتصادي عليها أو إلهازوها بالحروب لتنظر فقيرة محتاجة إليهم. وذلك ليحافظوا على مستوى رفاهيتهم التي كرسوها على حساب غيرهم. وهذا من أقسى أشكال الظلم والاستبداد، التي يجب مقاومتها.

وتزول كل هذه الانواع من الظلم عندما تقوم دولة القرآن في الأرض، وتقام فيها حدود الله، ويقف كل جانب عند حده العادل، الذي يضمن حقه ولا يجحف بحق غيره، في علاقات انسانية أخلاقية بين الأفراد والمجتمعات والدول. وقد ورد في الاسباب التي تورث الفقر، بعض العوامل التي تدخل في هذا الباب. فإذا طفى الفجور على مجتمع حل به الفقر الجماعي، فيقل المطر وتحف النبات وتجعد الأرض من المحاصيل.

واذافشى الظلم والكذب وسوءخلق وقطع الرحيم وايذاء الجيران في المجتمع، سلط الله عليهم من يُفترهم ويدهم.

واذا حبس الناس الحقوق وأكلوا السُّحت والربا وما اليم، ورداوا السائل والمغروم، نزع الله من بينهم البركة فلايهدناؤن بنعمة من النعم، ولا تستجاب لهم دعوه. واذا استهانوا بأوامر الله ولم يقيموا حدوده، فتركتوا العبادة والصلة والأمر بالمعروف والنبي عن المنكر، عاقبهم سبحانه بأنواع المؤسف والجوع ونقص الثرات والمدد.

يقول جل من قائل: «وَتَبَلَّوْتُكُمْ بَشَّيْرٌ مِّنَ الْعُرْفِ وَالْمُجْرِيْعِ وَتَقْصِيْرٌ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْفَرَاتِ، وَتَبَشِّرُ الصَّابِرِيْنِ» (البقرة - ١٥٥).



الفصل الثالث:

علاج الفقر



## علاج الفقر

لا يمكن معالجة الفقر<sup>١٣</sup> في الاسلام في معزل عن فلسفة الاسلام الفكرية ونظامه الاقتصادي.

وتنطلق الفلسفة الفكرية للإسلام من فلسفه شاملة متکاملة للكون تُوحّد كل مافيها في نظام متناسق يستمد وحدته من وحدانية الله. لذلك سمي الاسلام دين التوحيد، لأن كل شيء في نظره يتوحد في ارتباطه بالواحد الأحد. من هذا المنطلق نجد أن الاسلام استطاع أن يوجد بين العبادة والمعاملة، والحقيقة والسلوك ، والروحيات والماديات، والقيم الاقتصادية والقيم المعنوية، والدنيا والآخرة، والارض والسماء.

ومن هذه النظرة التكاملية للكون والحياة وضع الاسلام قواعده وأسسها وحدوده وغاياته، وأصدر تشريعاته وفرانصه، في سياسة الحكم وسياسة المال، وفي توزيع المقام والمغارم، وفي الحقوق والواجبات. وضمن هذا الاصول الكبير تتطوّي سائر الاجزاء والتفضيلات.

وحيث ندرك هذه الفكرة الكلية عن نظرية الاسلام الى الكون والحياة والانسان، ندرك الخطوط الاساسية للعدالة الاجتماعية في الاسلام.

فهذه العدالة قبل كل شيء هي عدالة إنسانية شاملة، وليس عدالة اقتصادية محدودة. وهي اذن تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها، كما تتناول الشعور

والسلوك ، والضمائر والوجودات. وعليه فان القيم التي تتناولها هذه العدالة ليست القيم المادية فقط، وإنما هي القيم الروحية أيضا.

### عقيدة التوحيد \*

تنبع هذه العقيدة من الاعيان بالله تعالى وبوحدة مخلوقاته، فنعطي الإنسان نظرية توحيدية، ينظر من خلالها إلى جميع الموجودات كمجموعة واحدة ومنظومة مترابطة، ذات جهة واحدة، هي جهة الله تعالى.

وهذه العقيدة اذا كانت صحيحة راسخة في قلب الانسان تسيطر على وجوده، وتوحد جميع ابعاده المختلفة، وتجعلها متلازمة ومترابطة، ثم ينبع نور هذه الوحدة والتلاحم على عامة صفات الانسان، بمحاته وأعماله واتجاهاته.

### الاعيان التوحيدى - الاجتماعى:

ان الاعيان التوحيدى يصور المجتمع في نظر المؤمن الواحد، كأسرة كبيرة واحدة، وكهيئة ايديولوجية موحدة. وهذا الاعتقاد اذا ساد المجتمع فانه يُبطل الآثرة والتباين والطبقية، ويبني من الناس أمة وسطا، تقوم على السنن العادلة.

يقول النبي (ص): «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن آباءكم واحد، كلكم لادم وأدم من نور، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتفوى».

ويقول (ص): «لافقنكم لعربى على عجمى، ولا لأبيض على أحمر، إلا بالتفوى». والمجتمع التوحيدى لا يمكن أن يوجد في ظل حكومة الطاغوت، بل لا بد له ليتولد وينمو و يستقر من حكومة التوحيد التي تحكم بتعاليم الله.

ولبيان الاعيان التوحيدى نأتي بالمثال التالي من سيرة الانتماء عليهم السلام:  
 عن عبد الله بن الصلت، عن رجل من أهل بلخ، قال: كنت مع الإمام الرضا (ع) في سفره إلى خراسان، فدعا يوماً مائدة له، فجتمع عليه مواليه من السردار وغيرهم، فقلت: جعلت فداك ، لوعزلت هؤلاء مائدة! . فقال: «أي اسكنت؟! إن الله تبارك وتعالى واحد، والأمم واحدة والأب واحد، والجزاء بالاعمال» \*\*

\* - الحياة للسادة رضا وعمره وعلى الحكيم ج ٢ ص ٤٨

\*\* - الكافي للكتبي /٨

### إنما المؤمنون أخوة:

ومن أجل مظاهر الاعيان التوحيدى، المؤاخاة بين الأفراد في الإسلام، يقول تعالى «إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخوتكم» (الحجرات - ١٠). وقد حصلت المؤاخاة بشكل فعلى أول مرة في الإسلام، حين وفد المهاجرون إلى المدينة<sup>١٤</sup>، فأنهى النبي (ص) بينهم وبين الانصار فاقسموا المال والنساء بينهم عن طيب نفس.

يقول الإمام زين العابدين (ع) لاحد أصحابه: «يا زهرى، وما عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك، فتجعل كثيرهم بمنزلة والدك ، وتجعل صغيرهم بمنزلة ولدك وتجعل زيهم بمنزلة أخيك؟! فرأى هولاء نحب أن تظلم، وأرى هولاء نحب أن تدعوه عليه، وأرى هولاء نحب أن تهتك ستره؟» \*

فعل المؤمن أن يقيم أخاه المؤمن مقام نفسه، وبيادله الحبة ويشاركه في الحقوق، فيحب له كل ما يحب لنفسه، ويكره له كل ما يكره لها. وهذا هو ميزان السلوك في الإسلام.

يقول النبي (ص): «لابيئن أحدكم حق بعثت لأخيه ما يحب لنفسه». وليس أجمع لهذا المعنى من قول الإمام علي (ع) في وصيته لابنه الحسن (ع): «بابي أجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحبت لغيرك ما تُحب لنفسك ، وكره له ما تكره لها. ولا تظلم كلاماً تُحب أن يُحسن إليك ، واستيقع من نفسك ما تستقيمه من غيرك . وارهق من الناس بائزهاء لهم من نفسك». (الوصية ٢٧٠ نهج).

### تساوي الناس في الحقوق:

من مفهوم الاعيان التوحيدى - الاجتماعي، استدل العلماء على تساوي الأفراد في الحقوق نتيجة تساوهم في الخلق. فكان أن لهم إلهاً واحداً، فكذلك لهم حقوق واحدة.<sup>١٥</sup> وللميزة لأحد على أحد وللطبقة على طبقة. ونجد هذا المعنى واضحاً في كلمة الإمام علي (ع) في عهده لما لك الاشتراك، حين أوصاه بالرعاية فقال: «فإليهم صفتان، إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق» (الكتاب ٢٩٢ نهج).

## وحدة الحقوق:

وهكذا تصدر الحقوق كلها متكاملة من مصدر واحد هو الله تعالى. وهناك حقوق الله اختص بها نفسه على عباده، وهناك حقوق فرضها على الإنسان لنفسه، وهناك حقوق فرضها على عباده لعباده. وتتدخل هذه الحقوق فيما بينها. ولم تجدوثيقة كاملة تفصل هذه الحقوق أجمع من رسالة الحقوق للإمام زين العابدين<sup>٩</sup>

يقول(ع): «اعلم ان الله عزوجل عليك حقوقاً عديدة بك...بعضها أكبر من بعض. وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق، ومنه نترى، ثم ما أوجبه عليك لنفسك... ثم تخرج الحقوق منك الى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك».

ويقول الإمام علي(ع): «ان الله تعالى أنزل كتاباً هادياً... وفضل حرمة المسلم على الخرم كلها، وشدة بالأخلاق والتوجيه حقوق المسلمين في معاقدتها، فالمسلم من شيم المسلمين من لسانه وبده إلى الحق، ولا يجوز أذى المسلم إلا بما يجب» (الخطبة ١٦٥ نهج)

ويقول(ع): «جعل الله سبحانه حقوق عباده مقدمة لحقوقه، فمن قام بحقوق عباد الله، كان ذلك مؤدياً إلى القيام بحقوق الله»<sup>١٠</sup>

وهكذا فإن تأدية حقوق الناس هي جزء من تأدية حقوق الله، ولا تزال مرضاه الله إلا بتأدية تلك الحقوق.

ومن أهم الحقوق التي أثبتها الشارع لكل الناس، ليصرف عنهم شبح الفقر، حق العمل وحق الحرية وحق الحياة الكريمة. فالإسلام أعطى كل فرد في مجتمعه حق العمل وحق الحرية، وأنجح له الظروف المساعدة ليعمل ويحقق كامل قدراته ومواهبه، وذلك سعياً للاعتماد على نفسه في إقامة الحياة اللائقة به. فأنّ هو بعد ذلك ف Mercer عن تحقيق ذلك كفله بالضمان الاجتماعي الذي يؤمّن له الحد الأساسي من الحياة الكريمة<sup>١١</sup>.

٩ - وردت هذه الرسالة في خط المتنزل من ١٨١

١٠ - عرالحكم من ١١٥

### حرمة المسلم:

وتنطلق حرمة المسلم مجردًا عن كفاءاته ومادياته، من حرمة الله تعالى الذي خلقه وكفره، فالمسلم هو خليفة الله في الأرض<sup>١٧</sup>، ومنه يستمد عزته وكرامته.<sup>١٨</sup>  
يقول سبحانه: «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» (المافقون) ٨.

ويقول النبي (ص): «السلم أخو المسلم، لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله. كل المسلم على المسلم حرام، بيدهه وبأهله ودمه، النفري هبنا. بحسب أمرى من القرآن يحق أخوه المسلم».

### الساعي في حاجة أخيه المسلم:

وقد ذكرنا في الفصل الاول كيف أن الله سبحانه امتحن الناس بعضهم ببعض،  
اذ بسط الرزق لبعضهم وقدره على بعضهم. ومن هنا كان سعي المؤمن في خدمة أخيه  
المؤمن من أعظم الفضائل لابل الواجبات. لأن المؤمن يتغذى قيمته من الله، فاكرامه  
هو إكرام الله، واعطاوه هو إعطاء الله. يقول جل من قائل:

«من ذا الذي يُفرض الله لرضاً حسناً في بشاعفه له أسماءاً كثيرة، والله يفيض ويسط واليه  
يرجعون» (البقرة) ٢٤٧.

فاقتراض الفقر هو منزلة إقراض الله تعالى.

وقد وردت الاحاديث الكثيرة في فضل قضاء حوائج المؤمن.

يقول النبي (ص): «السلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه. من كان في حاجة أخيه كان الله  
في حاجته»

ويقول (ص): «فَنَّفَسَ عَنْ مَوْنَنْ كُثُرَةً مِنْ كُثُرَ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُثُرَ يوم  
القيمة، وَمِنْ سَرِّ مُسْلِمٍ سَرَّهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَاللَّهُ فِي عَوْنَ أَخْيَهِ»،  
ويقول الإمام الصادق (ع) لابن جندب: «إِنَّ أَبْنَى جَنْدَبَ، الْمَاشِي فِي حَاجَةِ أَخِيهِ  
كَالسَّاعِي بَيْنَ الصَّفَّا وَالْمَرْوَةِ، وَقَاضِي حَاجَتِهِ كَالْمُشْحَقَّ بَدْهَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمَ بَدْرٍ وَاحِدٍ، وَمَا عَذَّبَ  
اللَّهُ أَمَّةٌ إِلَّا هُنَّ دَسَّانِيْمٌ بِحُقُوقِ فَقَرَاءِ إِخْوَاهِمْ».

وقد اعتبر الاسلام اعطاء الفقير خير ذخر للانسان يجد له يوم القيمة، فكأن الفقير  
حين نعطيه شيئاً يحمل لنا ذاك العطاء الى يوم القيمة حيث تحتاج اليه.

وما أجمل قول الامام علي(ع) في ذلك ، في وصيته لابنه الحسن(ع): «وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيمة، فبواهيك به غداً حيث تحتاج اليه، فاغتنم وتحمله إياه، وأكتنز من تزويده وأنت قادر عليه، فلملكت طلبه فلا تجده. واغتنم عن استفرضتك في حال غناك، ليجعل فضاءه لك في يوم غمرتك». (الكتاب ٢٧٠ نهج).

### إنفاذ تعاليم الاسلام يضمن انعدام الفقر:

ذكرنا في الفصل الثاني أن من الاسباب التي تورث الفقر، ارتکاب المعاشي والفاواحش وأكل المال الحرام ومنع الحقوق، وبكلمة عامة عدم اطاعة الله تعالى. فعلاج الفقر كامن في طاعة الله تعالى وتمثل أوامره وتطبيق تعاليمه، فان ذلك يضمن انعدام الفقر في المجتمع.

**يقول الامام علي(ع):**

«أما الذي فلق الحبة وبراً النسمة، لواقتبس العلم من معدنه، وادخرتم الخير من موضعه، واحذّم الطريق من وضجه، وسلّكم الحق من بوجهه، لا بهجت بكم البُلْبُل، وبدت لكم الاعلام، وأضاء لكم الاسلام، وما عال فيكم عائل، ولا أفلّم منكم مسلم ولا معاوه».

### علاج الفقر من الناحية الاقتصادية:

يتخذ علاج الفقر في الاسلام سبليين متباينين، هما:

**العلاج الفردي - والعلاج الاجتماعي.**

### أولاً - العلاج الفردي لل الفقر:

ينتتج من كل ما سبق أن علاج الفقر في الاسلام ينبع من داخل النفس، لأن المجتمع الصالح لا يقوم إلا اذا كان كل فرد فيه قد أدرك مبادئ الاسلام، وترى على قيمه وأمن بغاياته.

وان معرفة البدأ الاهي وتمثله في الذات والافعال، هو كمال العقل. لأن ذلك يوصل الى مرضاعة الله والجنة: العقل ما اكتسب به الجنة

ولذلك قال الامام موسى الكاظم (ع) لشام بن الحكم قوله الرائع: «يا شام، من أراد العنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين، فليتذرّع إلى الله في مسألته بأن يتكلّل عقوله، فمن عقل ففع ما يكتبه، ومن ففع ما يكتبه استفدى، ومن لم يفع ما يكتبه لم يدرك العنى أبداً».

فن العبرت أن يقوم مجتمع متوازن يشعر فيه كل فرد بوجوده مع غيره في الحقوق والواجبات، اذا كان كل واحد يسعى إلى الجشع والحرص والتکالب على الدنيا، كالبهيمة المربوطة هنها علقها. لذلك روض الاسلام الذات الانسانية على الزهد متع الحياة وماديات الدنيا، وعلى السعي إلى المعرف الروحية والمرضاة الالهية. فقدر ما يرتفع المرء عن الحاجات البهيمية يصعد إنساناً.

### ال人性 على الزهد في المال والتحرر من سلطنته:

من هنا حض الشاعر على الزهد. يقول النبي (ص): «لِكُنْ بَلَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كُثُرَ الرَّاكِبِ».

لأن المادة والشهوات غالباً ماتتصد عن المعاني الروحية الالهية. يقول تعالى «قد أفلحت من زَكَاهَا وَقُدِّحَابُ مِنْ دَتَاهَا» (الشمس: ١٠).

و الزاهد الذي تحرر من علانق المادة والتراب هو أقرب ما يكون من الله، وبذلك تصبح قيمته عند الله أعظم من غيره، وإن كانت ملابسه الخارجية رثة خليفة، فإن الله ينظر إلى القلب النظيف وليس إلى الرداء النظيف.

يقول النبي (ص): «بِأَبِي ذِئْرٍ، أَلَا أَخْبُرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: كُلُّ أَشْعَثِ أَهْلِ ذِي طَمْرٍ لَأَيُّوبَةَ بِهِ، لَوْأَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَأَهُ».

ولو تفحصنا نهج البلاغة لوجدنا نسبة كبيرة منه (نحو ١٠٪) تتكلّم في الزهد وذم الدنيا. وقد كان الامام علي (ع) أول الزاهديين والمطلقين للدنيا. حتى أنه رضي من الدنيا باليين، فكان طعنه قرصين من الشعير، ولبسه طمرين باليين. حق أثر عنه أنه قال: «لقد رفعت مدرعي هذه حق استعانت من رافقها». وإذا كانت قيمة الانسان بقدر تحرره من الدنيا وقربه من الله، فلقد كان الامام (ع) من أقرب الناس إلى الله وأحقرهم بالقدسية والشأن.

وفي ذلك يقول الشاعر اقبال:

فَقَبِرَ عَلَى طَمْرِهِ نَفْحَةُ حِيدَرٍ أَعْرَلَنَا مِنْ أَلْفِ كَسْرٍ وَفَبَصْرٍ

وَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلِقَ قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ:

«إِذَا وَقَمْتَ الْوَاقِعَةَ لَمْ يَرْجِعْنَا كَادِبَةً خَافِضَةً رَاغِفَةً»

فَوُصُوفُ القيمةِ بِأَنَّهَا تَضُمُ الْمَوَازِينَ الْقَسْطَ لِحَقَائِقِ النَّاسِ، فَتَرْفَعُ مِنْ كَانَ فِي نَظَرِ النَّاسِ حَتَّى يَرُؤُهُ بِهِ، وَتَنْفَضُ مِنْ كَانَ فِي نَظَرِ النَّاسِ عَظِيمًا كَالْمُلُوكِ وَالْجَبَابِرَةِ.

**قيمة الإنسان بالعطاء وليس بالثقل:**

وعا أن التحرر من المادة يدفع الإنسان إلى الجود والعطاء، فان قيمة الإنسان في نظر الاسلام<sup>١٩</sup> تأتي من مقدار عطائه وبذله ومساعدته للآخرين، لأن مقدار ما يملك من مال أو علم أو قوة، فإذا هو لم يبذل للناس مافي وسعه فلا قيمة له، ولا قيمة لامكانياته. كالغنى الذي يتضمن عاليه، والعالم الذي لا ينشر علمه، والقوى الذي لا يستعمل عضلاته.

فإذا شبّهنا الإنسان بالشجرة، فإن عطاءه لغيره هو ثمرة تلك الشجرة، فإذا كانت الشجرة لا تثمر فليس ماتها غير القلع والكسر والحرق.

وفي هذا المعنى قال أمير الفصاحـة والبيان(ع) كلمـة المـأثـورة: «قيـمة كل أمرـي ما يـحسنـه»!

من هذا المنطلق حرم الشارع كنز الأموال<sup>٢١</sup> لأن صاحبـها لا يـقدمـ أـية خـدـمةـ مجـتمـعـهـ. كما حرمـ الـربـاـ لأنـ صـاحـبـهـ يـأخذـ وـلاـ يـعطـيـ.

**تسخير قدرات الفرد للجماعة (إثبات الذات ونفي الذات):**

يؤكد الفيلسوف الكبير الدكتور محمد اقبال على فكرة «إثبات الذات (نحوى)»، وذلك بفتح المجال أمام الفرد لتنمية كافة مواهبه وقدراته تربيةً تجعله قويًا بعطاءه. وبعد هذه المرحلة تأتي فكرة «نفي الذات (في نحوى)» وهي تعني أن تذوب إرادة الفرد في خدمة المجتمع. فالمسلم لا يقول (أنا) بقدر ما يقول (نحن). وماتنة ذاته إلا لخدمة المجتمع. فتكون بذلك قد حفظنا حرية الفرد وحق المجتمع في آن واحد.

وان التداخل بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع قائم بشكل مطرد، فكلما أنتـجـ الفـردـ اـغـنـىـ اـجـتمـعـ، وـكـلـمـاـ اـغـنـىـ اـجـتمـعـ غـنـىـ الفـردـ.

### التأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع (وحدة المجتمع):

ومن أبرز سمات المجتمع هي وحدته التامة، فهو كالكون المتتساك اذا اختلف من جزء انتقض كامل نظامه، او كالجسد الواحد اذا تعطل منه عضو ظهر تأثيره في بقية اجزائه.

يقول النبي (ص): «قتل المؤمنين في توادهم وتفالفهم وزراهم، كمثل الجسد الواحد، اذا اشتكى منه عضو نداعي له سائر الجسد بالحمى والسهر». ومن هذا المنطلق السكamp;ami;لي نجد أن القرآن يعتبر اساعة الانسان لغيره إساعه لنفسه، وقتل المرء لأخيه هو قتلاً لذاته.

يقول تعالى: «ولا تلمزوا أنفسكم» (الحجرات ١١)

ويقول: «بما آثينا آمنوا لأنكروا أموالكم بيتكم بالباطل إلا أن تكون خمارة عن تراص منكم. ولا تفتنوا أنفسكم. إن الله كان بكم رحيم» (النساء ٢٩). أي لا يقتل بعضكم بعضاً. ولو كان المقصود بذلك أن لا يقتل المرء نفسه بل اعتصمه الآية بصيغة المفرد وليس الجمع. ومن منطلق وحدة المجتمع عبر القرآن أن من يقتل شخصاً فكانما قتل المجتمع كلها. يقول تعالى:

«من أجل ذلك كتبنا على بن إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض، فكانما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكانوا أحيا الناس جميعاً» (المائدة ٣٢)

لذلك اعتبر ضرورة القصاص للجاني لأنه يقتل المجتمع بفعله، واعتبر زواله حياة للمجتمع. يقول جل من قائل:

(ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب، لعلكم تفون) (سورة البقرة ١٧٩)

### مبدأ حرية الفرد في الكسب والثقل

الاسلام يساير الفطرة ومحاول تشجيعها والاستفادة منها، وكل نظام يعاكس الفطرة فاشل لاحماله، مهما أقام على الافراد ستاراً حديدياً. والاسلام بعد أن عالج الفقر وأمن الحياة العزيزة الكريمة لكل إنسان في مجتمعه، لم يجد ضيراً من أن يعمل كل انسان بحرية تامة، باذلاً كل امكاناته للكسب والانتاج، لابل انه يرى أن ذلك من

أجمع الامون لأنه يعود بالفائدة على الفقير والمحروم ويدعم رفاه المجتمع. فكلما عمل القادرون زادت نسبة تأمين الضعفاء والمحاجين... ومادام الحد الضروري من الحياة مُؤمناً لكل فرد، فائية فائدة نحببها اذا حرمنا الافراد من طموحهم وكبتنا من حرياتهم، سوى حرمان المجتمع من طاقات أبنائه؟!.

ان الاسلام لا يمنع تقديم الافراد فوق المستوى الانساني الذي وفره لهم، لابل يريد من الجميع العمل والطموح والارتقاء، لأن من هدفه إغناه وتتميلك كل فرد، بينما تسعى المبادئ الشيوعية الى إفقار كل فرد وسلبه حقوقه، وشتان بين نظام يرفع الجميع الى القمة، ونظام يُدْنِي الجميع من الفقر.

وبعد أن زود الاسلام جميع أفراده بالمبادئ الاخلاقية وشحنه بالمثل الاعتقادية التي تجعل الانسان أخوا الانسان، يكفله ويواسيه ولا يخذله، وضع التشريعات الضرورية لمن ينحرف عن أهدافه ومعاناته، فحرم الاستغلال والاحتكار وتبديد المال وإساءة استخدامه.

#### **تحديد سلطة المالك على الانتفاع بماله:**

في الاسلام تحديداً متعددة لسيطرة المالك على التصرف في ماله، كمنه من الاكتساب بالربا، ومنه من الإضرار بالجماعة عن طريق استخدام ماله بشكل يضر بالآخرين، انطلاقاً من القاعدة الشرعية: «الاضرار ولاضرار» لأن الانسان في النظرة الاسلامية مُوَكَّل بالمال ليستخدمه خدمة الجماعة واقامة المجتمع العادل. وان تصرف المالك في ماله بشكل يؤدي الى الاضرار بالآخرين يمكن أن يكون أحد نوعين:

الاول : إضرار مباشر، كأن يسرق أو يغتصب أو يتلف مال غيره.

الثاني: إضرار غير مباشر، وهو ما يحصل في المجتمعات الرأسمالية التي لا تضع حدأً لجشع الانسان، بل تسمح له أن يستغل أمواله كيف يشاء مالم يسلب الآخرين حريةهم التشكيلية.

فإذا قام أحد هم بمشروع رأسمالي كبير، فإنه يستطيع بواسطته أن ينغير المشاريع الصغيرة. وذلك دون أن يسلب أصحاب المشاريع الصغيرة شيئاً من بعاصتهم التي يملكونها فعلاً، وإنما بأن يضطرهم الى تصريفها بأرخص الأثمان، فينسحبون من الميدان ويعجزون عنمواصلة العمل.

وفي كل حالة يسيء المرء استخدام أمواله، يفرض الاسلام عليه الحجر، أي ينزع منه حق التصرف به، ويعين له وكيلًا قادرًا على استخدام المال بالطرق الشرعية، ليتني له المال لصالحه.

### ثانياً - العلاج الاجتماعي لل الفقر:

وهو يتناول دور المجتمع والدولة في علاج الفقر، وذلك طبقاً للأسس التي رسمها الاسلام في العلاقات بين الأفراد، ومنها التعامل بين العامل وصاحب المال. وقد ابنت هذه الاسس على مبدأ جليل هو أن «لا كسب بلا عمل».<sup>٤٤</sup>

ونجد أن الاسلام حاول استخدام كل الوسائل لرفع سوية المجتمع المادية (نسبة الانتاج)، ثم حاول النهوض بمستوى المخربين والعاجزين بما شرع لهم من حقوق في العمل والحياة الكريمة (الضمان الاجتماعي). ثم حاول ازالة الفوارق الكبيرة بين طبقات الشعب (التوازن الاجتماعي)، وكل هذه الوسائل من شأنها ازالة الفقر والنہوض بالمخربين ليلحقو بسوية الناس.

#### (١) - طريقة المعاملة بين العامل وصاحب المال:<sup>٤٥</sup>

سمح التشريع الاسلامي للعامل بأسلوبين لتحديد المكافأة التي يستحقها، وترك للعامل الحق في اختيار أيهما شاء، وفق مصلحته وتقديره... وهما: أسلوب الأجرة، وأسلوب المشاركة في الارباح أو الناتج. فن حق العامل ان يطلب مالاً عدداً مكافأة له على عمله، كما يحق له ان يطالب باشراكه في الربح أو الناتج.

وستشرح ذلك فيما يلي:

١- أسلوب الأجرة: يمتاز هذا الاسلوب بعنصر الضمان، فالعامل اذا قنع بأن يكافي بقدر محدد من المال لقاء عمله، وهو ما نسميه الاجرة، كان على صاحب العمل دفع هذا القدر المحدد له، بقطع النظر عن نتائج العمل وما قد يسفر عنه الانتاج من مكاسب أو خسائر.

٢- أسلوب المشاركة: وهو أن يقترح العامل على صاحب العمل أن يشاركه في

النتائج والارباح بنسبة مئوية، بأمل الحصول على مكافأة أكبر، وبذلك يربط العامل مصيره بالعملية التي يمارسها، ويفقد عنصر الضمان، اذ من المحتسب أن لا يحصل على شيء اذالم يوجد ربح.

ولكل من الاسلوبين ميزة خاصة.

وقد نظم الاسلام الاسلوب الاول(الأجرة) بتشريع أحكام الإجارة. كما نظم الاسلوب الثاني (المشاركة في الربيع أو الناتج) بتشريع أحكام مختلفة، منها:

١- عقد المزارعة: وفيه يتلقى العامل مع صاحب الأرض وال碧در على استخدام الأرض في زراعة ذلك البذر ومقاسة الناتج بيهما.

٢- عقد المساقاة: وفيه يتبعه العامل بستي الأرض في مقابل منحه نسبة مئوية في الثرة.

٣- عقد المضاربة: وفيه يتغير العامل لصاحب المال على أن يقاسمه أرباح تلك التجارة.

٤- عقد الجُمالة: وفيه يعلن تاجر الاخشاب مثلاً استعداده لمنح أي شخص يصنع له سريراً من تلك الاخشاب، نصف قيمة السرير.

وفي كلا الاسلوبين السابقين لتحديد مكافأة العامل لا يجوز لصاحب المال أن يضيع على العامل شيئاً من الخسارة، بل يتحمل صاحب المال الخسارة كلها إن حصلت، وحسب العامل من الخسارة أن تضيع جهوده سدى.

والقاعدة الاساسية لمكافأة العامل أن يكون قد بذل جهداً ما في عملية الانتاج، ولأن لا يجوز له أية مكافأة.

والقاعدة العامة في نظرية الاقتصاد الاسلامي أنه لا يسمح لأي فرد بأن يضمن لنفسه كسباً بدون عمل، لأن العمل هو المبرر الاساسي للكسب في النظرية.<sup>١٥</sup>

ومن أمثلة المدلول السليبي هذه القاعدة منع المستأجر للدار أو الأرض أو أية أداة انتاج عن إيجارها بأجرة أكبر مما كلفه استئجارها مالم ينفق عليها عملاً يستحق الزيادة.

ومن أمثلة ذلك أيضاً من الأجر عن استئجار غيره للقيام بالمهمة التي استئجر عليها بأجرة أقل مثـاـحـصـلـ عليه.<sup>١٦</sup> فحصوله على الفرق بين الأجرتين يكون حراماً لأنه لا يقابل عملاً.

وأحد تلك الأمثلة هو: الربا.

الربا وسبب غريه :

الربا في القرض حرام في الاسلام، وهو أن تفرض غيرك مالاً إلى موعد بفائدة يدفعها المدين عند تسليم المال في الموعد المتفق عليه. فلا يجوز القرض إلا مجردأ عن الفائدة، وليس للدائن الا استرجاع ماله الأصلي دون زيادة، منها كانت الزيادة ضئيلة.

وهذا الحكم يعتبر في درجة وضوحيه اسلامياً، في مصاف الضروريات من التشريع الاسلامي.

والفائدة تعتبر في العرف الرأسمالي الذي يسمح بها، أجرة رأس المال التقدي الذي يُشلّفه الرأسماليون للمشاريع التجارية وغيرها، لقاء أجر سنوي يحدد بنسبة مسوية من المال **المُسلَّف**، ويطلق على هذا الاجر اسم الفائدة. وهم لا يرون أي فرق بين تلك الاجرة على المال وبين الاجرة التي تحصل نتيجة ايجار العقارات وأدوات الانتاج.

لكن الاسلام يجد فرقاً أساسياً بين الحالين وفق نظريته التي سبق شرحها. فوسيلة الانتاج (الالة مثلاً) التي يُؤجرها صاحبها هي عمل مختزن، يشترك في الانتاج، وهي كعامل الذي يبذل طاقته، ويكون ذلك بتناكلها وخضوعها للكسر والعطب، فتخرج بعد الانتاج غيرها قبل الانتاج، وهو مانسيه (**الاستهلاك**)، ولذلك يجب لها الأجر، أما المال الذي يدخل في الانتاج على أساس الفائدة، فهو يبيق نفسه بعد الانتاج وقبله، فلما يستحق الفائدة؟ والقاعدة أن لا أجر بلا عمل!<sup>٧</sup>

وما أن أموال المربّين غير معرضة للنقص بحال من الاحوال، نجد أن أموالهم تتضخم باستمرار بدون أن يقوموا بأي عمل، وذلك على حساب جهد الآخرين.

وهذا من أكبر عوامل الفقر، لأنّه ينمّي طبقة التمولين العاطلين عن العمل، في حين يُفقر طبقة العاملين الكادحين الذين أغفلتهم من القراء، فهو من أكبر عوامل زيادة التباين في المجتمع.

وقد سمح الشارع بأسلوب المشاركة في الناتج على أساس الارض في عقد المزارعة

والمسافة، وعلى أساس المال التجاري في عقد المضاربة، وعلى أساس المادة الأولية في عقد الجماعة، ولكنه لم يسمح بالمشاركة في الناتج في أدوات الانتاج.

فإذا قدم صاحب رأس المال الآلة ليعمل بها العامل، لم يتعذر لصاحب الآلة أن يشارك العامل في نسبة الربيع والانتاج، بل يأخذ أجرة على الآلة تناسب ما يستهلك منها.

وعليه فإن بعض الأشياء أجاز الشارع لها الأجرة فقط، مثل البيت والارض والآلة. في حين جعل لبعضها الآخر حقاً في نسبة الانتاج، مثل المال التجاري، والارض مع البذر، والمادة الاولية كالصوف والخشب وخلافه. فما الفرق بين الحالين؟

إن البيت والارض وأدوات الانتاج هي عمل مغزون ولكنه لا يتضمن مشاركة فعلية من صاحبه في عملية الانتاج، فهو واسطة فقط للانتاج، ويستحق الأجرة فقط. أما المال التجاري والبذر مع الارض والمادة الاولية، فهي ممارسة مباشرة لمالكها في عملية الانتاج.<sup>٢٨</sup>

في المفهوم الإسلامي يكون الفرق في القيمة بين المادة الاولية قبل تصنيعها وبعد تصنيعها هو من حق مالك المادة الاولية ومن حق العامل، وليس من حق الآلة التي حولته.<sup>٢٩</sup> في عقد الجماعة يكون الناتج من حق صاحب المادة والأجير الصانع.<sup>٣٠</sup> أما الآلة فلها حق الأجرة<sup>٣١</sup> فقط وليس لها نسبة من الربيع.

وكذا الامر في عقد المزارعة، فالارض التي بذلت صاحبها مع البذر يكون له حق في الناتج ف تكون له نسبة من الثمر، لأن عملية الزراعة ماهي إلا إلغاء للبذرة التي هي ملك لصاحب الارض.

وأما في عقد المضاربة، فإن صاحب المال يبذل ماله للعامل، فيشتري العامل البضاعة من ذلك المال، فتكون منكاً لصاحب المال،<sup>٣٢</sup> وعامل العامل إلا الاتجار بتلك البضاعة، فلصاحب المال حق في الربيع.

وفي كل هذه الاحوال نجد أن الاسلام يعطي الافضلية للعامل على وسائل الانتاج، اذ يحق له أن يأخذ نسبة مفتوحة من الانتاج، بخلاف الآلة التي تأخذ فقط أجرة محددة.

وببناء على القاعدة الأساسية في أنَّ الأجر والربح هو مقابل الجهد والعمل،<sup>٣٣</sup> حرم الاسلام أنواعاً كثيرة من الموارد التي لا تخضع لهذا القانون، فحرم الربا والقمار واليانصيب وغيرها.

## (٤) - تنمية الانتاج

وننتقل الان الى الحديث عن: تنمية الانتاج، وهي من أهم عوامل مكافحة الفقر في المجتمع الاسلامي.

### الخطى على العمل والانتاج:

خلق الله سبحانه الانسان وكرمه على كثير من المخلوقات، اذ وهب القدرة والارادة والتدين ليكون خليفته في الأرض<sup>٣٤</sup>، وخلق كلّ مافي الكون من أجل خدمته وسعادته.

من هذا المنطلق العظيم يشعر المؤمن بقيمة وعظمته وسر وجوده وغايته، وأن كل ما هو موجود في الطبيعة خلق من أجله، فمن واجبه أن ينجز للقيام بمسؤوليته، فيخور في بحار العلم، ويُخضع جميع الطاقات لمشيئته، ويكافح لتحقيق رسالته.

من هنا نجد أن الاسلام قد حرص على العمل وتنمية الانتاج، وفرض على المجتمع الاسلامي السير وفقاً له، وجعل تنمية الثروة والاستمتاع بالطبيعة الى أقصى حد، مدافعاً للمجتمع<sup>٣٥</sup>.

يقول النبي(ص): «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من عمل يده».

### وسائل الاسلام في تنمية الانتاج \*

والاسلام حين تبني مبدأ تنمية الثروة والانتاج، جند كل امكاناته لتحقيق هذا الهدف، وابعاد الوسائل التي يتوقف عليها.

وسائل تحقيق هذا الهدف على نوعين: وسائل يجب على المجتمع ابجادها وضمانها، ووسائل تطبيقية يجب على الدولة، برسم سياسة تخطيطية متكاملة، توجه نشاط المجتمع وتتكلله.

وستتكلم عن هذه الوسائل من الناحية الفكرية والناحية التشريعية.

## ١- الوسائل الفكرية:

فمن الناحية الفكرية حث الاسلام على العمل والانتاج، وقيمه بقيمة كبيرة، ويربط به كرامة الانسان شأنه عند الله. وبذلك خلق الأرضية الفكرية الصالحة لدفع الانتاج وتنمية الثروة. وقد أعطى مقاييس خلقيه عن العمل والبطالة، أصبح العمل بمقتضاهما عبادة يثاب عليها المرء، وأصبح العامل في سهل فُورته أفضل عند الله من المعبد الذي لا يعلم.

في الحديث أن الامام الصادق(ع) سأله عن رجل، فقبل له: «أصابته الحاجة، وهو في البيت بعد زبه، وآخوه يقومون بخيشه». فقال (ع): «الذى يفونه أشدة عبادة منه».

وعن الرسول (ص) أنه رفع يوماً يده عامل مكدوود، فقبّلها وقال: «طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسئلة. ومن أكل من كذا يده مراعٍ على الصراط كالبرق المخاطف. ومن أكل من كذا يده نظر الله إليه بالرحمة ثم لا يعذبه أبداً. ومن أكل من كذا يده حلاً ففتح له أبواب الجنة يدخل من أنها شاء».

وفي رواية اخرى أن شخصاً مرباً لامام الباقر(ع) وهو عارض العمل في أرض له، ويجهد في ذلك حتى يتصابع عرقاً، فقال له: أصلحك الله أرأيت لوجاء أجيالك وأنت على هذه الحال؟ فأجابه الإمام(ع) وهو يعبر عن مفهوم العمل في الاسلام: «لوجاءني الموت وانا على هذه الحال، جاءني وانا في طاعة الله عزوجل».

وكان رسول الله(ص) كما جاء في سيرته الشريفة يسأل عن الرجل اذا أعجبه مظاهره، فان قيل له ليست له حرفة ولا عمل يمارسه، سقط من عينه، ويقول: «إن المؤمن إذا لم تكن له حرفة يعيش بدينه».

وعن النبي (ص) قال: «ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً، فيأكل منه الانسان أو دابة إلا وكتب له به صدقة».

وقد أهاب سبحانه بالانسان الى استئثار مختلف المجالات فقال: «هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً، فامشو في متاكبيها وملعوا من رزقه، واليه الشحن (الملك) ١٥ وكما قاوم الاسلام فكرة البطالة وحث على العمل، كذلك قاوم فكرة تعطيل بعض الثروات الطبيعية وفكرة تجميد الاموال وكنزها.

## ٢. الوسائل التشريعية:

أما من الناحية التشريعية، فقد جاءت تشريعات الاسلام في كثير من المقول، تتفق مع مبدأ تنمية الانتاج الذي يؤمن به الاقتصاد الاسلامي، وتساعد على تطبيقه.

وفيما يلي بعض تلك التشريعات والاحكام:

١ - منع الاسلام من كنز النقود وتجميدها<sup>٣٦</sup> وذلك عن طريق فرض ضريبة على ما يُكتنز من القطع النقدية الذهبية والفضية، التي كانت الدولة الاسلامية تجبرى على أساسها، وهي ضريبة الزكاة التي تستنفذ المال المدخر على مز الزمن، لأنها تتكرر كل عام، بنسبة ٥٪ تقريباً. ولأجل هذا تعتبر الزكاة مصادرة تدريجية للمال الذي يكتنز ويوقف عن العمل.<sup>٣٧</sup>

يقول تعالى: «والذين يكتنون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، فبئس لهم بعذاب أليم»<sup>٣٨</sup> (التوبه ٣٤)

وبالقضاء على الاكتشاف تتدفق جميع الاموال الى حقول النشاط الاقتصادي، وتمارس دوراً إيجابياً في المسيرة الاقتصادية، وبذلك يزيد الانتاج وتزيد الارباح ويعيش الناس في بحبوحة من العيش. عن الإمام الصادق(ع): «إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ هَذِهِ الْفَضْلَاتُ مِنِ الْأَمْوَالِ لِتُوجِّهُوهَا حِلْمًا وَجِهَّا اللَّهُ، فَلَا يُعْلَمُكُمُوهَا لَتَكْنُزُوهَا».

٢- منع تركز الثروة في يد أفراد معدودين، وهو فحوى قوله تعالى:  
«كُمْ لَا يَكُونُ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» (الحضر - ٧)  
لأن الثروة حين تتركز في أيدي قليلة، يعم البؤس وتشتد الحاجة لدى الكثرة الكاثرة من الناس.

٣- وضع الاسلام تشريعات الضمان الاجتماعي للفرد، وهذا الضمان الجماعي عدا عن إعطاءه الفرد الحق في حياة كريمة لانفقة، فإنه يعطي الفرد رصيداً نفسياً يدفعه الى مختلف ميادين الانتاج دون أن يخاف من الخسارة والاخفاق، وينمي فيه عنصر الابداع والابتكار.<sup>٣٩</sup> [ ٣٠١-٣٩ ]

- ٤- لم يعط الاسلام الضمان السابق لمن لا يعمل وهو قادر على العمل، ومنع الناس من الاستجداء. وهذا يؤدي بطبيعته الى تجريد كل طاقاتهم للإنتاج والاستثمار.
- ٥- حرم الاسلام الاسراف لما يرافقه من تبذير في الحاجات الاستهلاكية وهدر الأموال التي يلزم توظيفها للحركة الانتاجية.

ويمكن أن نتكلّم في هذا الصدد حول عمل المرأة في الوظائف، وهو ما استهونه عقول النساء في هذا الزمان، اخراجاً وراء تقليد الاجانب. فقد خلق عمل المرأة اليوم في مجتمعاتنا معضلة كبيرة لم تكن قائمة من قبل. وذلك أن كثيراً من النساء يذهبن الى الوظيفة للتسلية والثرثرة وليس للعمل، ثم يأخذن المرتبات التي تصرف على آخر الازیاء والمواضت في اللباس والزينة، فنشأ عن ذلك أن العمل المنتج لم يزداد، في حين انخفضت القيمة الشرائية لمرببات الرجال. فأصبحت المرأة تقاسم الرجل نصف حقه، وتُبَذِّرُه في شتى الاساليب. فكان من نتيجة ذلك أن افقرت اغلب العائلات ولاسيما ذات العدد الكبير من الاولاد. وأصبح الرجل يضطر الى ممارسة عملين حتى يغطي نفقات أسرته.

وما يزيد هذه المعضلة وطأة أن تعمل في هذه الظروف المرأة المكتفية التي لا تحتاج الى دخل، وهذه غالباً ماتتفق كامل معاشها على المظاهر الفارغة.

وما يؤكد هذا التبذير الذي ترتكبه نساؤنا في الاهتمام الزائد باللبسة والكماليات، أن الأوروبين بعد أن أجروا إحصاء على استهلاك منتجاتهم في كافة بلاد العالم، كتبوا على خارطة الشرق الاوسط: «منطقة مبيعات الزينة والكماليات». ٦- أوجب الاسلام فرض كفاية تعلم جميع العلوم والفنون والصناعات التي يحتاجها المجتمع الاسلامي. وشجع على اكتساب تلك المعلوم التي غالباً ما يُبدِّع فيها الفقراء الذين يعتمدون على انفسهم في بناء حياتهم.

٧- أعطى الاسلام الحق لمن يستصلح ارضاً للدولة أن تصبح ملكاً له. فمن عمل في أرض، وأنفق عليها جهداً حتى أحياها، فهو أحق بها من غيره. وذلك من مبدأ تشجيع العمل وزيادة الانتاج وتفضيل العامل الكادح على غيره. وتكون الاولوية في اعطاء تلك الاراضي للفقراء والمحاجين، حتى لا يستأثر الاغنياء بمساحات كبيرة وبخربوا غيرهم من هذا الحق.

٨- سمح الاسلام للدولة باستثمار أموال بيت المال لصالح المحجاجين، كما أن هذا الاستثمار يتبع فرص العمل لكل فقير قادر على العمل.

٩. أعطى الاسلام الدولة الحق في الاشراف على الانتاج، وتنظيمه مركزياً، حتى يسير على نهج منظم تكاملي، بعيداً عن الفوضى والتخطيط.

### كفاية الموارد الطبيعية لكل الناس:

ان الاسلام يرى أن الفقر والجوع ليس منشؤهما ندرة موارد الانتاج وبخل الطبيعة، اما منشؤهما الانسان نفسه. يقول تعالى:

«الله الذي خلق السموات والأرض، وأنزل من السماء ماء فأنخرج به من التراب رزقاً لكم، وتنجز كلّ الفلك لتجري في البحر بأمره، وستحرثكم الأرض وتغمركم الشمّر والقدر اثنين، وستغرس لكم الليل والنهر، وأتناكم من كلّ مأسأته، وإن تعلوا نعمة الله لا يحصلواها، إنّ الإنسان لظلوم كفار» (ابراهيم - ٢٤).

أن هذه الآيات الكريمة بعد أن استعرضت مصادر الثروة التي أنعم الله تعالى بها على الانسان، أكدت أنها كافية لاشياع الانسان وتحقيق كل حاجاته (وأناكم من كلّ مأسأته). فالمشكلة الواقعية لم تنشأ من بخل الطبيعة، أو عجزها عن تلبية حاجات الانسان، وإنما نشأت من الانسان نفسه عندما يكفر ويُشذ عن النظام الالهي العادل (إنّ الإنسان لظلوم كفار)، فظلم الانسان في توزيع الثروة وكفرانه للنسمة بعدم استغلال جميع المصادر التي تفضل الله بها عليه، مما السببان المزدوجان للمشكلة التي يعيشها البائس منذ أقدم عصور التاريخ.

وهذا يعني أنه لا يستطيع أن يحل مشكلة الفقر غير مبادئ الدين القائمة على الأخلاق والقيم والمبادئ الروحية.

### (٣) مسؤولية الدولة في الاقتصاد الاسلامي:

وتتجلى هذه المسؤولية في مبادئين أساسين هما:

١- الضمان الاجتماعي . ٢- التوازن الاجتماعي .

### ١) الضمان الاجتماعي :

فرض الاسلام على الدولة ضمان معيشة أفراد المجتمع الاسلامي ضماناً كاملاً، والدولة تقوم بهذه المهمة عادة وفق اتجاهين:

- تأمين وسائل العمل للفرد، وفرصة المساهمة الكبيرة في النشاط الاقتصادي المشرم، ليعيش على أساس عمله وجهده.

- مبدأ الضمان: فإذا كان الفرد عاجزاً عن العمل وكسب معيشته بنفسه كسباً كاملاً، فإن الدولة تضمن له المال اللازم لسد حاجته وتوفير حدٍ كاف من المعيشة له.

ومبدأ الضمان الاجتماعي هذا يرتكز على مبادئ:

مبادئ التكافل العام، ومبادئ حق الجماعة في موارد الدولة العامة.

فأما مبدأ التكافل العام فيقتضي اشباع الحاجات الحياتية والملحة للفرد، بينما يزيد المبدأ الثاني من ذلك ، ويفرض اشباعاً أوسع ومستوى أرفع في الحياة.

#### ١- مبدأ حق الجماعة في موارد الثروة:

ينطلق هذا الحق لكل فرد في المجتمع من حق الجماعة في مصادر الثروة<sup>٤١</sup> وفي الاستفادة من ثروات الطبيعة. وعلى أساس هذا الحق تكون الدولة مسؤولة بصورة مباشرة عن ضمان معيشة المعوزين والمعاجزين.

وتخططي الدولة نفقات هذا الضمان مما يدرها من الثروات والانتاج (بيت المال)، فن ذلك الزكاة والخمس والإنفاق والفي، والخراج والجزية والكفارات، اضافة الى تنمية موارد الدولة العامة وملكيّة الدولة.

يقول تعالى «ومَا أفاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى، فَلَلَّهُ وَلِرَسُولِهِ وَلَنَدِيِ الْفَرْقَ وَالْبَاتِمِيِّ وَالْمَالِكِيِّ وَابْنِ السَّبِيلِ، كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» (الحشر - ٧).

والفي، هو ما يأخذنه المسلمون من الكفار بدون قتال، فهو ليس من حق المقاتلين وإنما يوزع على اليتامي والمساكين.

وفي هذا النص القرآني نجد الأساس الذي تقوم عليه فكرة الضمان، وهو حق الجماعة كلها في الثروة، وذلك حتى يصبح المال متداولاً وموجوداً لدى جميع أفراد المجتمع، ولا يكون دولة بين الأغنياء خاصة «كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ»

جاء في عهد الامام علي (ع) الى مالك الاشت:

«ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبِيعَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَالِكِيِّ وَالْمَحْتَاجِيِّ، وَأَهْلِ الْبُؤْسِيِّ وَالْزَّمْنِيِّ، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبِيعَةِ قَانِعاً (الْفَقِيرُ الَّذِي يَقْنَعُ ) وَمُمْتَراً (الْفَقِيرُ الَّذِي يَسْأَلُ وَلَا يَقْنَعُ )، وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا مَسْتَحْفَظُكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ

مالك ، وقسمًا من غلات صواني الاسلام في كل بلد. فان للأقصى منهم مثل الذى للأدنى ، وكلُّ قد استُرعيت حقه ، فلا يشغلنكم عنهم بطر ، فانك لا تُعذر بتضييعك اثناه ، لأحكامك الكثيرة لهم ، فلا تشخض همك عنهم ، ولا تصغر خذلتهم ، وتقدّم امور من لا يصل اليك منهم ، متمن لا تفتحجمة العيون ( اي تستصرف العيون شأنه ) وتحقره الرجال ، ففرغ لا ولشك ثقتك من أهل الخنسنة والتواضع ، فتيرفع اليك امورهم ، ثم اعمل فيهم بالأعذار الى الله يوم تلقاه ، فان هو لا من بين الرعية أحوج الى الانصاف من غيرهم ، وكلُّ فأعذر الى الله في تأدبة حقه اليه . وتمهد أهل اليم و ذوى الرقة في السن منن لاحيحة له ولا يتخصب للمسألة نفسه ».

فهذا النص يقرر بكل وضوح مبدأ الضمان الاجتماعي ، ويشرح المسؤولية المباشرة للدولة في إعانة الفرد وتوفير حد الكفاية له .

ولا يقتصر هذا الضمان على الافراد المسلمين ، بل يمتد الى الرعايا المسيحيين واليهود من أهل الذمة الذين يعيشون في كتف الدولة الاسلامية ، اذا كبر أحد هم وعجز عن الكسب ، كانت نفقته على بيت المال .

فعن الامام علي(ع) أنه مرَّ بشيخ مكتوف كبير سأله . فقال أمير المؤمنين: من هذا؟ فقيل له: إنه نصراني. فقال(ع): «استعملته، حق اذا كبر وعجز عن عمده؟! انفقوا عليه من بيت المال».

وأما حدود هذا الضمان الذي يجب على الدولة لكل فرد في المجتمع ، فهي عريضة ولا تقتصر على الحاجات الملححة ، بل تمتد الى تأمين كل حاجاته الاساسية ، بحيث يتمتع بمستوى الكفاية من العيش . والكافية من المفاهيم المرنة التي يتسع مضمونها كلما ازدادت الحياة العامة يسراً ورخاء . وتزداد حدود هذا الضمان حتى تشمل الطعام والكساء والمسكن ، وكذلك الزواج واللحج

وكثيراً ما كنا نسمع في التاريخ أن أشخاصاً كانوا يأتون الامام فيؤمن لهم عملاً او يشتري لهم داراً ، او يسعى في تزويمهم ، كل ذلك من بيت المال .<sup>[٢-٤٩]</sup>

ومن أعظم الامثلة على هذا الضمان ما حصل في كشمير . فقد ذكر لنا الدكتور أبوالحسن العرقاوي الاستاذ في كلية التربية بجامعة دمشق اليوم ، أنه حين زار باكستان وكان فيها ملحقاً ثقافياً لسورية ، أعجب بتمسك الشيعة بنظام الحسنه ، فقد أقاموا له الجمعيات المنظمة التي تكفل جمه وصرفه ، وتبلغ حصيلته عندهم ملايين الملايين كل عام .

فليما حصلت مشكلة كشمير وهاجر أهلها وعدهم خمسة ملايين إلى باكستان تحت وطأة الاضطهاد الهندي، وصلوا باكستان حفاة عراة بعد أن كان بعضهم يملك المصانع والمتاجر والمزارع وكانوا كلهم من الشيعة، فاستطاعت الجمعيات الإسلامية أن تخل قضيتهم في شهر من الزمن على الرغم من فقرهم المدقع وعدهم الواقر. فلقد أعطت منظمات الخمس كل لاجئي كشميري مشترك عندها مقداراً من المال يكافي تماماً ما كان يملكون في بلاده، حتى أن أحدتهم كان يملك متجر للمجوهرات، فأنشأوا له متجرًا مثلاً. وهنا تظهر حقيقة التضامن في الإسلام.

## ٤- مبدأ التكافل العام:

وهو المبدأ الثاني للضمان الاجتماعي في الإسلام، الذي ينطلق من مبدأ كفالة المسلمين بعضهم البعض، باعتبارهم أخوة في الدين. يقول سبحانه: «الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَاءُ بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِالْمَرْوُفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ» (التوبه - ٧٢) ويستوجب هذا النوع من التكافل عندما لا تكتفى الزكاة حاجة الفقراء والمعاجزين، كما حصل في أول الإسلام حين كان أكثر الذين دخلوا الإسلام من الفقراء والمحروميين. وكما يحصل في حالات الجماعات والحراب والكوارث. فيجوز للحاكم الشرعي أن يفرض على القادرين فريضة مالية لأخوانهم المحروميين.

يقول تعالى: «خُذْ مِنْ أموالهُمْ صدقةً تُنْهَرُهُمْ وَرُتْكِيمْ بِهَا» (التوبه - ١٠٣) وفي الحديث الصحيح: «إِذَا فِي الْمَالِ حَقَّاً سُوِيَ الزَّكَاةِ» (صحيح الترمذى)

وجاء في الحديث: «إِنَّمَا مَنْعِنَ مِنْ مَوْمِنٍ شَبَّاً مَا يَعْتَاجُ إِلَيْهِ، وَهُوَ قَدْرُ عَلِيهِ مِنْ هَذِهِ أَوْ مِنْ عَنْدِ غَيْرِهِ، أَفَاقَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُسْوِدًا وَجْهَهُ، مَزْرُقَةً عَيْنَاهُ، مَفْلُوْلَةً بَدَاءَ إِلَى عَنْفَهُ، فَيَقُولُ: هَذَا الْخَالِنُ الَّذِي خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ يُبَرَّرُهُ إِلَى النَّارِ».

كما يجب هذا النوع من الضمان عندما تفقد الدولة الإسلامية وينتقل معها ضمانها للفقير وفق المبدأ الأول.

ولاستيضاح حدود هذا الضمان نورد بعض النصوص التشريعية الدالة عليه: عن الإمام الرضا(ع) عن النبي(ص) قيل: يأنبى الله! في المال حق سوي الزكاة؟ قال: «نعم، يرث الرحم اذا أذربت، وصلة الجار المسلم، فاًآمن بي من بات شبعان وجارة المسلم جائع».

ويقول النبي (ص): «يا أبا ذر، من كان له قبضان للبلبس أحدهما وللبس الآخر أحده». وسأل سعامة الامام الصادق (ع) عن قوم عندهم فضل، وبآخرتهم حاجة شديدة، وليس يتسع لهم الزكاة. أيسهم أن يتبعوا وبخراج إخوانهم؟ فأن الزمان شديد. فرد الامام عليه قائلاً: «إن المسلم أخوه المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يغره، فيتحقق على المسلمين الاجتياح فيه والتواصل والتتعاون عليه، والمواساة لأهل الحاجة».

وعن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله (ص) يقول: «من كان مده فضل ظهره فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له».

ويعده النبي (ص) الاشمريين فيقول: «إن الاشمريين إذا أرسلوا في الفزو أو قلل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم التقى مسموه بينهم بناه واحد بالسوية، فهم مل وأنما منهم».

### وقائع حبة على مبدأ التكافل:

ويزخر تاريخ الائمة (ع) بالامثلة الحية على تطبيق مبدأ التكافل العام في صدر الاسلام حيث كان الفقر طاغياً على الناس. فقد كان الامام علي (ع) يعمل في سقاية النخل ليؤمن قرصيه وطمريه، ثم ينفق ما فضل عن كسبه في اطعام الفقراء وتغیر العبيد.

ومن أروع الواقع على ذلك قصة تصدقه بالطعم هو زوجته فاطمة ولديه الحسن والحسين (ع) حين أمسوا صياماً فاتاهم المسكين ثم اليتيم ثم الاسين، فباتوا جياعاً ثلاثة أيام لا يجدون عند إفطارهم غير شربة الماء. حتى نزلت فيهم الآية: «وَيُطْعِمُونَ الظَّلَامَ عَلَىٰ حُبْهُ مَسْكِنًا وَيَتِيًّا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا تُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا تَرِيدُ مِنْكُمْ جِزَاءً ۝ وَلَا شُكُورًا» (الانسان - ٩).

وصدق فيهم قول الله تعالى:

«وَيُرْتَرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْكَانَ بَهِمْ خَاصَّة» (الحضر - ٩)

ومن الواقع الشهير ما يروى عن تصدق الامام الحسين (ع) والامام زين العابدين (ع)، حيث كان الواحد منها يحمل الجراب على ظهره ليوصل الغذاء الى بيوت الفقراء والمحرومين، الذين منعهم عفتهم عن الطلب والسؤال.

يروى أن الامام زين العابدين (ع) كان يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب

على ظهره، وفيه الصرر من الدنانير والدرارهم، وربما حل على ظهره الطعام أو الحطب، حتى يأتي بباباً فيقرعه، ثم يتناول من يخرج اليه. وكان يغطي وجهه اذا ناول فقيراً لثلا  
يعرفه.

فهذا توفي (ع) فقدوا ذلك ، فعلموا أنه كان الامام علي بن الحسين(ع). ولما وضع  
على المفتسل نظروا الى ظهره وعليه مثل ركب البطل، مما كان يحمل على ظهره الى  
منازل الفقراء والمساكين\*.

ولما ازدهرت الحياة الاجتماعية في عهد عمر بن عبدالعزيز، انعدم وجود الفقراء  
والمساكين، وضاقت بيت المال بما يحويه، حتى أصبحت الزكاة تلقى على الطرقات  
ولا يوجد من يأخذها.

في هذا المجتمع الاسلامي الرافع، كان يُرى الخليفة عمر بن عبدالعزيز قابعاً لفرده  
في كتف الليل في احدى زوايا الطريق. فسئل مرة عن سبب ذلك فقال:  
أني أربط هنا متحرياً عن الذين يكتفون الجموع في الليل، ولو كنت أعلم أين  
مكانتهم لذبحت لهم ناقتي وحلتها إليهم إرباً إرباً حتى منازلهم. أجاركم الله هل بينكم  
من يدلني على هؤلاء المرهقين؟.

فالخليفة العادل كان يبحث ليس عن المحتاجين والمساكين الذين نراهم عادة على  
أرصفة الطريق، وإنما كان يبحث عن الفقراء المتعففين الذين يحسبهم الجاهل أغنياء  
من التعفف، ليوصل إليهمأمانة الله في عنقه، من حقهم في بيت المال. فكان لا يجد  
م منهم أحداً، فيستحلف الناس أن يدلوه على مكانتهم.

والحاجة المقصدودة في الاحاديث السابقة هي الحاجة الشديدة وتتضمن الحاجات  
الحياتية الملحّة كالطعام والكساء، وهي المفروضة في مبدأ التكافل العام.

ويأمل النظام الاسلامي أن يصل المؤمن الى درجة من الإيثار لا يعود يرى أن  
ما يملّكه هو لنفسه خاصة، وإنما هو يبذول لكل عحتاج من إخوانه، فيسمح لآخره في  
الإيمان أن يأخذوا ما يشاؤون من صندوق ما له بدون اذنه وعلمه.

يقول الامام الباقر(ع): «أيّمني أحدكم الى أخيه، فيدخل بيده في كيسه، فيأخذ حاجته  
فلا يدفعه؟» فقلت: ما أعرف ذلك شيئاً.

فقال أبو جعفر(ع): «فلاشي «إذا».» قلت: فما هلاك؟ فقال(ع): «إن القوم لم يعطوا أحلامهم  
بعد».

### وفي هذا المعنى نورد القصة التالية:

يمكى عن الشريف الرضى عليه الرحمة، أن أحد الأغنياء أحب ان يوجد عليه وعلى تلاميذه مجال. فجاءه وهو يعطي درساً لأربعين من طلابه في بيته. فعرض عليه المطاء. فقال: أما أنا فلاحاجة لي مجال، وأما طلابي فلامانع من اعطائهم. فدار الغنى عليهم فرداً فرداً يسألهم، وكلهم يجيب: حسناً أنا نملك قوت يومنا، فاصنعن بالمال! وحين وصل الى الطالب الاربعين، تناول الطالب ديناراً من الغنى وكسره قطعاً، ثمأخذ قطعة واحدة... ولما انصرف الغنى، التفت الشريف الى ذلك الطالب وقال له: مادعاك الى فعلتك يا هذا؟ قال: جاءني من أسبوع ضيوف، وليس عندي زاد أطعهم، فاستدنت شيئاً من المال حق أطعمتهم، ومازال الدائرون يطالبونني بعثمان، فذلك مادعاني الىأخذ قطعة من الدينار أسد بها حاجتي، وأدفع عن نفسى مغبة الناس... .

فلا سمع الشريف قوله، استدعى الحداد وقال له: هذا مفتاح خزانتي، فاصنعن لي مثله أربعين مفتاحاً. وزع المفاتيح على طلابه، وقال لهم: من كانت له حاجة فليأخذها من خزانتي بدون علمي... وهذا منتهى البذل والإيثار.

### ٤. التوازن الاجتماعي:

ونعني به تحقيق التوازن بين أفراد المجتمع في مستوى المعيشة، وإن اختلفوا في مستوى الدخل. والتوازن في مستوى المعيشة منهأن يكون المال موجوداً لدى أفراد المجتمع ومتدولاً بينهم، إلى درجة تتبع لكل فرد العيش في المستوى العام.

وقدقام الاسلام ل لتحقيق هذا المهدى بعملين، أحدهما من الفوق والآخر من التحت. فضغط مستوى المعيشة من أعلى بتحرم الاسراف على الغنى، وضغط المستوى من الأسفل برفع مستوى المستدين في المعيشة إلى مستوى أرفع. وبذلك تقارب المستويات حتى تقارب في مستوى واحد، يضم درجات متفاوتة تفاوتاً جزئياً، وليس متناقضة تناقضاً كلياً في المستوى، كالتناقضات الصارخة بين مستويات المعيشة في المجتمع الرأسمالي.

يقول معاوية:<sup>٤٣</sup> إن بالفقير تواعظ النفس، ويرق الطبع، وبالثراء يستفحش شر الخيلاء والعناد، فلينختز وسط الأمراء، برفع مستوى الفقر إلى ما يترافق معه، وإنزال

شرامة الشري الى حدود الاعتدال، وبذلك تستقيم المساواة بين الناس. ولهذه هذا المبدأ أن يتحقق كل محروم بمستوى الناس، أي يهدف الى إغناه كل فرد في المجتمع الإسلامي.

جاء في الخبر عن الإمام الصادق (ع) قوله: «نعطيه من الزكاة حق نفيه».

وللحماية لهذا التوازن الاجتماعي شرع الإسلام جملة من التشريعات التي تحد من الفوارق بين الأغنياء والفقيراء، منها حصاربة كنز الأموال<sup>٤</sup> وتحريم الربا، وتشريع أحكام الأرض، ومطاردة الاحتكار والاستغلال وغلاء الأسعار، إلى ما هنالك من أحكام.

جاء في عهد الإمام علي (ع) الى مالك الاشتري حين ولاده مصر قوله: «واعلم أنّي في كثير منهن ضيقاً فاحتاجت بشّعاً فيبيعاً، واحتكمأ للمحتاج، وتحكمّ في البيعات. وذلك بباب مضرّة للعامة، وعيوب على الراحلة. فامتنع الاحتقار، فإنّ رسول الله (ص) منع منه، ول يكن البيع سمحاً بموازن عدل، وأسعار لا تُجحّث بالغيرين من الواقع والمبالغة. فلن قارف لمحكمة بعد بيك إيه، فتكلّم به وعاقبه في غير إسراف» (المهد ٢٩٠ نهج).

واختتم موضوعي بالكلام عن ضرورة وجود الدولة الإسلامية، لمعالجة الفقر وإزالته.

### ضرورة قيام الدولة الإسلامية:

ان من أهم العوامل الضرورية لتطبيق مبادئ الإسلام ورعايتها، وجود الدولة المحاكمة التي تستطيع تطبيق هذه المبادئ. فالفاقر الذي لا يقره الإسلام لا يمكن علاجه واستئصاله من المجتمع اذا لم توجد سلطة الدولة الإسلامية. اذ أن دولة الطاغوت هي دائماً حلقة الاستغلال، لانه في ظلها تزدهر طبقة المحتكرين والمتسليطين والمتغذين.

اذن لا تقام حدود الله الا بوجود الإمام العادل، الذي هو قطب الرحمي في الدولة الإسلامية. حيث يسمى المؤمنون من حوله كما تسمى الإلكترونيات الدائرة في الذرة حول النواة، يستمدون منه القوة واللذابية، في وحدة متوازنة متكاملة.

وهذا الإمام عدا عن كونه مركز الدوران والارتباط، فإنه يقوم بوظيفة التقليد، فهو القدوة التي يقلدتها كل فرد في المجتمع، ويسمى كل واحد أن يكون صورة مطابقة لها، ولا تنافي أهمية هذه القدوة في تربية المجتمع واصلاحه، فإذا صلحت القدوة صلح

المجتمع كله وإذا فسدة فسد معها.

ولقد سألي أحدهم عن أسباب نجاح الثورة الإسلامية في إيران، فقلت: إن من أول أسبابها الإمام القدوة آية الله العظمى السيد روح الله الخميني، فهو بأولي من مواهب وسمات كان أكبر عامل لقيام الثورة المظفرة ونجاحها.

ويتجلى ذلك في النقاط التالية:

١- إيمانه الراسخ ويقينه العميق بدينه ومبادئه وبتأييده من السماء. فهو حين يتكلم تشعر أنه ملهم يرى بنور الله، وينكشف له سجل المستقبل فيرى النصر الذي وعد الله به عباده المؤمنين. وإن كل مأوضح في إيران من محن وخطوب لم يزده إلا إعاناً وتصميماً.

٢- زهده بهذه الدنيا: وهي من سماته المشهورة، فهو كإمامه المرتضى (ع) لا يعادل هذه الدنيا الفانية بعفطة عنز، فترى على حياته آثار الزهد والتلشف، حتى أنه يعيش كاًفراً شخص في إيران.

٣- إخلاصه: فهو حين رفض هذه الدنيا بجميع ما فيها، كان هدفه ليس ذاته وإنما شعبه، فبدأ ينفق ثروات البلاد على كل أبناء مجتمعه بالتساوي، دون أن يميز العاصمة على غيرها، ولا المدينة على القرية. بل انه وجه أكبر منه لشق الطرقات وإقامة المدن والقرى التي تسهل على المناطق الثانية والمنعزلة والفقيرة أن تلتحق بركب الحضارة والازدهار والرفاهية. وإن انجازات منظمة جهاد البناء (جهاد سازندگی) ليست خافية على أحد.

٤- تفانيه في أداء الواجب: فهو رغم طعنه في السن، تراه يعمل ليل نهار بلا كلل ولا ملل، لخدمة أمته وشعبه، مقاوماً كل المؤامرات والدسائس التي يحيكها أعداء الحق والاسلام.

وصحح أن الناس على دين ملوكها ورؤسائها. وإذا صلح الرئيس صلحت الرعية.

وهكذا نرى أن الاسلام قد حل معضلة الفقر نظرياً وعملياً. وحق له أن يكون أفضل نظام مادي روحي عرفه البشرية والانسانية.

والحمد لله رب العالمين



تعليقات على هذه المقالة



- ١ - أي مع عدم كفاية مرتبة لأعاليهم.

٢ - فعل المراد من هذه الكلمة أن الفقرة ربها يجعل الإنسان في حرج نفسى شديد يحمله في معرض الآيس من روح الله سبحانه وamen الطلاقه... بل قيدهم للخروج على القانون والفرد حتى على الأحكام الشرعية الإلهية والاستثناء بها عن سابق علم ومعرفة... وفلك درجة خطيرة عن صعيد الالتزام بالحدود المقدانية التي لا بد من مراعاتها.

٣ - راجع التعليقة السابقة.

٤ - كون المقصود من هذه الكلمة هو ذلك يحتاج لزيد من التأمل.

٥ - ربما يقال: إن المقصود بالفقر هنا: هو يوم الفقر والفاقة وهو يوم القيمة. وإن كان الأظهر في معناها هو أن يكون المراد بالفقر: الفقر إلى الله سبحانه عن حد قوله تعالى "أنت الفقراء إلى الله والله هو الغنى".

٦ - لقد نص الإمام الحسين في خطبته بعد وفاة أبيه على أن أباه لم يترك سوى سبع مائة درهم أراد أن يشتري بها خادماً لأهله.

٧ - المقصود هو كنز الأموال من قبل الحكماء وأعوانهم الذين كانوا يأخذون أموال الدولة وبيت المال لأنفسهم (كما أوضح السيد جعفر متني في مقال له حول أبي ذر وطبع ترجمته الفارسية تحت عنوان: «أبو ذر مسلمان يا سوساليست»).

٨ - قد نقدم أن سرخته كانت في وجه الذين يستأثرون بأموال بيت المال المسلمين لأنفسهم.

٩ - لا ترى تناسياً بين هذه العبارة وبين ما يريد إقامتها كشاهد عليه.

١٠ - الظاهر أن المؤلف يريد أن يقول: إن إذا لم يوضع لهذا الفرد حد ولا يخضع لضابطة كان سلطاناً يمسح كل العلاقات من حوله دون أن يعطي شيئاً ويستعمل أساليب الجهشية من أجل جمع المال وتكتيشه... فكان أن اهتم الإسلام بوضع الضوابط التي تمنع انساناً كهذا من أن يعمد طرره فحرم الإسلام الاحتكار والربا والغش... وإنما قلنا أن هذا هرماد الكاتب لأن نحرم الاحتكار والربا الخ... ليس معناه القضاء والتخلص من ذلك الفرد...

١١ - هذه لا تصلح شاهداً على ما يريد الكاتب فإن المراد منها أنه إذا أنتم الله عليكم نعمه، فليكن صبركم على طاعته وبما ينتكم له بينما المراد: أن النعمة تزيد بذلك...

- ١٢ — ومنها الدول الشهيرية التي تنبت ثروات البلاد بأصالها المختلفة وفيها خلق الحروب لها لبعضها الأسلحة وفرض هيمنتها الاقتصادية المطلقة عليها بأسباب مختلفة... هذا إن لم تقم بها جنباً وبادرة شعوبها متفرعة بمحبج واهية كما هو الحال بالنسبة لاصطفاء الاتحاد السوفيتي في أفغانستان وغيرها من بلاد العالم.
- ١٣ — قد تقدم من الكاتب ما يدل على حسن الفقر وما يتصبن مدحه وتغبيده عليه فريد موال: أنه إذا كان الفقر له هذه المكانة وإذا كان مدحوباً إلى هذا الحد فلماذا يهين الإسلام بأزالته وبالقصاء عليه؟... ولم يشرعن الكاتب لاجابة على سؤال كهذا... ولوبأن يذكر الفرق بين ذلك المدح وبين الفقر الذي يتم الإسلام بعلاجه... وتلك فقرة هامة في هذا البحث لاجمال التفاصي عنها... غلباً لاحظ ذلك ...
- ١٤ — بل حصلت قبل ذلك في مكة أيضاً.
- ١٥ — لكن ذلك مرهون بالإيجاز وأثنا بدونه فإن التفاوت حاصل إذ لا ريب في أن المؤمن يمتاز عن غيره في كثرة من المخالفة ...
- ١٦ — الفساد الاجتماعي خاص بالقاصرين دون المقصرين والأول هو مراد الكاتب.
- ١٧ — لقد شاع هذا المفهوم استناداً إلى بعض الآيات القرآنية التي تدل على أكثر من أن الله قد جعل خلية في الأرض ...
- أثنا الله يكون خليفة له؟... كذلك ما انتدل عليه الآيات القرآنية أطلاقاً ...
- ١٨ — دلالة الآية على ذلك محل نظر.
- ١٩ — أي في هذا الجهل.
- ٢٠ — الظاهر أن هذه العبارة لا تستطيع تحمل المعنى الذي أريد استباطه فيها.
- ٢١ — قلنا فيما سبق أن هذا الكلام على اطلاقه محل إشكال والأية القرآنية المشيرة إلى هذا المعنى ناظرة إلى الأموال العامة ولا أخلاقي فيها. راجع: «أبودور، مسلمان يا سوسبيالت».
- ٢٢ — الظاهر: أن الآية مطلقة، تشتمل فعل الإنسان نفسه أيضاً.
- ٢٣ — هذا خاص بالتصرفات السفهية التي لا يرضى بها المقلة وأثنا سائر أنحاء التصرفات غير المتبرولة شرعاً قد توضع لها علاجات أخرى من قبيل حرمة الاحتكار والربا وغير ذلك ...
- ٢٤ — هذا على اطلاقه فيه إشكال غليظاً كثاب اتصاصاناً وغيره... وإنما معنى ذلك هو أن لا يصح نظام المضاربة وللظام الارت في الإسلام والأمثلة على ذلك كثيرة جداً.
- ٢٥ — راجع التعلية السابقة.
- ٢٦ — راجع: كتب الفقه الإسلامي بالنسبة لهذا الفرض.
- ٢٧ — راجع التعلية السابقة المدد ٣٠. فقدتنا أن لو كان هذا صحيحاً لما صحت المضاربة وكذلك غيرها من النظم الاقتصادية الإسلامية وساحتها من الأحكام الشرعية الفرعية. أثنا إلى ذلك: أن المال الذي يدخل في الانساج لا يبقى على حاله وإن بيته متغيراً... وذلك لوجود تقلبات وتحولات في قيمته الشرائية فهو وصفاً... وإنذ فاللازم - تبرير تحريم الربا بأمر آخر أكثر واقعية وانسجاماً مع جمل النظم والأحكام الاقتصادية في الإسلام ...
- ٢٨ — هذا خلاف قواعد الإسلام... بل هو متأخذه في فسفات الماركبة والأ... فإنه إذا كانت الأرض مع البذر والمادة الأولية عملاً هزيناً ومارسة معاشرة المالك، فلماذا لا تكون الأرض وحدها وأدوات الانساج كذلك وهل البذر بدون الأرض يعتبر عملاً هزيناً أو هاماً، فإذا كانا هما كذلك فلذلك الأرض وحدها كذلك: أليس الأرض قد يبدل فيها عمل لإيجازها واستخلاصها؟ أضعف إلى ذلك أنه لماذا كانت

الأرض مع البذر ممارسة فعلية ولا تكون الآلة والأرض ممارسة فعلية أيضًا بل لماذا لا يكون المكس هو الصحيح؟ وهل صحيح: أن الأرض مع البذر ممارسة فعلية؟ وكيف؟!

٢٩— لماذا كذلك ... هذا ليس من الإسلام في شيء... هذا كلام الشيوخين كما قلنا.

٣٠— في عقد الجماعة ليس للصانع في الناتج حق كما هو ظاهر، بل له فقط ما يجلبه له صاحب المال.

٣١— هنا في خصوص استئجار الآلة وليس في عقد الجماعة.

٣٢— لورفع هذا لكن العامل يستحق الأجرة فقط ولا يستحق في نسبة الربح شيئاً ويخرج بذلك عن كونه مضاربة.

٣٣— هذه القاعدة ليست إسلامية وإنما هي متصدية من أفكار الماركسيين على ما يظنه.

٣٤— قد تقدم بعض الكلام في ذلك في تعلقة سابقة.

٣٥— هذا ينساني ماتقدم من المؤلف من أن الإسلام قد دعى للزهد وحارب ذكرة صدودية الإنسان للسادة... ولعله يريد أن يقول أنه أراد من المجتمع أن يعيش حياة كرامة وشرفية وأن يستمتع بثروات الطبيعة ويستفيد منها في دفع مستوى الاقتصاد العالمي ... مادام أن ذلك يساعد على سؤال الإنسان في انسانيته وبضمون له كرامته وحرمه.

٣٦— جعل ضريبة الزكاة على المال لا تعنى حرمة كنزه.

٣٧— هذا خاص بالتقدين الذهب والفضة وأمثال سائر مانتمل به الزكاة فلا يأتي فيه ذلك.

وعلى هذا... فقد كان ينبغي للمؤلف اعطاء الفرق بين التقدين وبين غيرهما من سائر أصناف الزكاة.

٣٨— هذه الآية ناظرة لاكتاز الأموال العامة وأموال بيت المال كما أشرنا إليها غير مرّة. راجع «أيوب» مسلمان يا سوساليست».

٣٩— الثابت هو أن الإسلام قد جعل الفساد الاجتماعي خصوص العبرة والقاصرين، أما من يتسلّى من العمل ويميل، يخسر أو يربح، فإن بلغ هذه الدرجة، شلل الفساد والأفلاء.

٤٠— ما هو الدليل على ذلك؟

٤١— كان هل المؤلف أن يقيم بعض الشواهد على ثبوت مثل هذا الحق، وأما الآية التي استند بها وهي قوله تعالى «كُمْ لَا تَكُونُ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ» فللاندلي على ثبوت الحق في الثروات الطبيعية وأمثالها إلى أن الإسلام يرغب في ضمان التسامد وأن يصل الفقير إلى حقوقه المشروعة ويعارض حرمتها في الاستفادة من حقوقه...

٤٢— كان من المناسب ذكر بعض الشواهد والمصادر لذلك.

٤٣— إن كلية معاوية هذه لا تأتى على ما يريد المؤلف الاستدلال عليه؛ فإن معاوية لم يدع إلى رفع الطبقية، بل هو يدعوا إلى إيقاعها وتكريسها، حيث أنه بالنسبة إلى الفقير لم يطلب سوى الترف عنه ولم يله لاسكتاته. أما بالنسبة للغني فإنه طلب الحق من شراهته وجعلها شراهنة ممددة ولم يطلب تقليل شراهنة أو تحدده ولا انخفض مستوى المعيشة عنده... لتنقارب المستويات ويرتفع التناقض الطريق... ولا تتوقع من معاوية الذي كان حتى في زمن عمر بن الخطاب يعيش حياة البذخ والترف والنعم... إلا مثل هذه الكلمة المفترضة من نواياه وأهدافه... وهل مثل معاوية الجاهمي بتعاليم الشرعية وأحكام الدين في مستوى من تؤخذ عنه نظرية طروحات الإسلام الاقتصادية أو غيرها؟

٤٤— قد تقدم بعض الكلام حول هذه الممارسة.



الدرس اللساني المستنبط  
من الرسالة الإلهية  
في نهج البلاغة

الدكتور ثامر الراجحي الحاشمي

المغرب العربي



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سيرى بعض الناس أنه من الصعوبة في مكان الاستعارة نهج البلاغة لاستنباط درس لسانيٍّ حديث منه. إلا أنني أرى عكس ذلك وأقول، وأنا، والحمد لله، مدرك ما أقول: إننا نستطيع أن نجد في نهج البلاغة كلَّ ما نحتاجه لتطبيق جميع النظريات اللسانية القديم منها والحديث.

وإذاً هذا المؤلف العظيم كبير للغاية وفيه من المعاني والبدائع والبيان ما لا يخطر ببال بشر فإني اقتصرت في هذا البحث الذي أشارك به في احياء الذكرى الثالثة للمهرجان الألبي لكتاب نهج البلاغة على فقرة وردت في الرسالة الإلهية، هنا نصها. أعلى الأصح هذه فقرة منها:

«أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ تُرْواً لَا تُلْفَظُ مَصَابِيحُهُ، وَتِرْجَأً لَا يُخْبُرُ تَوْقِيفُهُ، وَتَغْرِيًّا لَا يُدْرِكُهُ  
قَفْرَةً، وَمَنْهَا جَاءَ لَا يُغَيِّلُ نَهْجَهُ، وَشَمَاعَةً لَا يُظْلِمُ ضَرَّهُ، وَفُرْقَانًا لَا يُخْتَدِلُ بِرْعَانَهُ، وَبَيَانًا  
لَا يُهَدِّمُ ارْكَانَهُ وَشَفَاءً لَا يُخْشِي أَشْفَاهَهُ، وَرَمَّاً لَا يُهَزِّمُ أَنصَارَهُ وَحَقَّاً لَا يُخْذِلَ أَعْوَانَهُ.»

غليب النص:

بدأ كرم الله وجهه، هذه الفقرة بالفعل «أنزل» الذي اعتبره الفعل الرئيسي بحق وحقيقة.

والفعل «أنزل» يعطيـنا «الإنزال»؛ والإنزال يكون على مستويـين أساسـين ومستويـات ثانـوية.

إما يكون موجـهاً إـلى الأسمـى وإما أن يكون موجـهاً إـلى الأسمـى والـهـمـونـهـ. أما المستويـات الثانـوية الأخرى فـتـشيرـهاـ اـشارـاتـ سـريـعةـ فـيـابـعـهـ حقـ لـاـيـخـرـجـ بـعـثـناـ عنـ القـصـدـ الذـيـ قـصـدـناـهـ.

### الـفـعلـ «أنـزلـ» إـلـىـ الأـسـمـىـ:

يـستـعملـ الفـعلـ «أنـزلـ» وـماـتـصـرـفـ مـنـهـ، حـينـ يـكـوـنـ مـوجـهاـ إـلـىـ الأـسـمـىـ معـ حـرـفـ الـجـلـسـ «عـلـىـ» كـمـاـ هـوـ الشـأـنـ فـيـ فـقـرـةـ أـمـرـ المـؤـمـنـينـ المـشـهـدـ بـهـ فـيـ صـدـرـ هـذـاـ الـبـحـثـ. وـنـعـصـدـ بـالـأـسـمـىـ، كـمـاـ هـوـ مـعـلـومـ الرـسـولـ الـوـجـهـ إـلـيـ الـخـطـابـ دـوـنـ غـيـرـهـ، وـفـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـمـ أـمـثـلـةـ عـنـ هـذـاـ كـثـيرـهـ؛ـ مـنـهـ.

أـلـ الجـرـدـ: «نـزـلـ» فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: «إـنـ لـتـنـزـلـ إـلـىـ رـبـ الـمـالـيـمـ نـزـلـ بـهـ الرـوحـ الـأـمـيـنـ عـلـىـ فـلـيـكـ يـتـكـونـ مـنـ الـمـنـدـرـينـ يـلـسـانـ عـزـيـزـ مـيـنـ وـلـلـهـ لـهـ زـيـرـ الـأـقـلـينـ».<sup>١</sup>

بــ. مـضـعـفـ: «نـزـلـ» فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: «أـلـمـ كـلـلـ لـأـلـهـ إـلـهـ الـغـيـرـ الـقـلـمـ نـزـلـ عـلـيـكـ الـكـيـنـاتـ بـالـعـقـ مـصـدـقـاـ لـمـيـتـنـ تـذـيـهـ وـأـلـزـنـ التـزـيـنـ وـالـأـنـجـيلـ».<sup>٢</sup> وـفـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: «يـاـ إـلـيـهـ الـذـيـ مـأـمـلـواـ وـأـمـلـواـ بـالـلـهـ وـرـسـولـهـ وـالـكـيـنـاتـ الـذـيـ نـزـلـ عـلـىـ رـسـولـهـ وـالـكـيـنـاتـ الـذـيـ نـزـلـ مـنـ قـبـلـ وـقـنـ يـتـكـلـزـ بـالـلـهـ وـصـلـاـتـيـهـ وـكـلـيـهـ وـرـسـولـهـ وـالـبـيـنـ الـأـكـبـرـ فـقـدـ هـلـ مـلـاـ بـعـدـهـ».<sup>٣</sup> وـفـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ فـيـ سـوـرـةـ الـفـرقـانـ: «قـبـارـكـ الـذـيـ نـزـلـ الـفـرقـانـ عـلـىـ عـبـدـهـ يـتـكـونـ لـمـالـيـمـ نـيـرـاـ».<sup>٤</sup> وـفـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ فـيـ سـوـرـةـ الـبـقـرةـ: «قـلـ كـلـتـمـ فـيـ رـبـ مـنـازـلـنـاـ عـلـىـ عـبـدـنـاـ قـلـتـمـ فـيـ سـوـرـةـ مـنـ مـنـيـهـ وـلـأـهـوـ شـهـادـةـ كـلـمـ مـنـ ذـوـنـ الـلـهـ إـلـىـ كـلـتـمـ صـادـيقـنـ».<sup>٥</sup> وـفـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ فـيـ سـوـرـةـ الـأـنـعـامـ: «وـلـوـنـزـلـنـاـ عـلـيـكـ بـكـاـبـاـ فـيـ قـرـطـائـسـ قـلـتـسـوـةـ بـالـيـدـهـ لـقـانـ الـذـيـنـ كـفـرـوـاـ إـنـ هـذـاـ إـلـاـ سـخـرـيـفـنـ».<sup>٦</sup>

وـفـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ فـيـ سـوـرـةـ النـحلـ: «وـنـوـمـ يـمـكـثـ فـيـ كـلـ أـنـفـ شـهـيدـاـ عـنـهـمـ مـنـ الشـهـيمـ وـجـتـاـ

١ـ. سـوـرـةـ الشـعـراءـ، الـآـيـاتـ ٢ـ٦ـ وـمـابـدـهـ.

٢ـ. الـآـيـةـ ٣ـ مـنـ سـوـرـةـ الـحـمـارـ.

٣ـ. الـآـيـةـ ١ـ مـنـ سـوـرـةـ النـسـاءـ.

٤ـ. الـآـيـةـ الـأـولـىـ.

٥ـ. الـآـيـةـ ٢ـ٣ـ.

٦ـ. الـآـيـةـ ٧ـ.

يَكْ شَهِيداً عَلَىٰ هُولَاءِ وَرَأَتُهُمْ بَلِكَ الْكِبَاتِ يَتَبَاهَانِ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُمْ دَوْنَهُ وَبَشَرٌ لِلْمُشْتَبِيهِينَ<sup>٧</sup>  
وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ: «إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءُ وَكَانَ سَبَبُكُمْ مُشْكِرًا، إِنَّمَا تَرَكُونَ  
عَيْنَكُمُ الْفَرَأَنَ تَرَيْلَةً، فَأَهْبِطُ لَكُمْ رِبَكَ وَلَا تُنْهَىٰ مِنْهُمْ، آتِيًّا أَوْ كَهْرَأً»<sup>٨</sup> وَفِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ: «فَلَمْ تَنْ  
كَانَ عَدُوًاٰ لِيَحْسِنِ مِنْ فَلَيْلَةٍ تَرَكَهُ عَلَىٰ قَبْلَكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصْدَقًا لِمَا يَتَبَاهَنُ بِهِنَّ وَهُمْ دَوْنَهُ وَبَشَرٌ لِلْمُغْوَيِّبِينَ»<sup>٩</sup>  
وَفِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: «هَذَا الَّذِي يُنْزَلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ يَتَبَاهَيْ لِمَا يَرَعِمُ مِنَ الْقُلُومَاتِ إِلَى الْأَوْرَادِ وَإِنَّ  
اللَّهَ يَعْلَمُ تَرَوُّفَ رَجُمِّهِ»<sup>١٠</sup> وَفِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: «وَقَالُوا لَوْلَا تَرَنَّ عَلَيْهِ آتِيَّةٌ مِنْ رَبِّهِ فَلَنْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ  
عَلَىٰ أَذْيَكِنَ آتِيَّةً وَلَكِنَّ الْخَتْرَمَ لِأَقْتَمِنَ»<sup>١١</sup> وَفِي غَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ<sup>١٢</sup>.

جـ- المزید بالهمسة: «أنزلَ» وهي الصيغة المستعملة في فقرة سيدنا علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه. جاءت هذه الصيغة إلى المستوى الأسمى أي مع حرف الجر «علٰى» في قوله تعالى في سورة آل عمران: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ إِنَّا بِأَنْتَمْ شَهِيدُونَ مَنْ فِي الْكِتَابِ لَفِي أَنْتُمْ شَهِيدُونَ...» الآية ١٢. وفي قوله تعالى في سورة النساء: «وَلَوْلَا قَضَيْنَا إِلَيْكُمْ رَحْمَةً مِنْنَا فَلَمْ يَعْلَمُوكُمْ إِلَّا أَنْتُمْ شَهِيدُونَ وَنَاهِيُونَكُمْ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُنَّ تَقْرِئُونَ وَكَانَ قَضْنَا إِلَيْكُمْ عَظِيمًا»<sup>١٠</sup>. وفي قوله تعالى في سورة الأعراف: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ تَحْقِيقَهُ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرًا فَلَنْ يَعْلَمُ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَعْلَمُونَ قَرَاطِبَسْ تَبَدِّلُهَا وَتَسْخَفُونَ كَثِيرًا وَلَمْ يَعْلَمُنَّ مَا لَمْ تَعْلَمُوا إِنَّمَا تَذَرُّفُمْ فِي خَرْصِيهِمْ تَلْهُونَ»<sup>١١</sup>، وقوله تعالى في سورة التوبه: «إِلَّا تَتَصَرَّفُو فَقَدْ نَزَّلَ اللَّهُ إِذَا نَزَّلَهُ الْكِتَابَ مَا يَرَوْنَ إِذَا نَزَّلَهُ اللَّهُ مَا يَرَوْنَ إِنَّ اللَّهَ فَعَلَّا قَاتِلُنَا اللَّهُ شَكِيَّةً عَلَيْنَا وَإِلَيْهِ يُخْرَجُونَ لَمْ تَرُوهَا وَجْهُنَّمَ كَفَرُوا السُّفَلَىٰ وَكَفِيلَةُ اللَّهِ هِيَ الْمُلْتَأِدَةُ وَالْمُغَرِّبَةُ خَيْكِمْ»<sup>١٢</sup>. وفي سورة النحل: «وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ إِنَّمَا يَنْهَا لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ

١٨- الآية

- ٨ - الآيات ٢٢، ٢٣، ٢٤

١٧- الآية

الآية ١

#### **Exhibit**

<sup>١٢</sup> . من أمثال قوله: في المجر/٦، «وَقَالُوا بِأَيْمَانِهِ تَنَزَّلُ عَلَيْهِ الْمَكْرِ إِنْكَ لِتَجْعَلَنِي»؛ وفي الفرقان/٣٤، وفي محمد الآية/٢.

١٢ - الْأَعْدَاد

١٢٣ - الآية

١٦ - الابنة ٩١

١- الآية . ٤

وَهُدًى وَرْحَمَةً يَقْعُدُ بِوَيْنَدَ»<sup>١٧</sup>، وفي قوله تعالى في سورة طه: «مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتُشْفَى»<sup>١٨</sup>. وفي قوله جلت قدرته في سورة العنكبوت: «أَوْتَمْ نَهْكِيُونَ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتَلَقَّى عَلَيْهِمْ إِنَّمَا فِي ذِلِّكَ رَحْمَةً وَذُكْرَى لِيَقْعُدُ بِوَيْنَدَ»<sup>١٩</sup>، وقبده: «وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ مَا يَأْتُكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ فَلَنْ إِنَّمَا أَكْلِمُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا تَذَبَّرُ مِنْهُ»<sup>٢٠</sup>. وفي سورة الزمر في قوله عز من قائل: «إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَتَنَاهُ الْمُنْكَرُ فَلَمْ يَتَفَسَّرْ وَقَنْ خَلَ فَلَمْ يَهْلِلْ عَلَيْهَا وَفَانَتْ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلَ»<sup>٢١</sup>.

### د. مزيد بالهزه مبني للمجهول:

وردت هذه الصيغة في قوله تعالى: «وَقَالَتْ قَافِقَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَ إِيمَانُهَا بِاللَّهِ أَكْرَبَ عَلَى الَّذِينَ هَاجَسُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَأَكْفَرُوا آخِرَهُ لِعَلَيْهِمْ بِزَجِّهِنَّ»<sup>٢٢</sup>، كما وردت في سورة الأنعام في قوله تعالى: «وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ مَلِكٌ وَلَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْأَنْزَلَتِمْ لَا يُنْظَرُونَ»<sup>٢٣</sup>. وفي سورة يونس في قوله تعالى: «وَبَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ فَلَمْ يَقْبِطْ إِنَّمَا الْقَبْطُ لِلَّهِ فَأَنْظَرُوا إِنِّي مَعْنَكُمْ مِنَ الْمُشَنَّعِينَ»<sup>٢٤</sup>. وفي سورة هود في قوله عز وجل: «فَلَقِلَّتْ تَارِكَتُهُنْ مَأْبُوسٍ إِنَّكَ وَلَمَانِيَ إِبِهِ ضَدِّرُوكَ أَنْ تَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلْنَ عَلَيْهِ كَنْزًا أُوْجَاءَ مَقْهَةَ مَلِكٍ إِنَّمَا أَنْتَ تَذَبَّرُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلَ»<sup>٢٥</sup>. وفي سورة الرعد في قوله تعالى: «وَقَيْقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلْنَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ فَلَرَ إِنَّ اللَّهَ يُهْيَئُ مِنْ يَتَأَمَّهُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مِنْ أَنَّابَتْ»<sup>٢٦</sup>.

١٧ - الآية .٩٤

١٨ - الآية .٣

١٩ - الآية .٥١

٢٠ - الآية .٥٣

٢١ - الآية .٤١

٢٢ - سورة آل عمران، الآية .٧٣

٢٣ - الآية .٨

٢٤ - الآية .٢٠

٢٥ - الآية .١٢

٢٦ - سورة الرعد، الآية .٢٧

هـ - في حالة الاستفهام:

وردت في سورة ص في قوله تعالى: «أَتَرْبَلَ عَلَيْهِ الْكُفَّارُ مِنْ تَبَيَّنَ هُمْ فِي شَكٍّ بِمَنْ ذَكَرَى  
بَلْ لَشَانِهِ وَقُوَّا عَذَابِ»<sup>٢٨</sup>.

أما حين يكون الإنزال من الحق سبحانه وتعالى إلى الأسمى وإلى من هو دونه؟<sup>٢٩</sup>  
أي إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليبلغه إلى كافة الناس فأن الفعل يستعمل مع  
حرف الجر «الى» مثل ما جاء في قوله تعالى: «وَلَزَّلَنَا إِلَيْهِمُ التَّلَاقُكَ وَكَلَّهُمُ التَّوْقِيُّ  
وَخَسَرُنَا عَلَيْهِمْ كُلُّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا يُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَتَاهَأَ اللَّهُ وَلِكُنْ أَكْثَرُهُمْ يَغْهَلُونَ»<sup>٣٠</sup> . وفي قوله  
تعالى في سورة النحل: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ فِيلٍ إِلَّا رِجَالًا يُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلَّلُوا أَهْلَنَ الْكِفَّارِ إِنْ كُنْتُمْ  
لَا تَقْنَعُونَ»<sup>٣١</sup> ، وفي غيرها من الآيات<sup>٣٢</sup>.

.٢٨- الآية.

.٢٩- لا أفضل هنا بين الضمف والمزيد كما حصلت قبل طلبًا للاختصار وإن كانت أرباب الآيات حسب ما يتضمنه هذا  
التفعيل.

.٣٠- سورة الأنعام، الآية ١١٢.

.٣١- الآية ٤٤.

.٣٢- في سورة النساء، الآية ١٦٦ . وفي السائدة الآية ٤٩ . وفي سورة الأنعام الآية ١١١ . وفي القلاق الآية ١٠ . وفي البقرة  
الآية ٩٩ . وفي النساء الآية ١٠٥ . وفي الآية ١٧٤ من نفس السورة . وفي السورة الخامسة، الآية ١٨ . وفي النحل الآية  
٤٤ . وغيرها كثيرة.



## **تحليل الفعل الرئيسي «نزل» وماتصرف منه في نحو البلاغة**

كلنا يعلم انه يمكن تقسيم نحو البلاغة الى ثلاثة أقسام كبرى هي:  
أ. الخطب والأوامر.  
ب. الكتب والرسائل.  
ج. الحكم والمواعظ.

فإن نظرنا الى نحو البلاغة ككل، أي بأقسامه الكبرى الثلاثة وحاولنا أن نبحث في توزيع هذا الفعل في هذه الأقسام من نحو البلاغة لوجدنا أن أمير المؤمنين سيدنا علياً كرم الله وجهه استعمل هذا الفعل وما تصرف منه مائة وعشرين مرة.  
ولا يمكنني أن أعطي أحصاء علمياً دقيقاً لورود هذا الفعل ومشتقاته في نحو البلاغة إلا اذا وزعته الى خمسة عشر قسماً.  
القسم مثلاً هو: نزل ونزلت وزلت. ورد هذا القسم ثلاث عشرة مرّة بالتوزيع الآتي:

- أربع عشرة في الخطب والمواعظ.
- سبع في الكتب والرسائل.
- ثلات في الحكم والمواعظ.

وحق يمكنني أن أختص هذه الأقسام كلها وأقدمها مقارنة بين أجزائها ارتتأيت أن أضعها في جدول بياني تسهل قراءته مع التنبية الى أنني تصرفت في المعطيات التي

يقدمها لنا السيد جواد مصطفوي الخراساني في كاشفه بالتقديم والتأخير لا تتمكن من توظيفها بشكل مرض. وهذا الجدول هو كما يلي:

### مكانة الفعل «أنزل» في الفقرة:

لقد استعمل أمير المؤمنين على كرم الله وجهه هذه الوحدة الكبرى الدالة في الخطاب على شكل الأبيات، فقال:

«أنزل الكتاب»

ثم تصرف في هذه الوحدة الكبرى الموجبة (UNITE MAXIMALE POSITIVE) وكأنها -من جهة شعاع تركيبي موجب مادام حالياً من أدوات النبي؛ فأقول: تصرف فيه، كرم الله وجهه من جهة ثانية معتبرة شعاعاً تقابلياً (AXE PARADIGMATIQUE). ونعلم أن القاعدة اللسانية العربية الجامدة الواجب تطبيقها هنا تعم على من يقوم بعملية التعریض أن يأتي بالمعنى به صالحًا للانسجام في كل النواحي مع سابقه ولاحقه كما كان المعنى منسجماً من قبل سواء بسواء.

وحق له أن يفعل وبسهولة وهو الذي كرم الله وجهه لم تُعرف المباحث الكلامية إلا منه ولم تكن عيالاً إلا علىه لأنّ قدوة فطاحتها وإمام أفضليها. حق له أن يُعوض تقابلياً اللفظ الكتاب بالكلمة «فرقان» فقال بدأ «أنزل عليه الكتاب» ثم جاز له اعتباراً لما سبق أن يقول: أنزل فرقاناً.

فكانت هذه الوحدة الكبرى الدالة للبلاغ المجز في نهج البلاغة مكونة، تعزيزاً للحكمة التي ي يريد أن يبلغها للناس من شقين اثنين وكأنها ثنائية لسانية كبيرة (GRANDE DICOLOMIE LINGUISTIQUE) تحتاج من ربّي الرسول

الأكرم وصهره صل الله عليه وسلم إلى مزيد بيان.

فاقتضى النهج الدقيق والبليل الذي يستعمله، كرم الله وجهه أن يتبع هذه الثنائية اللسانية بوحدات أخرى كبرى للدلالة لها هي أيضاً سيماءات محددة وعامة؛ إنها كلها مرتبة على الشكل الآتي:

أـ حال (لل فعل الرئيسي) «أنزل» - نوراً - سراجاً - بحراً - منهاجاً - شعاعاً - تبياناً - شفاءً - عزّاً - حقاً. بحيث استطيع أنا الآن أن استخرج من هذه الفقرة الصغيرة المستنبطة من نهج البلاغة في نطاق الرسالة الإلهية الحالية. وحدات صغرى كلها آيات من آيات الله الحالية. فأقول. أنزل الكتاب نوراً - أنزل الكتاب سراجاً - أنزل

الكتاب بحراً أنزل الكتاب منهاجاً أنزل الكتاب شعاعاً أنزل الكتاب بياناً. أنزل الكتاب شفاء أنزل الكتاب عرضاً لاتهزم أنصاره وأنزل الكتاب حقاً لاتخذل أنوعاته.

بـ- منفعة كلها بأدأة واحدة هي : لازبادة في نقاء الانسجام الدلالي (LHARMONISATION) (SIGNISANTE) (TRAITS) على كرم الله وجهه على طول نهج البلاغة وعرضها.

جـ- يتبيّن كلـ هذا فعل مضارع شديد الالتزام مع الحال في رأس الوحدة غير معايد ولا يبريء إذ أنه مجرد ماتتعلق بالحال تكون حدّدت، بشكل لا يقبل أي لبس المقلـ الدلالي الجـهـري لل فعل (LE MIGRO CHAMP SEMANLIQUE) الذي لزم أن يقترن بذلك المفعول الثاني . واذن فالاختيار الحر المشوافي غير وارد البـة : وان الدلالة الدقيقة التي تربط دومـاً هذا الفعل بذلك المفعول الثاني هي التي تحـدد الاتجاه وتوجه الاختيار في النطاق المرسوم من طرف اللـفـظـ المـثـبـتـ على رأس الوحدة انطلاقـاً من السـيـاهـ «أـ» المشار اليـها آنـفاـ.

سيكونـ هذاـ الفـعلـ دـالـاـ طـبـعاـ عـلـىـ عـكـسـ ماـيـوحـيـ بـهـ عـادـةـ المـفـعـولـ الثـانـيـ مـادـامـ الرابـطـ الذـيـ يـربـطـ بـيـنـهـاـ هوـ الأـدـاءـ «لاـ».

فالنورـ يـنـاسـبـ لـأـخـلـامـ

والنورـ عـكـسـ ظـلـامـ

والنورـ يـواـجهـ لـأـنـورـ

إـلـىـ آخرـ الحـمـلـ الـبـلـيـغـةـ الـمـكـوـنـةـ لـلـفـقـرـةـ الـبـلـيـغـةـ.

وهـكـذاـ سـيـسـتـخـرـجـ أمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ سـيـدـنـاـ عـلـيـ كـرـمـ اللهـ وجـهـ وصـيـ النبيـ الـكـرـمـ صـلـواتـ اللهـ وسـلامـ عـلـيـهـ مـنـ هـذـهـ السـيـاقـاتـ السـالـيـةـ ثـلـاثـ اـثـنـانـيـاتـ شـفـقـيـةـ يـوـضـحـهـاـ لـنـاـ مـسـتـقـيمـ الـاـضـلـاعـ الدـلـالـيـ (LE RECTANGLE SE MIOLOJIQUE) الآـتـيـ:

نـورـ (ـمـواـجـهـ)ـ لـأـنـورـ (ـعـكـسـ)ـ (ـعـكـسـ)ـ (ـمـنـاسـبـ)ـ (ـمـنـاسـبـ)ـ ظـلـامـ (ـمـواـجـهـ)ـ لـأـظـلـامـ

وطـبـعاـ نـجـدـ هـذـهـ اـثـنـانـيـاتـ فـيـ الـأـقـسـامـ الـثـلـاثـةـ الـمـكـوـنـةـ لـنـهجـ الـبـلـاغـةـ وـهـيـ الـخـلـبـ والأـوـامـرـ،ـ الـكـتـبـ وـالـرسـائـلـ،ـ الـحـكـمـ وـالـمـوـاعـظـ.

هـذـهـ اـثـنـانـيـاتـ الـثـلـاثـةـ هـيـ :

## ١- الاثنانية الشفعية التواجهية (VEISUS)

نور لأنور

الظلم لاظلام

التي نراها في بعد الطولي للمستقيم.

## ٢- الاثنانية الشفعية العكسيّة (CONTRAINE)

نور ← ظلام

لانور ← لاظلام

التي نراها على بعد العرضي للمستقيم.

## ٣- الاثنانية الشفعية الترافقية (SYNONINE)

نور = لاظلام

لانور = ظلام

وعلمنا أن هذا يتكون عندنا بالنظر إلى الخطوط التي تربط النقاط الأربع المكونة لزوايا المستطيل.

أ ب د ج

أما إن اعتبرنا المقولات اللسانية الموجودة على أصلع المثلثات أصبح عندنا أربع طوائف كل واحدة منها تجمع في نفس الآن المناسب والواجهة والمعاكس.

المثلث الأول، هو: أ ب ج

أ (واجهة) ب (معاكس) ج (مناسب)

المثلث الثاني هو أ ج د

أ مناسب ج مواجه د معاكس

المثلث الثالث هو: ب أ د

أ (واجهة) ب (مناسب) د (معاكس)

المثلث الرابع هو: ب ج د

د مناسب ب (معاكس) ج (واجهة)

الخاتمة. هذا هو الدرس اللساني الذي يمكن أن تستبطه من الرسالة الإلهية في نهج البلاغة أو على الأصح من كلام أمير المؤمنين صيدنا ومولانا علي كرم الله وجهه الذي يقول فيه:

«أَرْزَقْنَاكَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا يُظْفَأُ مَصَايِحُهُ، وَسِرَاجًا لِاتْهِمَّتْ بِوَقْلَةٍ وَتَغْرِي لِإِنْدِرَكَ فَقْرَةً،  
وَسَنَهَا جَاءَ لِأَبْصِلَ نَهْجَةً، وَسَعَاءً لِأَبْطَلَمُ ضَرْوَةً، وَفُرْقَانًا لِأَيْخُنْدُ بِرْهَانَهُ، وَتَبَيَّنَاهَا لَأَنْهَدَمْ  
الْأَكْلَهُ، وَشَفَاءً لَا تُخْشَى أَشْفَاهُ، وَعَزَّا لَا تُهْزَمُ الصَّارَةُ، وَعَفَّا لَا تُخْذَلُ أَعْوَاهُ».»

أقول هذا هو الدرس اللساني المستنبط من هذه الدرر الفالية قدمته بكل اختصار وتبسيط راجياً من الحق سبحانه وتعالى أن يمد في العمر لأقدم درساً آخر في المصطلحات اللسانية قديمه وحديثها التي أصبحت تشغل الآن بال جيلنا الصاعد الذي نريده صالحًا باذن الله. ولاغرابة مطلقاً أن تساعدنا نوح البلاغة في اغناء المصطلح اللساني وصاحبها هو الذي عتنم النحو العربي مؤسس النحو أبي الأسود الدؤلي وأرشد الناس بالنهج لا يصلح نهجه، إلى الفصيح من القول والمبين من الكلام؛ هو الذي تأدب بآداب الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وتربي في حجره وترعرع بين يديه الكرمعين، فجاء كرم الله وجهه أعلى مثال للإنسان الكامل في كل الحالات التي يمكن أن تختلط بالبال.

ونختاماً أشكر شكرًا الرجال العاملين في مؤسسة نوح البلاغة الذين أتاحوا لي هذه الفرصة النادرة والسعيدة الطيبة لأتحدث معكم. والله تبارك وتعالى أسأل أن يكون جمعنا دافعاً جماعاً مباركاً سعيداً وأن يحصل بشئه وكرمه تفرقنا منه تفرقاً موقتاً مقصوماً سالماً، آلل سميع الدعاء لاغيره، عليه توكلت هو حسيبي ونعم الوكيل.

# الفقر: مكافحته وعلاجه

د. محمد خير الحلواني

سوريا

\* على هذه المقالة أيضاً تعليلات للسيد جعفر مرتضى ، أشرنا إليها بالأرقام.



## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة<sup>١</sup>

صادف مني هذا البحث صنوفاً من الضيق، والمسر، والتردد، كادت تأتي عليه قبل أن يلد بذرة فكري صالحة للنمو والتفرع، ومن الصعوبة بمكان أن يرود القلم مجازل جديدة، وصاحبها موزع النفس بين مطامع البحث، ومشاغل الحياة الملحة، ثم يشاء الله أن يمعن عليه، فيكتب، ولكن يبق في النفس منه منازع إلى الكمال، والى ترميم ما يتعور جوانبه من نقص ونقص، تخنج في الاعتدار، والقياس الصفع.

وحلت النفس على أن تقتضي بالقول المأثور: ما لا يدرك كله لا يترك جله، ورحت استقرني لسان العرب لعل أجد فيه ادراكاً كاماً معدداً للفقير، فوجدت فيه مصداقاً لرأي اللغوي الانجليزي فيرث (FIRTH) الذي يرى أن معنى الكلمة إنما هو استعمالها في نص ما، ذلك أن (الفقير) لا يرتكز معناها على مفهوم معجمي محدد، بل يختلف ويتنوع باختلاف النص وتتنوعه، ووجدت علماء العربية وقهاها القدماء لا يلتقيون على رأي واحد في استقراء النصوص، وفي المازنة بين (الفقير) و(المسكين).\*

على أن معجم الحياة الاجتماعية يتبع لنا من أسباب الإدراك فوق ما يتيحه لنا معجم اللغة، فالافتقار فيه إنما هو الاحتياج، ومفهوم الفقر في صفحاته يرجع إلى علل ودواع يسهل حصرها وعددها، فهناك قثير يرجع سبب فقره إلى عجزه عن العمل،

\* - انظر في ذلك لسان العرب (ضر) و(سكن).

كأن يكون مقعداً، أو مصاباً بلوحة، أو فيه عاهة تحول بينه وبين كسب قوته، وهناك فقير سليم الجسم، ولكن عمله لا يدر عليه من الربح ما يكفيه، ويكتفي عياله، غير أنه يتغنى، ولا يظهر من أسباب الفاقة والوز ما يلفت إليه الانظار، وهناك فقير سدت في وجهه سبل العمل في موطنه، ويرجع فقره إلى تخلخل الحياة والمجتمع، وضيق المنافذ إلى الرزق...<sup>٣</sup>

وإذا عدنا الى معجم الفقه الاسلامي وضع بين أيدينا مفهوماً قريباً من مفهوم الحياة الاجتماعية، اذليس لنفتر فيه مفهوم مطلق، بل يحدد مستوى الحياة المعيشية، فالفقير في نظر الاسلام هو الذي «لم يظفر بمستوى من العيشة يمكنه من اشباع حاجاته الضرورية، وحاجاته الكمالية، بالقدر الذي تسمح به حدود الثروة في البلاد. او هو من يعيش في مستوى تفصله فيه هوة عميقة عن المستوى المعيشي للأثرياء في المجتمع». <sup>٤</sup>

#### اضرار الفقر:

وما أراني في حاجة إلى الاطنان في الحديث عن آذى الفقر وضرره، وحسبى ان التم بها المامدة العابرة، مشيراً إليها، لاباحتها ولامفصلاً، فهو من حيث الضرر الخلقي يبلأ النفس ضيائناً واحقاداً، ويزرع فيها بذور الفرد والتشред، او يسوق إليها دواعي الضياع فتسهل بيع الجسد والكرامة، الى جانب سقطات أخرى لعل اهمها ضعف التربية العام، فالرجل - كما جاء في الاثر - «اذا غرم حدث فكذب، ووعد فالخلف». على ان هناك طائفة من الناس يتصونون، ويتعفرون، ولا يأكلون بشيء وان جاعوا، بل «يمسحهم الجاهل اغنياء من التعسف»، بيد انه - الى ذلك - لا تسلم نفوسهم من ضرر آخر، يبتعد عن تخلخل المجتمع، واضطراب موازينه، لعل أقله اذى القنوط، والشعور بالنقص، وكبت الرغبات، ووأد النزعات في الصدور وتفسخ الحسد.

اما اضرار الفقر الصحية والجسدية فليست خافية على احد، فالعلاقة بين تنوع الغذاء والقوى العقلية والعضلية غير خافية، كما ان الاضرار الجسدية الناجمة عن قلة الغذاء أشهر من ان تشرح، فتها فقر الدم، وتختلف الذهن، وتدهور الصحة العامة، اضعف

إلى ذلك أن قصر اليد، والمجز عن مراجعة الطبيب قد يؤدي إلى تعشاش المرض وتفشيه.

ويتعكس الفسادان السابقان من الضرر على حياة الأسرة في المجتمع، إذ قد يؤدي إلى الوان من الأشرة، والطمع، تقضي على الحبة، واسباب التعاون، وينداح هذا كله من دائرة الأسرة القضية إلى دائرة الحياة العامة في المجتمع، فيلوث البيئة باغاث من التخلف، والتصرف، لا تزيدها إلا تقهقرًا وضعفًا.

وربما كان من المناسب أن نكتف بهذه الأضرار مجتمعة بالكلمة المأثورة: «كاد الفقر ان يكون كفرا» على ان توسع من معنى (الكافر) فتخرج من إطاره الفردي إلى اطار الحياة العامة، فإذا عني في الاطار الاول الترد والخروج على اسباب العرف والخلق والمدى والانتفاء، فإنه يعني في الاطار الثاني التفكك ، والتخلف، والتزق.

### المكافحة والمعالجة

اذ اتجازنا الجذر اللغوي الذي يرجع اليه كل من هذين المصادرتين استطعنا ان نستوحى من المكافحة مصارعة الفقر وجهًا لوجه، والقضاء عليه قضاء تاماً، أما المعالجة فتوحي اليها باتخاذ الاسباب والادوية التي من شأنها ان تزييله وتقضي عليه، وهذا يلتقي المصادران في النتيجة، وان كانا يختلفان في السلوك .

ومadam الامر كذلك فن الممكن ان نسلك سلوكا يجمع بين المكافحة والمعالجة في كل فقرة من فقرات البحث، فعلل ذلك اجمع لابعاده، وسهل استيفاء جوابيه. ولن اتبع المنح التاريخي الصرف، بل سأزوج بينه وبين غيره لدواع قد تتضح في نهايته.

### الاشراكية ومعالجة الفقر:

لا يشك احد في ان جذور الفقر ضاربة في اعمق التاريخ، وان الانسان منذ كان يبحث عن اسلوب من العيش يكتفي حاجاته ومتطلبات الحياة من حوله، سواء أكان ذلك مرتبطا بتسوية الثروات المتاحة ام كان يطمع الى تنظيم المجتمع تنظيم شاملًا يجمع فيها الجميع الجوانب الاقتصادية.

وما ي حاجة الى بحث الامثلية المقترنة على امتداد المصور، بل يكتفي ان اقف عند بعض المقترنات الاشتراكية، لانها في أقرب تعریفاتها، ثمرة لاعرفه التاريخ

البشري من صراع على موارد العيش، ولما اصطنعه المجتمعات الإنسانية من أنظمة، ولما قدمته العقول من حلول.

ولئلا يطول البحث وينشعب، ارى ان اختصر الاشتراكيات الكثيرة باشتراكية سان سيمون، واشتراكية ماركس، ففيها - كمارى - ما يغنى عن بحث مواقف الاشتراكيات الأخرى، ولا سيما ان ماقدمه ماركس بعد اكمال ماوصل اليه الفكر الاشتراكي، مع التفسيرات والتعديلات التي اضافها إنجلز، ولينين، وأخيراًهما.

### آ. سان سيمون والفقر:

اما سان سيمون فمن الممكن تشعيّب فلسفته الاشتراكية في شعبتين: او لاها دعوه الى العمل، والثانية دعوه الى تنظيم الملكية. في اول الدعوتين يحمل المجتمع مسؤولية تأمين العمل لافراده، فإذا تم ذلك كان تقاعس الفرد عن العمل ضرباً من ضروب السرقة يحاسب عليه، لانه يقطف ثمار ما يقوم به غيره، ومن هنا وجوب على كل فرد ان يعمل بحسب قدراته، وان ينال الأجر الذي يستحقه بحسب الخدمة والانتاج.

ووهنا يطلع عليه المجتمع بشكلة الشراء الفاحش الذي يسمح لاصحابه الایعملوا، وان يجدوا مع ذلك من يعمل لهم، فلا يجد بدأً من الدعوة الى القضاء على الملكية، فيقدم مقترحات كثيرة يقضى بعضها بالفاء الميراث، حتى لا تنتقل الثروة الى ورثة رهباً لا يستحقونها، او لا يحسنون القيام عليها. ويقضي بعضها الآخر بتنظيم الملكية بحيث يكون في المجتمع نوعان منها، ملكية عامة تسيطر فيها الدولة على الصناعة ومرافق الانتاج العامة، وملكية خاصة تقتصر على المواد الاستهلاكية ليس غير.

ومامن شك في ان اشتراكية سان سيمون تفتقر على اعتدالها الى النزعة الإنسانية اذ تسلب العامل حافزاً لها على الربح، والمزيد من النتائج، هو تأمين الحياة المرجوة لاولاده من بعده، فإذا اعرف ان ثمار نتائجه لن تؤول اليهم بعد موته فقد يغير تصرفه فيها ضرباً من التبذير ويقعد به عن العمل في آخريات أيامه.

وهناك انتقادات أخرى سوف تذكر في حينها، لئلا يتكرر القول في آراء مشابهة.

### الماركسية والفقر:

تنطلق الفلسفة الماركسيّة في معالجة الفقر ومكافحته من مقوله اجتماعية ترى ان الغني لم يبلغ مستوى الاقتصادى الا لانه سلب مال الفقير، وهذا يعني ان توزيع الثروة ووسائل الانتاج لم يقم على العدالة، بل قام على القهر والصراع، وان الغنى لم يكن غنياً بمواهبه وقدرته على العمل، بل بتخلخل المجتمع وتخizره، وان الفقر لم يكن فقيراً لضعفه وتخلفه وكسله، بل بتدبير الرأسمالي وحنته التي يساعدته عليها تناقض المجتمع وتجمع الثروة في يديه.

ولما يمكن ان ننهض بالفقير وتزيل عنقه، الا بالقضاء على المجتمع الرأسمالي، وقيام مجتمع شيوعي، تتحول فيه جميع وسائل الانتاج لبعضها الى الدولة، ونقل الملكية هذا لا يمكن ان يتم بتطور طبيعي بطيء، للحياة والناس، بل لابد من تحقيقه بوسائل عنيفة اهمها الثورة المسلحة، وال الحرب الاهلية، مثلما حدث في روسيا، ولا يمكن ان تستقر الاوضاع بمجرد نجاح الثورة وسيطرة رجالها، اذ لابد من حراستها وحراسة ظفرها بحكم دكتاتوري تقوم به الطبقة البروليتارية بشكل يسمح لها ان تنتقل الملكية الخاصة الى الملكية العامة نacula مقايضاً على شكل مصادرة لا تعويض فيها، في اعتقاد ماركس ان منع اصحاب الملكية تعويضاً عنها يتاسب مع قيمها «تسلُّل الاهداف المعاينة للحركة الاشتراكية»<sup>٠</sup>

وحين تصل الدولة الى المرحلة الكاملة من تطبيق الاشتراكية تكون جميع وسائل الانتاج، ورأس المال، وتنظيم المجتمع في يدها، اوفي يد جهازها القيمي، وهذا يوفر منافع كثيرة منها:

- ١- تؤمن السلع الانتاجية بجميع افراد الشعب.
- ٢- تزول فوارق الشراء بين الناس، فليس هناك غني، وليس هناك فقير.
- ٣- يتحتم على الدولة ان تضمن لكل مواطن دخلاً نقدياً معيناً، وتسمح له ان ينفق دخله كيفماشاء.
- ٤- تحديد الاسعار بما يتاسب ودخل الافراد.

<sup>٠</sup> - انظر: د. صلاح الدين نامي، دراسات في الاشتراكية، من: ٦٢ القاهرة: دار المعارف ١٩٦٨

وميزة هذا الاجراء انه لا يعتمد على الربح، بل على حاجات المجتمع، ولذلك لا يستطع الى اسوق خارجية يفرقها ببعضها، بل حسيه ان يومن لافراد الشعب ماهم بمحاجة اليه. أضف الى ذلك أنه يخضع للتخطيط تقوم به الدولة بأجهزتها المسؤولة، وهذا التخطيط يصدر عن طبيعة المجتمع والحياة، فيحدد نوع الانتاج وكيفيته.

ومن الممكن «تلخيص» السمات الأساسية للإنتاج الاشتراكي كمما يلي:

اولاً - انه انتاج جماعي يشبع حاجات المجتمع ككل: اي هو انتاج الخيرات المادية الضرورية للمواطنين، دون تفرقة بين نصيب فئة من فئات المجتمع وفئة اخرى.

ثانياً - انه انتاج هادف وبناء على خطة مدققة تضمن استخدام جميع الموارد  
ية المادية والبشرية بطريقة عملية وعلمية، لكي تحقق الخير لجموع الشعب.

ثالثاً - إن هناك أولويات في القيام بالمشروعات الانتاجية.

رابعاً - إن الانتاج الاشتراكي لا يهدف الى تحقيق الريع، بل يهدف الى اشباع رغبات المجتمع، في ظل الخطة الاشتراكية للموضوعة».

ويتضح من هذا ان الاشتراكية الماركسيه قدمت افضل الحلول الاشتراكية التي ظهرت في التاريخ، ولكنها مع ذلك ترتبط بنظام من الحكم أقل مأيصال في انه يقوم على سفك الدماء وانه يحفظ سلطنته عمارسة الارهاب، والجاسوسية، والسجن.

وإذا اغضينا على هذا، وجدنا في طبيعة النظام نفسه افتقاراً إلى الشعور الإنساني خلال العمل، فالعامل لا يقوم بالانتاج بوازع داخلي يهيب به الا يقصر او يخل بالعمل، لانه لا يرضع نصب عينيه الا تأمين حياته وحاجاته، ولا يتمسك بالنظام الا خوفاً من حلاذه ومذديه، فهو كالالة التي يمارس بها عمله.

يضاف الى ذلك ان وسائل الانتاج سوف تسند الى ايد لا تؤلها الخسارة، ولا يسعدها الرابع، ولكنها تقوم عليها مثلا يقيم الموظف على اوراقه، وفي مثل هذه الاحوال تتفاوت الضمائر في الرعاية والعناية، فان لم يكن ثمة وازع من الشعور الذي يرتبط بقيم اخلاقية او دينية، فان الامر حينئذ يصير الى حال تفتقر الى القبض والاطراد، وربما كانت الشواهد والادلة على صحة ما ينقول ما يسهل الاشارة اليها في البلاد التي تطبق الماركسية او تأخذ بنظام التأمين والقطاعات العامة.

والى جانب هذا ايضاً قطعت الماركسية الصلة بين الإنسان ومُثله العنيا حين

حالت بينه وبين السماء، فإذا أطعمته وامتت له مستقبلاً مادياً فان ذلك جاءه على حساب مثيله وروحه وديانته حتى ليكمن القول: إنها حلولته الى جسد صرف.

المحتوى الرأسى:

على ان الحل الرأسمالي ليس خيرا من الحل الاشتراكي ، بل لعله ان يكون في طبيعته أكثر خصبا لخواص الفقر وتشعب فروعه ، اذ يقوم على فلسفة فكرية واقتصادية ترد الفقر الى اسباب ذاتية لا اجتماعية ، فوسائل الانتاج كمتارها متأحة لكل فرد ، ومنافذ العمل متعددة ومفتوحة امام الجميع ، وحرية الاختيار ليست مراقبة ولا موكولة الى دولة دكتاتورية ، فإذا افتقر انسان في هذه الظروف الميسرة له فإن فقره يعود الى ضعف فيه ، او قصور في مداركه .

ولاشك ان هذه الفلسفة لا تقوم على مرتکز موضوعي صحيح، ذلك ان ااتاحة وسائل الانتاج ليست في الحقيقة ميسرة للجميع، بل لا تatisر الا من يملك المال، وحيثنهذا يصبح الفقير العامل تحت سيطرة رب العمل، ويفرض عليه ضرب العسف والاستغلال مايلام مصلحته، وهذا ينجم التتصدع بين شق المجتمع: الشق العامل، والشق المستثمر. وينتني هذا التتصدع الى التفاوت في اساليب العيش، فهناك الفقير الذي لا يجد بين يديه ما يكفيه، ويكتفي حاجات عياله، وهناك الثري الذي يفتن بالبذخ والتبذير، والترف. وتنشأ من جراء ذلك طبقة الاثرياء المتخمين وطبقة الفقراء المعدمين.

على أن الدول الرأسمالية الصناعية اضطررت في النهاية تحت ضغط الاشتراكية العالمية إلى وضع نظام الضمان الاجتماعي، وسوف ينجل لنا في فترات هذا البحث.

ولعل اسوأ ما تحمله تناقضات الرأسمالية هو تلك الحرية المسائية التي لا تؤول الى غير الطمع، والمزيد من الارباح، وهذا يكون الدافع الى العمل طلبات الربيع، لتأمين الحاجات ويفدی هذا الى البحث عن اسواق خارجية، بحيث يتقلصضرر من اطار البلد او الوطن الى اظرى بعد منه فيصيب الجار القربي، وال远方 البعيد.

وهذا نفسه يتتيح لصاحب الملكية أن يتمتع بحق اقتصادي لا يخلو من غرابة، هو استعمال مأيلكه، وهو استعماله لذاته لصالحه الشخصية، «ومن هذا المنطلق

انطلقت تشربيات نابليون، وكل الانظمة الاقتصادية البرجوازية، وهكذا يتمتع المالك بحق المي مطلق، فيستطيع ان يتلف دون اى عقاب كل ما يملك ، ولو كان في ذلك حرمان للمجتمع من ضروراته الحيوية، كما يكدرس الخيرات ومحتكراها بلا حساب. والقانون الفرنسي الذي ينظر الى المؤسسات على انها امتداد لحق موروث يعطي الحق الى مالكيها في وقف اعمالها او التصرف بها، او تسريع العاملين فيها.»<sup>٥</sup>

وفي ظل النظام الرأسمالي تظهر الحلول الفردية لمشكلة الفقر، وربما كانت الصدقة بعندها الضيق، واعني بها: «الاحسان» ابرز الدعوات التي ينادي بها المصلحون، ومن البدائي ان مثل هذه المقترفات تبقى في نطاق محدود، ولا تبلغ ان تنصير نظاما يصون كرامة الانسان ويحل المشكلة حلا مقبولا. <sup>٦</sup>

### الحل الاسلامي:

ما تقدم رأينا أن كلا من الرأسمالية والاشتراكية لا يتكامل فيها الحل، ولا ينتهي بالفقر الى حياة سلية من جميع الجوانب، بل يزيد مشكلة لتنجم بازالتها مشكلة اخرى، فهل يحل الاسلام مشكلة الفقر حلا جذريا يتحقق ماعجزت عنه الحلول الارضية؟<sup>٧</sup>

ان من يستقرى النصوص الاسلامية يستوحى منها ان الفقر مرض اجتماعي بالغ الخطورة فقد نقل عن رسول الله (ص) قوله: «كاد الفقر ان يكون كثرا» <sup>٨</sup> وقوله: «الهم آتني أعود بك من العجز والكسل، والجهن والبغاء، وأعود بك من الفقر والكفر والفسق» <sup>٩</sup>

ولابد إزاء هذه النظرة من ان يكون هناك دواء يعالج هذا المرض، ويكافح جراثيمه التي تفتكت في الجسد، والنفس، والعقيدة، ويحول الانسان السوى المستقيم الى انسان ناقم، حاقد، مريض، لا يستطيع القيام بواجباته، ولا يقوى على قضاء حاجاته.

وأول دعا اليه الاسلام هو السعي والعمل، فلم يجز للمسلم ان يقدر عن طلب الرزق، وان يتکل على غيره فيه، لأن النساء لا تمطر ذهبا ولا فضة، «فاما قضيت الصلاة فانتشروا في الارض، وابتغوا من فضل الله»، (الجمعة ١٠) «هو الذي جعل لكم الارض

<sup>٥</sup> - مайдع الاسلام: ٩٦/١٥. دمشق: ١٩٨٢؛ روجيه غارودي

<sup>٦</sup> - انظر: ابن مالك: شرائع التوضيح: ١٠١. القاهرة: ١٩٥٧/١٣٧٦

<sup>٧</sup> - رول الملاكم والبيزن

ذلولاً فامضوا في مناكبها وكلوا من رزقه» (الملك ١٥) والاحاديث النبوية التي تمحض على العمل كثيرة جداً، بل ان بعضها ليعده ضرباً من الجihad في سبيل الله، فقد روى الطبراني والبيهقي ان رجلاً من برسول الله (ص)، فرأى اصحاب رسول الله من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله، فقال لهم الرسول: ان كان خرج يسمى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وان كان خرج يسمى على ابوبن شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، الى آخر ما جاء في الحديث.

والعمل في الاسلام حواجز نفسية وانسانية، فهو لم يتم على المسلمين الملكية الفردية كما فعلت الماركسية في جهازاً نظري، ولكنه لم يضع ايضاً لها من الحرية ما يجعلها اذى وضرراً للمجتمع، كما فعلت الرأسمالية، والاساس النظري للملكية في الاسلام ان الانسان نفسه لا يملك شيئاً، لأن الملك كله لله وحده، فهو رب العالمين، ومالك كل شيء، ولكنه يستخلف عليه انساني ليقوموا به، ويتصرفوا فيه بوعي من العقيدة الدينية السليمة، «وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» (الحاديدين ٧) «ومن قدر عليه رزقه فلينبعن ما اناه الله» (الطلاق ٧) «واتوهم من مال الله الذي آتاكم» (النور ٣٣).

واذن، فان الملكية الفردية ليست امتيازاً، كما في الرأسمالية، بل هي تبعة يسأل عنها الانسان امام الدولة، وامام ضميره الديني، فلابد يديه ملك له في الحدود التي يسمح بها الله، وهو في نفس الوقت ليس له، لانه ملك الله الذي يراه، ويراقبه، ولا ينام له طرف.

ومن اجل ذلك ينكر الاسلام أن تحول هذه الملكية الى هوس يؤدي بصاحبها، بجمع المال ويحرم منه المجتمع، ويسلك في الكسب سلك الفسق، والخديعة، والكذب، وظلم الانسان، ومن هنا حرم الربا في شتى صوره، ومختلف اشكاله، وقاوم الاحتكار، وعنت الفاشين، ودعا الى اقامة الوزن بالقسط، وحرم الكسب الذي لا يراعي تعاليمه، فلا يجوز الاتجار في المخدرات، والمسكرات وما اليها.

هذه المصورات السلبية من المحرمات تقف حيالها صوراً اخرى من الابعاديات تدعوا الى مشاطرة المال واقتسامه، وتبارك الصدقات، وتحيل الملكية الى «خير» لاسترضافه، اذ يجب ان يكون العطاء خالياً من الاذى، نقية من المحن، جالباً للأجر والثوابة.

وفوق هذا كله تبقى الملكية الفردية في حدود الاخلاق الاسلامية، ولهذا لا يسمى المالك في كسبه الى الرابع كيفما كان، بل لا بد له أن يسمى الى «خير» المجتمع، وبختسب «شره»، اي لا بد له ان يسمى الى تأمين حاجاته، وان يكفل عما لا حاجته به

البيه، فالاقتصاد في الإسلام يختلف عن الخط الغربي في التنمية، فهو لا يرى في الانتاج والاستهلاك غاية يسعى إليها، ولذلك لا يصرف منه إلى المزيد من الانتاج والاستهلاك، سواء أكان ذلك لازماً للمجتمع أم لم يكن كذلك، بل أنه أن يكون خطراً على المجتمع والحياة، بل يرمي في عملية التنمية إلى إقامة التوازن والانسجام.\*

بهذه المبادئ الإنسانية العامة يضع الإسلام حلته السليم لشكلة الفقر، وأول لون من الوان هذا الخل هو القسم الاجتماعي الذي سبق فيه جميع الانظمة من رأسمالية واشتراكية.

فقد جاء في كتاب الاستاذ المرحوم محمد باقر الصدر: «اقتاصادنا» عن نظام القسمان الاجتماعي في الإسلام ما يكفيها موثقة الاطناب فيه، اذ ذكر ان الاسلام «فرض على الدولة ضمان معيشة افراد المجتمع الاسلامي ضماناً كاملاً، وهي عادة تتقدم بهذه المهمة على مرحلتين: في المرحلة الاولى تهيئ للفرد وسائل العمل، وفرضه المساهمة الكثيرة في النشاط الاقتصادي الشمر،» فان لم تستطع للابسات خاصة بها «جاء دور المرحلة الثانية التي تمارس فيها الدولة تطبيق مبدأ القسمان عن طريق تهيئة المال الكافي لسد حاجات الفرد، وتوفير حد خاص من المعيشة له» ويرتكز نظام القسمان الاجتماعي في الاسلام على مبادئ:

١- اولها التكافل الاجتماعي .

٢- والثاني حق الجماعة في موارد الدولة العامة .

ولكل من المبادئ حدوده ومقتضياته. فمقتضيات الاول - وهو التكافل - أن يكفل الأغنياء الفقراء في حدود إمكانياتهم، وهذا فرض كأى فرض آخر في الدين، وللدولة الحق في أن تلزم رعاياها بامتثال ماتكفل لهم به شرعاً، «فكمابكون حق اكراه المسلمين على الخروج الى الجهاد لدى وجوده عليهم، كذلك حقاً في إكراههم على القيام بواجباتهم في كفالة العاجزين».» وفي حديث منقول عن الإمام جعفر بن محمد يذهب إلى أن «أيما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يتعاجله، وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره، أقامه الله يوم القيمة سوداً وجهه، مزرقة عيناه مغلولة بدأه إلى عنقه، فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله، ثم يُؤمر به إلى النار»\*\*

\* - انظر: زوجيه غارودي، المرجع السابق ص: ٩٩

\*\* - باقر الصدر اقتاصادنا. ص: ٦١٥ / ٦١٧

ولاشك ان الامام جعفر في هذا الحديث يصدر عما اثر عن الرسول (ص) من احاديث ومواعظ، كقوله: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره إلى جانبه طاو» وقوله: «إي رجل مات ضياعاً بين اغياه فقد برئت منه ذمة الله ورسوله». <sup>٤٠</sup>  
وعلى الدولة الإسلامية في الضمان الاجتماعي مسؤولية مباشرة واساس نظرى ترتكز عليه.

اما المسؤولية فتفرض على الدولة ان تضمن الفرد في حدود حاجاته الحيوية، كما تفرض عليها ايضاً «ان تضمن للفرد مستوى الكفاية من المعيشة الذي يعيش به أفراد المجتمع الإسلامي لأن ضمان الدولة هنا ضمان اعالة، وأعالة الفرد هي القيام بمعيشته وامداده بكفايته».

والكافية مفهوم مرن يتسع مضمونه «كلا ازدادت الحياة العامة بسرا ورباع» <sup>٤١</sup>  
واما المرتكز النظري فهو ايجان الاسلام بأن للفرد الحق في الانتفاع بوارد الثروة «أن هذه الموارد الطبيعية قد خلقت للجماعة كافلة، لا للثانية دون أخرى» «خلق لكم ما في الأرض جميعاً» وهذا يعني ان كل فرد من الجماعة له الحق في الانتفاع بثروات الطبيعة والعيش الكريم منها». <sup>٤٢</sup>

اما الطريقة المعتمدة لتنفيذ هذه الفكرة فهي ايجاد قطاعات عامة، ينشئها الاقتصاد الإسلامي ليبرر دينها على الفقراء بجانب فريضة الزكاة <sup>٤٣</sup>، وذلك يعتمد على نص قرآن صريح، هو قوله تعالى: ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى، فللهم، ولرسوله، ولذى القرى، والبناوى والمساكين، وابن السبيل، كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم.

وهذه الموارد تشمل الزكاة، والوقف، والوصية، والفنانم، والصدقات العامة، بل لا يمنع الاسلام أن يُتفق من بيت الله على غير المسلمين من أهل الكتاب، فقد نقل عن الامام علي رضي الله عنه «انه من بشيخ مكحوف كبيرسأل. فقال امير المؤمنين، ما هذا؟ فقيل له: يا امير المؤمنين انه نصراني، فقال الامام: استعملتموه حتى اذا اكبر وعجز منتموه» <sup>٤٤</sup>

والضمان الاجتماعي في الاسلام اصل ثابت مرن يمكن التصرف فيه بحسب

٤٠ - باقر الصدرين: نفسه. ص ٦١٨.

٤١ - نفسه: ٦٢٠.

٤٢ - انظر: الموصل في شرح المختار: ١٢٩/٣. القاهرة: بلا تاريخ.

٤٣ - نفسه: ٦٢٤/٦٢١.

٤٤ - نفسه: ٦١٤.

ما تقتضيه المصلحة والبيئة، وفي الحدود التي يسمح بها الدين. انه ينظر في حاجات الناس التي تتناسب مع حياة المجتمعات المختلفة، ويكتفي بها.

وهو مختلف عن النظم الحديثة في الغرب، لانه يقوم على أساس الحاجات المعيشية، اما هي فتقوم على «اساس عطاء المؤمن له من التغبيبات والمساعدات بسبة مادفع له من افساط طوال سنوات عمله، لاعل أساس حاجاته».

ويشتمل الفسقان الاجتماعي على اجراءات وتدابير كثيرة تقوم بها الدولة، بحسب ما تتملي عليها الملابس، منها مثلا:

١- تحديد الاسعار بما يتناسب ودخل الفرد.

٢- توفير المواد الغذائية الأساسية وإسهام الدولة في شرائها، وذلك كالألبز، والسكر واللحوم، وأضرابها.

٣- تيسير صناعة المواد الخاصة بالملابس، وتخفيض نفقاتها، وتحديد اسعارها.

«وخلص الاسلام من ذلك الى القول: بان التوازن الاجتماعي هو التوازن بين افراد المجتمع في مستوى المعيشة لافي مستوى الدخل، والتوازن في مستوى المعيشة معناه أن يكون المال موجوداً لدى افراد المجتمع، ومتدالوا بينهم الى درجة تتيح لكل فرد العيش في المستوى العام، اي ان يجده جميع الافراد مستوى واحداً من المعيشة مع الاحتفاظ بدرجات داخل هذا المستوى الواحد، تفاوت بمحبها المعيشة»<sup>٥٠</sup>، ولكنه تفاوت درجة وليس تناقضاً كلياً في المستوى، كالتناقضات الصارخة بين مستويات المعيشة في المجتمع الرأسمالي.»

«وقد قام الاسلام من ناحيته بالعمل لتحقيق هذا الهدف بغض النظر مستوى المعيشة من أعلى بتحريم الاسراف، وبضغط المستوى من أسفل بالارتفاع بالافراد الذين يعيون مستوى منخفضاً من المعيشة الى مستوى ارفع، وبذلك تقارب المستويات حتى تندمج اخيراً في مستوى واحد، وقد يضم درجات، ولكنه لا يختوی على التناقضات الرأسمالية الصارخة في مستويات المعيشة».»<sup>٥٠</sup>

وأرأني بعد هذا كله، في غير مراجحة الى الاطناب في بحث قيمة الزكاة في مكافحة الفقر وعلاجه، والى تجاوز الحديث الفقهي عنها، فهو شيء أظهر من ان

<sup>٥٠</sup> - الدكتور يوسف القرضاوى. مشكلة الفقر. ص: ٤٠ - ١٣٩٥، ١٩٧٥.

٦٦ - نادر الصدر. ص ٦٦

نتحدث عنه في مؤتمرنا هذا، وكل ما يريد هنا هو قدرة الدولة الإسلامية على الاستعانة بنظام الزكاة، او قانونها للقضاء على الفقر.

فالزكاة كما هو معروف فريضة كالصلوة، والمحج، وركن من اركان الاسلام التي تجمع بين المعقيدة والتطبيق، إنها واجب على ذوي اليسار، وحق من حقوق الفقراء، ثم هي فوق ذلك مما تسعى الدولة الى تحصيله، ووضعه في خزينة خاصة لها نفقاتها المستقلة بها، وعلى هذا يمكن أن يكون لها مشروعاتها التنموية الخاصة التي يمكن أن تتكيف بحسب المجتمعات واختلاف مواردها، وحالات الفقراء فيها، فلن السهولة يمكن أن تنظم قوائم بأسماء الفقراء، ومستوياتهم، وبمبالغ أسطيعاتهم، وأنواعهم، كالعجزة، وطلاب العلم، والعاملين عليها، ومن الممكن ايضاً أن تستغل اموالهم للقيام بمشروعات اقتصادية عامة<sup>٧</sup>، توجهها الدولة الى استثمارات خاصة توفر حاجيات المجتمع اولاً، وتستقطب الابيادي العاملة الفقيرة فيها، ومن شأن هذا ان يحقق التوازن في المجتمع.

وبهذا كله تكون الزكاة من اهم موارد الدولة لتأمين الضمان الاجتماعي، الذي يحفظ كرامة الاخذ، ويحقق العدالة، ويزرع الثروة توزيعاً عادلاً مثالياً، وهي ليست احساناً فردية «وانما هي تشريع عادل متلزم بتترجم تعاون المؤمنين إلى واقع عمل، هؤلاء الذين ينبعون في قهقح أنانيتهم، وكبح جام شعهم، والزكاة تركيز دافع بأن الاموال والارزاق ملك الله وحده، وبأن الفرد لا يمكن له التصرف على هواه، فهو عضو ينسب إلى جماعة».

\* \* \*

واسمحوا لي في ختام هذه الكلمة ان اكرر اعتذاري عن التقصير في البحث والتنقيب، ولعمل ماقدمته لا يزيد على اشارات وخطوطيات، وقد كفافي كثير من الباحثين الاجلاء مؤنة الاطناب والتفصيل، أخص منهم بالذكر المرحوم الشهيد باقر الصدر، صاحب الكتاب القيم «اقتصادنا» والاستاذ الدكتور يوسف القرضاوي صاحب كتاب «الزكاة»، الى جانب بباحثين آخرين اطلعت على ماقدموه اطلاعاً عاجلاً، فلهم ولكم جيئا الشرك، ولمؤسسة «نهج البلاغة» والقائمين عليها اطيب تحياتي، وأمنياتي لها بالنجاح والتوفيق.



تعليقات على هذه المقالة



- ١ - لم يستعرض هذا البحث موقع الحنف عن الاقتصاد الاسلامي بل اكتفى بالتركيز على الزكاة وغیرها وذلك انطلاقاً من المذهب الفقهي الذي يتباهى الكاتب ولأجل ذلك نجد أنّ بحثه للدجاجة ضعيفاً نسبياً وليس قادرًا على تقديم أطروحة متكاملة عن الاقتصاد الاسلامي. كما أنّ الكاتب متأنّ جداً بفلسفات غير اسلامية ولأجل ذلك نجد في عده الكثير من النحوات.
- ٢ - والظاهر أنّ في الجملة سقطاً، والصافط هو كلمة «والمسكة».
- ٣ - ويستتر عن ذلك في لسان الفقهاء بالله من لا يملك قوت سنته وما يلبثي حاجاته التي تلقي بحاله وتتناسب مع دوره الفاعل ومسؤولياته في الحياة الاجتماعية بصورة عادة...
- ٤ - المناقشات التي ذكرها المؤلف هنا ليست هي كل ما يقال حول الاشتراكية الماركسية؛ فهناك الكثير من الشهادات التي لا يمكن التناضي عنها... ومن أراد المزيد في هذا المجال فعليه بمراجعة كتاب «اقتصادنا» للشهيد الصدر... وإنما ذكره الكاتب هنا ليس إلا مبرهنات من الدرجة الثانية أو الثالثة ولن يستوي هي المأخذ الرئيسي على المذهب الاشتراكي الماركسي في أي حال... فليلاحظ ذلك بدقة وليراجع الكتاب المذكور.
- ٥ - ولاشك في أنها كذلك مادامت لا ترتبط باهتمام ولا تشكل حلقة في جلة حلقات كثيرة تشكل بمجموعها نظاماً متكاملاً كـما هو الحال بالنسبة لوقعها في الاسلام...
- ٦ - وهذا التفاوت في الدرجة في داخل ذلك المستوى أنها تفرضه طبيعة الاختلاف في مستوى فاعلية الفرد داخل المجتمع وحدود مسؤولياته فيه.
- ٧ - هذه النظرية فيها ترتبط بالزكاة تحتاج الى تحجيم فقهي من قبل أهل الاختصاص والباحثين.



مكانة الطبقة العاملة  
و دورها  
في وقاية المجتمع

محمد بامبا النجاشي

سنغال



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، مُحَمَّدِ رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّيِّبِينَ اَنَطَاهِرِيْنَ وَصَحْبِهِ  
الْأَنْجَارِ.

إن كتاب «نهج البلاغة» للإمام علي عليه السلام عبارة عن خطب ووصايا ورسائل، وأوصاف دقيقة تibir طريق كل مسترشد، وتساهم في تحرير كل من يتعرض لظلم وجور الطفاة، بل أنها سجل تاريخي لكل إداري يتوجّه العدل والمساواة في إدارته.

ولقد تناول الإمام علي عليه السلام موضوعات مختلفة في هذا الكتاب، ودرس فيه المسائل متباعدة، وعرض في طياته حلولاً ناجمة لكل من يريد الانتهاء إلى أمة التوحيد، أمة نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وعليه آله وسلم تسليماً.

أما بعد: فبینا كانت للطبقة العاملة دور فقال ومكانة مرموقة في كل مجتمع يريد الارتقاء، فإن الإمام علي عليه السلام كرس لهذا الباب جزءاً وافراً فيما يجب أن نسميه أول موسوعة في التاريخ الإسلامي لا وهو كتاب «نهج البلاغة». وللدخول مباشرة في لبت الموضوع نعرض على سماحتكم مقتباً من إحدى رسائل الإمام علي عليه السلام إلى

مالك بن الحارث الأشتر التخمي، لما وله على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر:

«واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها لآلي البعض، ولا يغنى بعضها عن بعض؛ فلها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنفاق والرفق، ومنها أهل الجزرة والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقية السفل من ذوي الحاجة والمسكمة، وكل قدسي الله له سمه، ووضع هل حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه - حل الله عليه وأله وسلم - عهد منه عندنا محفوظاً.

فالجنود، بإذن الله، حصنون الرعية، وزين الولاة، وعز الدين، وسبل الأمان، وليس قوم الرعية إلا بهم. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقررون به على جهاد عدوهم، وبعتمدون عليه في ما يصلح لهم، ويكونون من وراء حاجتهم. ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالنصف الثالث من القضاة والعمال والكتاب، لما يجتلون من المعاقد، ويعمرون من المنافع، ويؤمنون عليه من خواصن الأمور وعواقبها.

ولا قوام لهم جيماً إلا بالتجار وذوي الصناعات، فيما يعتمون عليه من مرافقهم ويتبعونه من أسواقهم، وبيكفريهم من الترفة بأيديهم مالا يلينه رفق غيرهم. ثم الطبقية السفل من أهل الحاجة والمسكمة الذين يحق رقادهم وعمورتهم. وفي الله لكل سعة، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه، وليس يخرج الوالي منحقيقة ما ألزمته الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانت بالله، وتوطئ نفسه على لزوم الحق، والصبر عليه فيما عفت عليه أو نقل».

كما يقول الإمام علي عليه السلام أيضاً:

«ثم أستوصي بالتجار وذوي الصناعات، وأوصي بهم خيراً: المفيم منهم والمهظر بماله، والمتفرق ببيته، فالمفيم مواد المنافع، وأسباب المرافق، وجلالها من المبعد والمطraig... فامتن من الإحكام، فإن رسول الله - حل الله عليه وأله وسلم - منع منه. ولتكن البيع بما سمعاً: بموازين عدل، وأسعار لا تخف بالغرقين من البائع والبناء. فمن قارف حركة بعد بيتك إيه فتكل به، وعاقبه في غير أسفاف».

ومن هنا يظهر جلياً من خلال «نبع البلاغة» على أن للطبقة العاملة مكانة كبرى في وقاية المجتمع، لأن الإمام عليه السلام يراها كقوام للأصناف الأخرى في داخل المجتمع، وسندأً له لا يقوم إلا بها. وهم «أسباب المرافق، وجلالها من المبعد» وهكذا تشارك الطبقة العاملة في وقاية المجتمع من الآفات الاجتماعية التي هي أكثر خطراً من الأوبئة الفتاكـة.

وعليه، نرى أن العمل، طبقاً لترتيبيات الشريعة الإسلامية، يساهم كثيراً في تحرير الفرد بل في تحرير المجتمع من آفات الفقر، وعاهات الفاقة، والإسلام، كما يمكن ملاحظته، قد يسبق المذاهب المدamaة والتخلفة مثل الماركسية وما شاكلها في

تحديد مكانة الطبقة العاملة في المجتمع، وهو لا يراها في مكان العداوة والتباغض مع الطبقات الأخرى، بل هي تتولى على حماية غيرها من الطبقات، وما مسؤولية وقايتها؛ وشتان ما بين هذا الدور الإنساني، وهذه المكانة المرموقة وبين صراع الطبقات الذي يراه المذهب الماركسي كمحرك ل التاريخ البشرية. وهكذا تسمى الماركسيّة جادة إلى افهام الطبقة العاملة بأن قيادة المجتمع من أدوارها الأساسية وحق ثابت لها دون غيرها، وأن عليها تحطيم وتدمير الطبقة الثرية أي البرجوازية، والسيطرة على زمام الحكم بجميع الوسائل ... و يجب الاحتفاظ به بواسطة الديكتاتورية البروليتارية. نعم، إن الإسلام، هو دين السلام، والوثام ودين الوفاق بين جميع أصناف البشرية الذين استجابوا للدعوة رسول الإسلام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإذا ألقينا نظرة خاطفة في جميع المذاهب والأيديولوجيات العلمانية نرى على أنها تفرق بين طبقات البشر وتفضي الغوارق فيما بينها، وتجعل من الفقر والغنى مقاييساً للأفضلية. وذهبت المجتمعات الجاهلية إلى تبني فلسفة مادية شعارية «الغاية تبرر الوسائل» وكما قال الأستاذ محمد أسد: «فالرجل العادي في أوروبا، ديمقراطيًا كان أم فاشياً، رأسماليًا كان أم اشتراكياً، وعاملًا كان أم رجل فكر، إنما يعرف دينياً واحداً هو عبادة الرقي المادي، والاعتقاد بأنه لاغایة في الحياة إلا أن يجعلها الإنسان حرجة طليقة من قيود الطبيعة.

أما كنائس - ومساجد - هذا الدين، فهي المصانع الضخمة ودور السينما ومتاجر الكيمياء ودور الرقص ومراكز توليد الكهرباء.

وأما كهنتها وأئتها - فهم رؤساء المصارف - وأرباب العمل - والمهندسوں والممثلات وكواكب السينما، ورجال الأعمال من التجار والصناع». نعم إن مثل هذه الرؤى هي الخاطئة للحياة والعمل حللت بعض مفكري الغرب

الليبيراليين أو العمالين إلى القول بأن العمل للصلحة الفردية أربع وسيلة لتنظيم الحياة الجماعية، وإن لا داعي إلى تبني القيم والأخلاق بل يمكن أن ترك كل فرد يعمل كما يراه لصالحه الشخصية متسايم على العمل لصالحة الجماعة! إن كل هذه النظريات لا تنتهي فعلاً طبقة عاملة تلعب دورها الطبيعي في وقاية المجتمع. لأن العامل في هذه النظريات جزء تمام الإنفصال عن المجتمع ولا يكون هدف العمل نبيلًا ولا إنسانياً، بل هو لارضاء المطامع الفردية، أو في أحسن الحالات لست حاجيات شرذمة قليلة قد ترى نفسها على العرش والناس في الدرك الأسفل من سلم الحياة.

وإن حياتنا اليومية تترجم بصرامة ووضوح عن المعرف هذه النظريات إذ نحن نعيش في مجتمعات تكون فيها الطبقة العاملة في صراع مستمر مع الطبقات الأخرى، وفي حروب ونزاعات لاهوادة فيها. ولا يوجد في مجتمعاتنا الحاضرة المحرفة أي تماسك أو تلاحم فيها بينها، وذلك لأن دعامة الوحيدة ابتدعت عن القلوب والأرواح بابتعاد الناس عن الاعتصام بحبل الله الذي لانفصام له. وفي ضوء الإنقاذ لأولئك الله سبحانه وتعالى يكتنأ أن نفهم حقيقة تلك الطبقة العاملة التي وصفها الإمام الطاهر علی بن أبي طالب عليه السلام في كتابه «نهج البلاغة» ورأى رؤية صادقة صائبة على أنها ذومكانة رفيعة ودور فعال في وقاية المجتمع.

نعم، إن الإمام علیه السلام يقتبس آراءه وتعابيره من الكتاب المقدس، ويستثني من نور خاتم الأنبياء محمد رسول الله صلی الله علیه وسلم، وبما أن القرآن الكريم هو «القول الفصل» وأن الرسول محمد صلی الله علیه وسلم «لا ينطق عن الهوى» فإن كل من يسير على هذا الدرب، ويتكلّم عن لغة القرآن ويتمسك بتعاليم السنة النبوية الشريفة يتصرف حتماً بصفات الصدق والإخلاص مثلما هي الحال لذلك الإمام الجليل الذي قال عنه نبیتنا الأعظم صلی الله علیه وسلم بأنه «باب مدينة العلم».

ولادرالك فهو هذه الحقائق التي تتجلى في طيات «نهج البلاغة» لابد وأن نعرف بأن «العاملين» في منظور الإمام علی عليه السلام يتصفون بأوصاف أوثما الإيمان وثانياً الإخلاص وثالثاً التقوى.

فلنستمع إلى قوله عليه السلام: «... ولئن فرم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سماهم سيا الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار، عمار الليل، ومنار النهار... لا ينكرون، ولا يعلون، ولا ينطون، ولا يفسدون، فلوهم في الجنان، وأجادهم في العمل».

وهكذا ينادي الإمام علی عليه السلام بالعدالة الاجتماعية في جميع جوانبها وفي مختلف مظاهرها فيقول:

«ونفذ أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا لهم، لأن الناس كلهم عمال على الخراج وأهله. ولتكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استنجاذ الخراج، لأن ذلك لا يبدون إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة آخر بلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً».

ثم يوصي قائلاً: «تم الله في الطبقة السفل من الذين لا حيلة لهم، من المساكين واغتنم

وأهل البوس والزمن، فإن في هذه الطبقة قاتلاً ومغتصراً، واحفظت الله ما استحفظك من حقه فيه» «واجعل لذوي الحاجات منك قسماً ثرثراً لهم في شخصاته وتجلس لهم مجلساً عاماً فتواضع فيه لله الذي خلقك وتقدّم عليهم حنك وأعوانك من احراسك وشرطك حتى يكتلك متكلّهم غير متّمع، فابي سمعت رسول الله صل الله عليه وآله وسلم يقول في غير موطن: «ان تقدس أمّة لا يؤخذ للضعف فيها حقّه من القوي غير متّمع»».

ويرى الإمام علي عليه السلام على أن العمل مفروض بالإيمان بل هو مقاييسه فيقول: «المؤمن بعمله» و«العمل ر维奇 المؤمن». أنه يقدر العمل حق قدره ويعرف بأن للعمل دعائم وقوام لا يقوم إلا بها: فيقول: «العلم يرشدك، والعمل يبلغ بك الغاية».

ومن حكمة الإمام علي عليه السلام أن قال في نفس الرسالة التي سبق ذكرها: «ثم أنتظر في أمر عمالك فاستعملهم أختياراً، ولا توليهم محاباة وأنزلا، فإليها جائع من شعب العجز والخيانة. ونحوّهم أهل التجزئة والخياء، من أهل البيوت الصالحة، والقدم في الإسلام المقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصيل أهراضاً، وأفضل في المطاعم اشتراكاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً».

وهكذا يوصي الإمام للارشاد والتوجيه في مهمة اختيار العمال، ولما كان في الله لو توصل الأمراء والرؤساء إلى تبني هذه النظريّة الرشيدة في انتقاء من يتولون الأعباء في الدول والمناطق والوزارات والمصانع والممعامل، لـاد الأمان والسلام والإستقرار في كل أرجاء المعمورة. ولو لأن أرباب الأعمال توّجوا وصايا الإمام علي عليه السلام ونصائحه في تقييم أجور عمالهم لخدمت نار التوترات والاضطرابات الاجتماعية، ولانطفأت نيران وشرارات القنابل المسمينة للدموع التي تتناثر بين رجال البوليس والعمال في حالة الإضرابات المتّعاقة والمقاطعات الشديدة عن المصانع والمعامل، طلباً لاسترداد حقوقهم المقتبصة من طرف أولئك الذين يتصنون دماءهم ويستغلون مهارتهم وقوتهم، ولا يدفعون إليهم مقابل ذلك ما يسدون به رمقهم، ويشبعون به جوع عوائلهم .. بينما أمرهم الإمام علي السلام في ذلك قائلاً:

«... ثم أنسج عليهم الأرزاقي، فإن ذلك فوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما ساخت أيديهم، وحجة عليهم إن حالفوا أمرك أو نسلوا أمانتك» ثم بعد مرافقة الله الذي يرانا وان لم نكن نراه، يوصي الإمام عليه السلام بضرورة مراقبة العامل مراقبة لا تتنافى مع الانسانية والبشرية السمحاء:

«ثم تفقد أعيادهم، وابعد العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة، والرفق بالرغبة، وخفف من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده الى

خيانة اجتمعت بها عليه هندك أخبار عيونك أكتفيت بذلك شاهدأ، فبسطت عليه المغفرة في بذنه، وأخذته بما أصحاب من عمله، ثم نصبه بمقام المفكرة، ووسنته بالخيانة، وقد نهه عار التهمة.» هكذا تكون العلاقات طيبة بين جميع طبقات البشر، وتعامل فيها بیننا معاملة حسنة إنسانية، ويملعب كل فرد دوره في جهاز المجتمع الذي يجسده فيه كل عنصر مرفقاً لا يجب على المجتمع أن يفتقر عنها. وذلك لأن العمل الإسلامي لا يقاس بالكيفية بل بالكيفية فلقد قال رسولنا الكريم صل الله عليه وعلى آله وسلم «إِنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّتَائِجِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَانُوِي». وإنما يدل هذا الكلام على ضرورة حسن النية اذا لا تصلح الأعمال إلا بها، وينطبق على هذا المعنى قول الإمام علي عليه السلام: «لا يقبل عمل مع التقوى». «والسلام على من أتبع المهدى»